

# السُّنَنُ الْإِسْلَامِيَّةُ

بَيْنَ ثَبَاتِ الْقَاهِمِينَ وَرَفْضِ الْجَاهِلِينَ

(مع مصطلح الحديث)

تأليف  
دكتور رؤوف شلبي  
جامعة قطر



السُّنَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ  
بَيْنَ  
إثباتِ الْفَاهِمِينَ وَرَفْضِ الْجَاهِلِينَ

تأليف  
الدكتور رُؤُوف شَلْبِي  
الأستاذ في جامعة قطر









قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أَيْحَسِبُ أَحَدُكُمْ مُتَكِنًا عَلَى أُرَيْكْتِهِ يَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ  
لَمْ يَحْرَمْ شَيْئًا إِلَّا مَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ ، أَلَا إِنِّي قَدْ  
أَمَرْتُ وَوَعِظْتُ وَنَهَيْتُ عَنْ أَشْيَاءَ ، إِنَّهَا لَمِثْلُ  
الْقُرْآنِ أَوْ أَكْثَرُ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَحِلْ لَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا  
بُيُوتَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا بِإِذْنٍ وَلَا ضَرْبَ نِسَائِهِمْ  
وَلَا أَكْلَ ثَمَارِهِمْ إِلَّا إِذَا أُعْطَوْكُمْ الَّذِي فَرَضَ  
عَلَيْهِمْ »

(رواه أبو داود عن طريق المرباض وقال حديث صحيح ) .

وَأَمَّا مَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ حُرْمَةِ الْبُيُوتِ فَهُوَ مِنْ أَشْيَاءِ الْوَعِظِ وَالنَّهْيِ

## الإهداء

إلى روح فضيلة الشيخ الجليل - أبي -  
أهدى هذا المجهود المتواضع تقديراً لمنهجه في  
التربية على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
وتفضيله الإيثار السامى على السلوك الفاضل .

وإلى روح فضيلة الإمام الزكى الشيخ محمد  
محمد الأودن أسكنه الله فسيح جناته بقدر ما قدم  
لدينه وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من  
خدمات وتضحيات .

رعوف شلبي

« سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم  
تسمعون أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم » .  
( رواه مسلم )

« إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون  
دينكم » .

## الإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ

« وَلَوْ لَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ » .

(عبد الله بن المبارك)



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد  
وعلى آله وصحبه أجمعين .  
وبعد ...

فإن أشرف ما يشتغل به المسلم في حلبة العلم والدراسة ، هو أن تكون  
أعماله المخلصة خادمة لأصول الإسلام ؛ القرآن الكريم وعلومه ، والسنة  
الشريفة المطهرة وعلومها ؛ ذلك لأن العلوم تميز بموضوعاتها ،  
وموضوعات أصول الإسلام ، هي أشرف ما على الأرض من علم سواء  
من حيث المصدر ، أو من حيث اتصال السند بالمصدر ، أو من حيث  
ما تضيفه هذه الأصول على الحياة من الرخاء ، والخير ، والأمن ، واليسر  
والأنس والبركات .

ولقد حث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمة الإسلامية  
على أمرين :

الأول : أن تبلغ عنه .

الثاني : أن تعمل بالسنة .

• أما فيما يتعلق بالأمر الأول فقد روى عن أنس بن مالك رضي الله  
عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« حدثوا عني كما سمعتم ولا حرج إلا من افترى على كذبا متعمدا بغير علم فليتبوأ مقعده من النار » (١) .

بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجعل التحديث عنه من خصائص هذه الأمة ، فقد روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم » (٢) وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنضارة لمن روى عنه الحديث الشريف ، فقد روى عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه عنا كما سمعه فرب حامل فقه غير فقيه » (٣) .

ومن طرق أخرى : فرب مبلغ أوعى من سامع ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه .

وفي حديث آخر بحث فيه النبي صلى الله عليه وسلم الأمة على تبليغ السنة ما روى عن عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه - نفيح بن الحارث ابن كلدة - قال : ذكر النبي صلى الله عليه وسلم - وذكر خطبته يوم النحر - وفي آخره : لبليغ الشاهد الغائب ، فإن الشاهد عسى أن يبلغ من هو أوعى منه (٤) .

ولقد أضنى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مبلغى سنته بأنهم خلفاؤه ودعا لهم بالرحمة ، ففي الحديث الشريف عن عبد الله بن عباس قال :

---

(١) رواه مسلم والبخارى وأحمد وابن ماجه .

(٢) رواه ابن حبان وأحمد وأبو داود

(٣) رواه الترمذى وأحمد وأبو داود

(٤) رواه البخارى من غير هذا الطريق في باب حجة الوداع . ورواه مسلم في كتاب القسامة باب تغليظ تحريم السماء والأعراض والأموال .

سمعت علي بن أبي طالب يقول : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم ارحم خلفائي قلنا : يا رسول الله ومن هم خلفاؤك قال : الذين يأتون من بعدى يروون أحاديثي ويعلمونها الناس » (١)

• وأما فيما يتعلق بالحث على الأخذ بالسنة والعمل بها فقد روى عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس إني قد تركت فيكم الثقلين : كتاب الله وسنتي ، فلا تفسدوه ، وأنه لا تعمى أبصاركم ، ولن تزل أقدامكم ، ولن تقصر أيديكم ما أخذتم بهما (٢) .

وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من يحكي سنته في منزلة كمنزلة الصحابة يوم أن بدأ الإسلام غريباً ، ففي الحديث عن كثير بن عبد الله ابن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن هذا الدين بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء ، قيل : يا رسول الله فمن الغرباء ؟ قال : الذين يحيون سنتي من بعدى ويعلمونها الناس » (٣) .

وفي رواية الترمذى :

إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية (٤) من رأس الجبل ، إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدى من سنتي . وهؤلاء العاملون بالسنة هم الطائفة التي وعدّها رسول الله بأنها القائمة على الحق إلى قيام الساعة ، ففي الحديث الشريف من رواية معاوية ابن أبي سفيان :

---

(١) رواه أبو نعيم والمهشمى في مجمع الزوائد والسيوطى في مفتاح الخير .

(٢) رواه الخطيب في كتابه : الفقيه والمتفقه .

(٣) رواه البخارى .

(٤) الأروية هي أنثى الوعول .



لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الحق (١).  
قال الإمام أحمد : إن لم تكن هذه الطائفة أصحاب الحديث فلا أدري من هم ؟ !

قال الإمام البخاري : هم أهل العلم يعني أهل الحديث .  
وكان الأعشى يقول : لا أعلم لله قوماً أفضل من قوم يطلبون هذا الحديث ويحيون هذه السنة ، وكم أنتم في الناس ؟ والله لأنتم أقل من الذهب (٢)  
ومع هذا الحث على التبليغ ، وعلى العمل بالسنة الشريفة . فقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من تعمد الكذب عليه ، وعمل الصحابة رضوان الله عليهم على وقاية المجتمع من هذا التعمد ، ولما وقعت الفتن اجتهد العلماء الأفذاذ فوضعوا معايير لضبط الرواية والسند ، وصحة قبول الحديث .

• أما فيما يتعلق بتحذير النبي صلى الله عليه وسلم من تعمد الكذب عليه ، ففي مسلم من طريق ربيع بن جراش أنه سمع علياً رضي الله عنه يخطب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكذبوا علي فإنه من يكذب علي يلج النار » (٣) .

وروى مسلم أيضاً من طريق المغيرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن كذباً على ليس ككذب علي أحد ، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » . وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم الأمة في آخر الزمان من أدعياء الاشتغال بالحديث فقال فيما يرويه مسلم من طريق أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم ولإياهم » (٤) .

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام

(٢) راجع الإلماع لأبي الفضل العياض ص ٢٧ تحقيق سيد صقر .

(٣) رواه مسلم في المقدمة .

(٤) رواه مسلم في المقدمة .

• وأما فيما يتعلق بموقف الصحابة من وقاية الأمة من تعمد الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن ابن عباس رضي الله عنه يرفض الإذن بالتحديث لمن شاء إلا بشروط وقيود ، فقد روى أن بشير العدوي جاء إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه . فقال : يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي ، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس : « كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والدلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف » .

• أما ما فعله جهابذة العلماء ، فقد أمضوا سنة التلطف الصالح يقول ابن سيرين : إن هذا العلم دين فانظروا ممن تأخذون دينكم .

وقال أيضاً : لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة : قالوا سموا لنا رجالكم فينظروا إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظروا إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم .

وقال عبد الله بن المبارك : « الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء » .  
وقال أيضاً : بيننا وبين القوم القوائم : يعنى الإسناد .

وقد شرح لنا الإمام مسلم رضي الله عنه طرفاً من فعل أهل الحديث في تصفية الرواية من الفتن فقال : « ثم إننا إن شاء الله مبتدئون في تخريج ما سألت وتأليفه على شريطة سوف أذكرها لك وهو : إننا نعمل إلى جملة ما أسند من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقسمها على ثلاثة أقسام ، وثلاث طبقات من الناس على غير تكرار .

فأما القسم الأول : فلما نتوخى أن تقدم الأخبار التي هي أسلم من

العيوب من غيرها وأنتى من أن يكون ناقلوها أهل استقامة في الحديث ، وإتقان لما نقلوا ، لم يوجد في روايتهم اختلاف شديد ، ولا تخليط فاحش ، كما عثر فيه على كثير من المحدثين وبان ذلك في حديثهم .

فإذا نحن تفحصنا أخبار هذا الصنف من الناس أتبعناها أخباراً يقع في أسانيدنا بعض من ليس بالموصوف بالحفظ والإتقان كالصنف المقدم قبلهم على أنهم وإن كانوا فيما وصفنا دونهم فإن اسم الستر والصدق وتعاطى العلم يشملهم كعطاء بن السائب ويزيد بن أبي زياد ، وليث بن أبي سليم وأصراهم من حمال الآثار ونقال الأخبار ، فهم وإن كانوا بما وصفنا من العلم والستر عند أهل العلم معروفين فغيرهم من أقرانهم ممن عندهم ما ذكرنا من الإتقان والاستقامة في الرواية يفضلونهم في الحال والمرتبة ، لأن هذا عند أهل العلم درجة رفيعة وخصلة سنية .

فأما ما كان منها عند قوم هم عند أهل الحديث متهمون أو عند الأكثر منهم فلسنا نتشغل بتخريج حديثهم كعبد الله بن مسور أبي جعفر المدائني ومحمد بن سعيد المصلوب .

فأما من تراه يعتمد لمثل الزهرى في جلالته وكثرة أصحابه الحفاظ المتقنين لحديثه وحديث غيره ، أو لمثل هشام بن عروة وحديثهما عند أهل العلم مبسوط مشترك قد نقل أصحابهما عنهما حديثهما على الاتفاق منهم في أكثره ، فيروى عنهما أو عن أحدهما العدد من الحديث مما لا يعرفه أحد من أصحابهما ، وليس ممن قد شاركهم في الصحيح مما عندهم فغير جائز قبول حديث هذا الضرب من الناس والله أعلم .

— وبعد — يرحمك الله ، فلو لا الذى رأينا من سوء صنيع كثير ممن نصب نفسه محدثاً فيما يلزمهم من طرح الأحاديث الضعيفة والروايات المنكرة ، وتركهم الاقتصاد على الأحاديث الصحيحة المشهورة مما نقله الثقات المعروفون بالصدق والأمانة بعد معرفتهم وإقرارهم بألستهم أن كثيراً

بما يقدفون به إلى الأغبياء من الناس هو مستنكر ومنقول عن قوم غير مرضيين ممن ذم الرواية عنهم أئمة أهل الحديث مثل مالك بن أنس ، وشعبة ابن الحجاج ، وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم من الأئمة لما سهل علينا الانتصاب لما سألت من التمييز والتحصيل، ولكن من أجل ما أعلمناك من نشر القوم الأخبار المنكرة بالأسانيد الضعاف المجهولة وقذفهم إلى العوام الذين لا يعرفون عيوبها خف على قلوبنا ما سألت . اهـ (١) المقلمة .

فهذه نبذة شريفة عن صورة من صور جهاد جهابذة العلماء في تنقية الرواية من الضعف والضعيف والضعفاء .

أما الإمام البخاري فقد وضح الصورة للمحدث فقال :

اعلم أن الرجل لا يصير محدثاً كاملاً في حديثه إلا بعد أن يكتب أربعاً من أربع ، كأربع مثل أربع ، في أربع عند أربع ، عن أربع لأربع . وكل هذه الرباعيات لا تتم إلا : بأربع مع أربع . فإذا تمت له كلها هان عليه : أربع ، وابتلى : بأربع . فإذا صبر على ذلك أكرمه الله في الدنيا : بأربع ، وأثابه في الآخرة : بأربع .

قلت - أي السائل - فسر لي ما ذكرت من أحوال هذه الرباعيات من قلب صاف بشرح كاف ، وبيان شاف طالب للأجر الوافي .

فقال - يعني البخاري - : أما الأربعة التي تحتاج إلى كتبها هي : أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرائعه ، والصحابة ومقاديرهم ، والتابعين وأحوالهم وسائر العلماء وتواريخهم من أسماء رجالهم وكتابهم ، وأمكنهم وأزمئتهم . إلخ ، كالتحميد مع الخطب ، والدعاء مع الرسل ، والبسم مع السور ، والتكبيرات مع الصلوات ، مثل المستندات ، والمرسلات ، والموقوفات ، والمقطوعات في صغره ، وفي إدراكه ، وفي كهولته ، وفي

---

(١) راجع مقدمة مسلم الجزء الأول ص ١٨٤ .

شبابه ، عند فراغه وعند شغله وعند فقره ، وعند غناه ، بالجلال والبهار ،  
والبلدان ، والبرارى على الأحجار والأصداف ، والجلود ، والأكتاف ،  
إلى الوقت الذى يمكنه نقلها إلى الأوراق عمن هو فوقه ، وعمن هو مثله ،  
وعمن هو دونه ، وعن كتاب أبيه يتيقن أنه بخط أبيه دون غيره ، لوجه  
الله تعالى طالباً لمرضاته والعامل بما وافق الكتاب منها ونشرها بين طالبيها  
ومجتنبيها ، والتأليف في إحياء ذكره بعده .

ثم لا تم له هذه الأشياء إلا بأربع من كسب العبد : له أربع  
أعنى : . : معرفة الكتابة واللغة ، والضرف ، والنحو . . . مع أربع  
هى من عطاء الله تعالى :

أعنى : القدرة ، والصحة ، والحرص ، والحفظ . . .  
فإذا تمت له هذه الأشياء هان عليه أربع :  
الأهل ، والولد ، والمال ، والوطن . . .

وابتلى بأربع : شناعة الأعداء ، وملامة الأصدقاء ، وطعن الجهلاء  
وحسد العلماء . . .  
فإذا صبر على هذه المحن أكرمه الله فى الدنيا بأربع :

بغز القناعة ، وحبية النفس ، ولذة العلم ، وحياة الأبد .  
وأثابه فى الآخرة بأربع :

بالشفاعة لمن أراد من إخوانه ، وبظل العرش يوم لا ظل إلا ظله ،  
ويستقي من أراد من حوض نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبجوار النبيين فى  
أعلى عليين فى الجنة . . .  
ثم قال البخارى للسائل :

« فقد أعلمتك يا بنى مجمل جمع ما كنت أسمع من مشايخي متفرقاً فى  
هذا الباب مجعاً ، فأقبل الآن على ما قصدتني له أو دع » اه .  
\* \* \*

فهل لواحد من مثقفي علمانية العصر الحديث مجال أو رأى في السنة أو في عمل هؤلاء الأفاضل الأجلاء الأتقياء ؟

هذا : ولقد شرفني الله تبارك وتعالى بخدمة أصول الإسلام : القرآن وعلومه والسنة الشريفة وعلومها رديحاً طويلاً من الزمن ، وكانت في غربة بعيدة بالجامعة الإسلامية الحكومية في سومطرة الجنوبية ، وكلية الدراسات الإسلامية بماليزيا . إحدى كليات الجامعة القومية بالعاصمة كوالا لومفور .

ولقد سعدت بنشر حاصل هذه الدراسة ، في كتابي الأول عن السنة ثم تابعت الدراسة في موضوع دقيق أظن فيه العلماء القول ، وأفرد بعضهم لبعض موضوعاته الكتب الطوال ، ولقد كانت العلة التي يئن منها طلبة هذه الدراسة وأعني بهم طالبي فهم مصطلحات أهل علم الدراية في الحديث الشريف بالإطلاق العام أنهم يتحIRON في جمع المصطلحات تحت قاعدة أو نقطة ارتكاز بحيث يمكن تصور ترابط المصطلحات إما بالتسلسل إذا كانت فرعاً عن علة واحدة أو بالتضاد إذا كانت نقيضاً لشروط لم تتحقق ، وأن الأوائل لم يتركوا للأواخر كثيراً من الجهد . فقد بذل شيوخنا من السلف الأمين التي أقصى طاقات الفكر والتعقل لخدمة علوم السنة الشريفة : إن في مجال الرواية ، وإن في مجال الدراية . حتى امتلأت المكتبة الإسلامية في جميع أنحاء العالم الإسلامي بالأمّهات من المراجع التي محصت وقننت علم الدراية أو علم الإسناد . حتى صارت مادة علوم الحديث أثرى مادة علمية في المجال الفكري ولم يبق لواحد من أفاضل العصر الحديث مجال لنشاط يذكر في هذه الحلية التي حاز فرسانها على كل قصب السبق رضي الله عنهم وأرضاهم .

ولكن الذي عمدت إليه في هذه الدراسة هو تجميع المصطلحات تحت نقطة ارتكاز هي قاسم مشترك بين هذه المصطلحات بحيث يصبح سهلاً على الطالب أن يتصور تفرع مصطلح من المصطلحات من نقطة معينة .

ووضعت لهذا ركائز كلية فقسمت الحديث من ناحية :  
الكم .

والطرف الذى تنتهى إليه نسبة الحديث .

وحال الرواة من حيث الضبط والعدالة . . . إلخ .

• فإذا ما ذكر الكم : تصور الطالب أن الحديث من هذه الحثيثة أو من هذه الركيزة ينقسم إلى متواتر وآحاد ثم الآحاد ينقسم إلى مشهور وغير مشهور . . . إلخ .

• ومن حيث الطرف ينقسم الحديث إلى مرفوع وموقوف ومقطوع .

• ومن حيث حال الرواة ينقسم إلى صحيح وحسن وضعيف .

ثم تأتى الفروع المتفرعة بعد ذلك فيحصل فى المخيلة صورة مترابطة لعلاقات المصطلحات من جهة هذه الحثيات .

ولأن جهدى هو بذل طاقة متواضعة بعد الطاقات الكبرى التى بذلها علماءنا الأجلاء من السلف الأمين الكريم النقى الطاهر ، فقد سميت هذه الدراسة : « منهج المحدثين فى ضبط السنة » : إبرازاً للقيمة الكبرى التى قدمها علماءنا الأجلاء للسنة الشريفة من خدمة وتحصين وحماية ودفاع .  
ولقد كانت الدراسة نتيجة عمل متواصل منذ وضعت فى كتابى : السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين . وفيها قسم كامل عن التدوين الذى قسمته إلى قسمين :

تدوين رسمى : وكان له أمران رسميان من :

الخليفة العادل : عمر بن عبد العزيز .

وأمر المؤمنين : أبى جعفر المنصور .

وتدوين شعبى : هو جهود العلماء الذين هبوا لحماية السنة وجمعها على أصول وشروط وقوانين ، وكنت بفضل الله تبارك وتعالى أول من بدأ هذا اللون من الدراسة والتسمية فى موضوع تدوين السنة ، ولما كان

الموضوع شافياً وكاملاً في كتابي هذا فقد ضمنت إليه منهج العلماء في ضبط الرواية وضبط السند أو تقسيم الحديث وفاء لمادة علوم الحديث ، فقد أوصاني والذي رحمه الله تعالى ألا أحيل لأن الإحالة تخلق شعوراً من الضيق ، وقد لا يكون الكتاب المحال عليه ميسراً ساعة التحصيل . . . فجمعت كل هذه الدراسة في كتاب واحد هو هذا الكتاب الذي يقدم للمرة الرابعة للطباعة بفضل الله .

أسأل الله أن يجعل النية خالصة لوجهه الكريم ، وأن ينفع بهذا الكتاب من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً . وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

دكتور / رءوف شلبي  
( متولى يوسف حسن شلبي )

الدوحة - قطر

في ٤ جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ

٢٩ من مارس سنة ١٩٨٢ م





# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين العاقب  
الذى لا نبي من بعده أبداً ، ورضى الله تعالى عن الصحابة والفقهاء والمحدثين  
والمجاهدين في سبيل الله مخلصين ، موحدين إلى يوم الدين ، أما بعد :

فإن المطالعين للعلم الإسلامى وغيره يجدون ظاهرة تفرق بين قيمة  
كل منهما ، من ناحية الخلق والمهدف ، والسنة الإسلامية كواحد من العلم  
الإسلامى تسهم فى توضيح حقيقة هذا الفرق بين العلم الإسلامى وما  
يخالفه . . .

فالمحدثون يأخذون الحديث عن شيونهم ، وأتراهم وتلاميذهم  
كما ستجدونه محققاً فى فؤاد هذا الكتاب وكل واحد ملتزم للخلق الرفيع  
لا يظعن ولا يذم ولا يحقر صاحبه . أما العلم غير الإسلامى ، ولناخذ  
الفلسفة واحداً منه توضح لنا حقيقة الفرق ، فإنها قامت على أساس  
محاولة العقل للتعرف على الحقيقة ، وفى سبيل ذلك استباح التلميذ لنفسه  
أن يحقر من شأن أستاذه . . :

— فأفلاطون لا يوقر لسقراط مقالة :

وأرسطو لا يوقر لأفلاطون ولا لجلده سقراط رأياً .

ذلك : لأن العلم الإسلامى علم الكرامة الإنسانية التى تهدى إلى الحق  
وإلى صراط مستقيم ، ولأن العلم الإسلامى علم معصوم لأنه وحى الله

أو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . أما الفلسفة فهي حوار العقل ،  
وصلف الذات وكبرياء الذكاء . . . . وشخصية المفكر . . . . والكل جميعاً  
مختلف . . . ؟

وفرق بين الحق من مصدره المصون .

ومحاولة التعرف بالوسيلة العاجزة بالذات . . . ؟

لهذا كان لشيوخ السنة ظابعهم المذهب الورع ، البناء ، فأسسوا  
بذلك أول مدرسة علمية تهدف إلى كرامة البشر وإلى توضيح حقيقة التعلم  
وأسلوبه ، وغايته .

— فالتلميذ يأخذ عن شيخه في أدب واحترام ، ووقار . . .

— والشيخ يجلس ليستمع من تلميذه بعد النضوج ، في فرحة ،  
وحب وتكريم .

ومن هنا فإن حياة السنة الإسلامية بين العلماء تعطي قاعات البحث  
العلمي روح المنهج السليم الذي يحدد وظيفة النقد الباني للعلم الخالص  
من أجل الحق وصراط مستقيم . . . ؟

إنه متوجه إلى أسلوب النشاط الموصل إلى الهدف وليس متوجهاً  
إلى ذات العالم أو فكره ، وكذلك هو محترم الظروف والإمكانات ، وقائم  
على أساس من الاحترام ونبل القصد وسمو الغاية ، وقد ورث ذلك المنهج  
أسلوب قيادة حكيمة ؛ إذ يقول عمر رضي الله عنه : ( رحم الله امرأ أهدي  
إلينا عيونا ) فجعل النقد هدية . لأن هدفه الإصلاح والحق والخير ،  
فإذا لم تهد إليه أخطاؤه تنكب الطريق دون قصد ، ولهذا : فإن المناهج  
العلمية في العصر الحديث — وخاصة مناهج المستشرقين في دراساتهم  
الإسلامية — تنادى بالحيدة العلمية والتجرد من الدين عند البحث مغالطة  
لتعتدى على الإسلام بهذه الصيحة الخرساء ، ويستعمل المستشرقون منهج  
العكس وقلب الحقائق :

١ — فيزورون في النص الذي ينقلونه ليصلوا إلى غايتهم .

٢ - ويفسرون خطأ أسلوب العلم .

٣ - ويلقون أخطاء ثقافتهم على العلوم الإسلامية ، وهي عملية يسميها علماء النفس ( عملية الإسقاط ) ، وهي عملية خاصة بالمرضى والمصابين بضعف الشخصية وسوء النية ، لهذا :

اتجهت دراسة هذا الكتاب إلى :

- عرض السنة في كل أطوارها عرضاً أميناً واضحاً .
- دفع شبه المحرفين بعد المناقشة وتوضيح الأدلة .
- مناقشة المستشرقين وتوضيح سمات منهجهم ليعرف المجرمون بسياتهم .
- دفاع عما توهمه بعض أصحاب المذاهب الخاصة . . . من شبهات إيماننا بالحق الأبلج .

- توضيح بعض الكتب والمؤلفين الذين يكتبون في السنة ويضعون في داخل كتبهم سموماً يعنونون لها بأسماء عاطفية تهز المشاعر أو يستندون في مؤلفاتهم على كتب لا تمثل النظرية العلمية الإسلامية ، أو المصدر الصحيح حتى تتجنبوا الخطأ .

وقصدي هو أن أسهم مع الدعاة المشتغلين في الحفاظ على تاريخ السنة بنية خالصة فلئن كنت قاربت الصواب فمن الله التوفيق ولئن كنت قد ابتعدت فالنصيحة واجبة ومقبولة ، فإن العلم ليس وقفاً على كبير ، والذكاء منحة الله كما وهبها الكبير المنجرب لم يحرم منها الصغير الناشئ .

قصة هذا الكتاب :

وقصة هذا الكتاب قصة طريفة فقد ساقه الله كجزء من العمل الطيب لتمضية فراغ هائل عشت فيه زهاء شهر ونصف بجاكارتا عام ١٩٦٤ م فقد كان الأزهر الشريف أوفد بعثة إلى أندونيسيا لمساعدة المنظمات والهيئات الإسلامية وكنت واحداً من وفد أرسله الأزهر إلى هذه الديار

ولما وصلت إلى جاكرتا العاصمة وكنت قد سبقت الوفد الكريم أنزلتني  
وزارة الشؤون الدينية في هوتل يسمى «هوتل وزماند» وكان يقع في دائرة  
حيوية تتوج بالحركة طول الليل والنهار في منطقة تسمى Tanahabag  
(الأرض الحمراء) شارع المطاط Jalankaret ، وفنادق أندونيسيا جميلة  
جمال البلد ذاتها تحيط بها الحدائق النظيفة الرائعة ، ولقد مكثت في هذا  
الفندق زهاء شهر ونصف الشهر أنتظر التوزيع على المحافظات . . . فأحسست  
بفراغ هائل وأن الزمن يضيع هباء . . . وكان الفندق ينزل فيه جملة  
من العاملين بالتجارة من العرب ومن الأندونيسيين الذين لهم صلة بالعلم  
وكان الزمن قريبا من انتهاء مؤتمر تبشيري في جاوا وقد كان من ضمن  
قراراته لتنصير المسلمين في أندونيسيا : العمل على زعزعة الثقة من نفوس  
المسلمين فيما يتعلق بالسنة الإسلامية فعكفت منذ يوم الأربعاء ٥ من شهر  
شعبان سنة ١٣٨٤ هـ الموافق ٩ من ديسمبر سنة ١٩٦٤ م على دراسة تاريخ  
السنة ووضع مؤلف سهل مبسط ميسور لطلبة الجامعة التي سوف أعمل فيها .  
ولقد كانت النية مخلصه لوجه الله تعالى فذل الله كل صعب ووفق الله  
لي أن أدرس هذا الكتاب في عدة كليات من جامعات سومطرة وجاكرتا ،  
لأن العجز في هيئة التدريس بالجامعات الإسلامية جعلها تأخذ بنظام الأستاذ  
الطائر الذي ينتقل بين الكليات في البلدان الشاسعة بالطائرة ، وقد كان من  
فضل الله علي أن درست هذا الكتاب في :

كلية أصول الدين	بمدينة فالمبانغ
كلية التربية	بمدينة لامفوغ
كلية الشريعة	بمدينة بنكولو
كلية الدراسات الإسلامية	بجاكرتا - جاتي نجارا
كلية أصول الدين	تشروب - سومطرة الجنوبية
كلية الشريعة	بمدينة جامبي

ثم في ماليزيا بكلية الدراسات الإسلامية بكوالامפור عام ١٩٧٢/٧١

ولم أر بأساً أن أقدمه إلى المكتبة العربية على صورته التي انتهت منها  
في أندونيسيا بمنزل السيد حسين شهاب بمدينة فالنغ في ١٦ من ربيع  
الآخر سنة ١٣٨٥ هـ الموافق ١٤ من أغسطس سنة ١٩٦٥ م بسومطرة  
الجنوبية ليرى القارئ العربي صورة من صور الثقافة الإسلامية التي  
تحتاج إليها الأقطار الإسلامية الشقيقة غير الناطقة بالضاد .

وشأكر دار القلم بالكويت على تفضلها بقبول نشر الكتاب وفاء  
للسنة الإسلامية المطهرة ، وحجاً في صاحبها سيدنا محمد خاتم الأنبياء  
 والمرسلين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبالله  
التوفيق . . .

( دكتور / رءوف شلبي )

( متولى يوسف شلبي )



## في تعريف السنّة وحجّيتها ووظيفتها

- ١ - تعاريف السنّة :  
في اللغة ، عند علماء الإسلام  
شبهة حول التسمية
- ٢ - السنّة كمصدر أساسي للتشريع الإسلامي .  
أدلة الفاهمين ، رفض الجاهلين
- ٣ - وظيفة السنّة ومنزلتها من القرآن .
- ٤ - أقسام السنّة .





# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## السَّنةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

( ١ ) تعريفها :

١ - في اللغة العربية :

تطلق السنة - قبل الإسلام - بمعنى الطريقة المعتادة مطلقاً فتشمل :

الطريقة الحسنة .

الطريقة السيئة .

وقد جرى اللفظ القرآني في عدة مواضع على هذا الاستعمال حين  
بين سنن الأمم الماضية ، وحين يؤكد لأذهان البشرية سمرمدية سنة الله  
تعالى في الكون ، يقول الله تعالى :

« قد خلت من قبلكم سنن » ١٣٧ آل عمران .

« سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنةنا تحويلاً » ٧٧ الإسراء

« سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تحويلاً » ٦٢ الأحزاب

كذلك استعملت النبوة الإسلامية السنة بهذا المفهوم العام : يقول  
النبي صلى الله عليه وسلم : « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل  
بها إلى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها  
إلى يوم القيامة » .

فالحديث يفيد أن الطريقتين : الحسن والسيئ في السلوك سنة مسنونة وصاحبها في كلتا الحالتين مجازى على الخير ومعاقب على الشر .

وهذا الجمع بين السلوكين في الحديث جار على عمومية المفهوم اللغوى لمعنى كلمة سنة في اللفظ العربى .

## ٢ - أصل كلمة سنة في التعبير العربى :

... وهذا المفهوم اللغوى العام لكلمة سنة له أصل في اللغة فهو مأخوذ من الأساليب الآتية :

١ - من قول العرب « سن الإبل » بمعنى أحسن رعيها .

٢ - أو من قول العرب « سن الماء » إذا داوم على صبه .

٣ - أو من قولهم « سن النصل » إذا صقلها وحدها .

وهذا الاستعمال يفيد استعمالها في العادة الحسنة والسيئة :

فلن رعى الغنم عادة حسنة ، وسن الماء قد يكون عادة حسنة إذا قصد من دوام الصب منفعة ، وقد يكون عادة سيئة إذا كان المراد بدوام الصب مضرة ، وحد النصل على مفهوم الحياة الجاهلية كان أكثر الباعث عليه البغى في الحروب ، وكان حلف الفضول لرد المظالم وإغاثة الملهوف .  
ويؤكد لنا عموم هذا المفهوم في استعمال العرب أيام الجاهلية لكلمة سنة قول الشاعر :

فلا تجز عن سن سيرة أنت سرتها فأول راض سنة ممن يسيرها  
ومعناه : إذا «أحدث الإنسان عادة سيئة وسلك طريقها عملياً وارتنصاه لنفسه فلا ينبغي في نظر العقل والعدل أن يجازى وأن يعاقب إنساناً يسلك من بعده نفس الطريق .

ومن هذا العرض نذكر أن السنة لها شطران في الاستعمال اللغوى العام :

١ - الطريقة الحسنة .

## ٢ - الطريقة السيئة .

وأنها تشملهما معاً في هذا التعريف .

### (ب) تعريف السنة عند علماء الإسلام :

ولكن السنة بالمفهوم العام قبل الإسلام لم يدم لها هذا الحظ من العموم بعد مجيء التشريع الإسلامى، فقد أخذت المفاهيم في الحياة البشرية تتسم بالتخصيص الذى يضبط - على أمثل فضيلة - حياة البشر فأخذت السنة في حركة هذا النشاط طابعاً جديداً ، وهذا الطابع كان له سمات عند علماء الإسلام ، وهذه السمات حددها شيوخ المسلمين في شكلين حسب المقصود من الآثار المترتبة على مفهومية هذه القسمات .

فالسنة عند علماء الفقه ، غيرها عند علماء أصول الفقه ، لا لاختلاف بينهم في تحديد المفهوم بل تحديداً لمفهومها على ما يترتب عليه من تحديد المقصود في الاشتغال بالسنة ، إذا الفقيه يتناول السنة من زاوية ، والأصولى ينظر إليها من زاوية أخرى ، على نحو ما سيوضحه لنا التعريف عند كل منهما :

### عند علماء الفقه الإسلامى :

هى فى اصطلاح جماعة من علماء الفقه : ( الفعل الذى دل الخطاب على طلبه طلباً غير جازم ) ، فهى بذلك تقابل الواجب ، فلا تشمل المندوب ، ولا المستحب ، ولا التطوع ، ولا النفل .

وعرفها آخرون من علماء الفقه بأنها : ( ما يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها ) ، وهى بهذا ترادف المندوب ، والمستحب ، والتطوع ، والنفل ، وتشملها جميعاً .

ومن هذين التعريفين لعلماء الفقه ندرك أن السنة عند علماء الإسلام ( الطريقة الحسنة ، التى تعرف الإنسان السلوك الفاضل فى طريقه إلى الله ) .

كما نذكر أن الفرق بين المفهومين عند علماء الفقه هو :

- ١ - أن التعريف الأول خاص بالسنة التي تقابل الواجب .
- ٢ - وأنها في التعريف الثاني عامة تشمل كل فعل مسنون سواء كان سنة مؤكدة ، أو مستحبة ، أو كان فعلاً مندوباً ، أو نفلاً . . إلخ .

عند علماء أصول الفقه والحديث :

( أ ) . أما علماء أصول الفقه الإسلامي فإنهم يضعون تعريفاً للسنة الإسلامية يغاير تعريف علماء الفقه فيقولون ( السنة هي ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو صدر عنه : من قول ، أو فعل أو تقرير ) - فهي عندهم مصدر للحكم وأساس للتشريع ، لأنهم ينظرون إليها من جهة كونها قواعد كلية يمكن للعقل أن يستنبط منها الحكم الشرعي .

ومن هنا نذكر أن الفرق بين التعريفين عند علماء أصول الفقه ، وعلماء الفقه :

- ١ - أن السنة دليل الحكم الشرعي - عند علماء أصول الفقه .
  - ٢ - وأنها هي نفس الحكم - عند علماء الفقه .
- ( ب ) وأما علماء علوم الحديث فيتفقون مع علماء الأصول في تعريف السنة على هذا النحو الذي ذكرناه آنفاً .

#### شبهة حول التسمية

بحكم طبيعة الحياة فإن الخير لا يسلم من الشر ، وأن العدل لا يسلم من الجور ، ولقد قيض الشيطان عناصر تفتري على الإسلام وعلى مصادره ، فقد زعم بعض الباحثين أن التعبير بكلمة سنة أخذه المسلمون من الكلمة العبرية ( مشناة ) التي تطلق في الاصطلاح اليهودي على مجموعة الروايات الإسرائيلية التي تعتبر في نظرهم مرجعاً أساسياً في التعرف على أحكام التوراة ، كما تعتبر شرحاً وتفسيراً لها ، ثم عربها المسلمون إلى كلمة ( سنة ) ،

ويدعى اليهود أن المسلمين أطلقوها - بعد التعريب - علماً على مجموعة الروايات المحمدية في مقابل استعمالهم لكلمة (مشناة) علماً على مجموعة الروايات الإسرائيلية .

### الرد على هذه الشبهة

اعتراض اليهود على كلمة (سنة) ملخص في نقطتين :

- ١ - أن المسلمين عربوها من كلمة (مشناة) .
- ٢ - وأن المسلمين أطلقوها علماً على مجموعة الروايات المحمدية في مقابل ما صنعه اليهود من إطلاقهم كلمة مشناة على مجموعة الروايات الإسرائيلية التي تشرح لهم التوراة ، وتعتبر المصدر الأساسي في التعرف على الأحكام .

أولاً : ١ - ودون إجهاد في التفكير فإن المسلمين الأوائل لم يطلقوا كلمة سنة علماً على شيء من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن السنة لم تأخذ حظها من التدوين الرسمي إلا بعد المائة الأولى من الهجرة . ولكن المسلمين الأوائل استعمالوا - كلمة سنة - في توضيح حياتهم السلوكية ، على نظام ما كان يسلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - ومن ناحية أخرى فإن السنة الإسلامية ، لم تكن مجموعة الروايات المحمدية فقط ، بل هي ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير لعمل الصحابة في سلوك معين يتفق مع مبادئ الإسلام وروحه .

٣ - وثمة فرق آخر وهو أن المشناة اليهودية في نظر اليهودي المصدر الأول للديانة اليهودية والتشريع اليهودي ، وأنها هي التي تشرح لهم التوراة . ومعناه : أنهم يأخذون الأحكام من المشناة فقط ، وأنهم يفسرون

التوراة على المشناة ، ومفهوم هذا أنهم تركوا التوراة نهائياً إلى ( مشناة ألفتها علماء اليهود إرضاء لأهوائهم ) .

وليس الأمر كذلك في السنة الإسلامية لأنها المصدر الثاني للتشريع وهي مرويات نبوية ، ولا مدخل لأحد من علماء الإسلام في شيء منها إلا بحفظها ورعايتها وتنفيذها .

إنها مرويات نبوية تفسر في القرآن أحكاماً مجملة ، أو هي تشريع لحادثة جزئية معينة .

والرسول صلى الله عليه وسلم صاحبها هو الذي سماها ، وأطلق عليها — سنة — فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا من بعدى أبداً كتاب الله وسنتي » وقال عليه السلام : « من رغب عن سنتي فليس مني » .

ثانياً : ١ — لا يتقبل العقل الفاحص فهم تعريب مشناة إلى سنة ، لأمرين :

الأول : لعدم المشابهة في الحروف والبنية .

الثاني : عدم وجود دليل تاريخي يثبت التقاء العرب الأميين باليهود ، فإن العرب أمة أمية ، وقبل الإسلام كانت وثنية الدين ، ولم تكن هناك دلائل اتصال ثقافي بين العرب واليهود :

× لا من حيث التقاليد والعادات .

× ولا من حيث نظام الأسرة .

× ولا من حيث الطقوس الدينية .

فن أين توصل العرب للتعرف على — مشناة اليهود — ليعربوا عنها كلمة سنة . . . ؟

إن العقل الباحث الأمين لا يقبل ادعاء اليهود أن العرب الأوائل

المسلمين قد عربوا مشناة إلى سنة ، لعدم وجود دليل تاريخي يثبت الاتصال الثقافي بين الأمة العربية وبين اليهود ، كما لم يثبت أن هناك التقاء بين الديانات الوثنية في بلاد العرب وبين اليهودية الشريفة .

٢ - كذلك يتأكد للباحثين أن كلمة سنة عربية أصيلة في الاستعمال العربي قبل الإسلام، وورودها في الشعر الجاهلي على نحو ما ذكرناه سالفاً لا يترك مجالاً لفرضية بحث تعريب كلمة سنة من مشناة .

٣ - كما أن ورودها في القرآن الكريم ، وفي السنة الإسلامية بالنص الحرفي :

« سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا » ( ٧٧ الإسراء )

« سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً » ( الفتح ٢٣ ) :  
( من رغب عن سننى فليس منى ) .

( من سن سنة حسنة فله أجره وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ) :  
فذلك كله مما يزيد التأكيد تأكيداً وينبئ احتمال فرض أن المسلمين عربوا كلمة سنة من الاصطلاح اليهودى ( مشناة ) وبهذا يتضح لنا أن كلمة سنة :

١ - عربية أصيلة .

٢ - وأن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة قد استعملوها :

٣ - وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى سمى السنة ووضع كلمة سنة علماً على ما ورد عنه أو قرره .

٤ - وأن المسلمين لم يعربوها عن مشناة اليهود لأنه لم يثبت :



( أ ) لقاء ديني بين العرب واليهود :

( ب ) ولا لقاء ثقافي .

( ج ) ولا لقاء أسرى .

وبهذا ينمحي من الإمكان فرض أن المسلمين عربوا كلمة منة من كلمة  
( مشناة ) ، وأنه فرق كبير بين ثريا المحجة البيضاء في الإسلام وبين  
ثوى المحرفين الذين لعنوا على لسان داود وعيسى بن مريم بما كانوا  
يصنعون .

## السنة كصدر من مصادر التشريع الإسلامي

الاحتجاج بالسنة على ثبوت الحكم الشرعي معناه : الاعتماد على السنة في استنباط الحكم الشرعي وثبوت التكليف به .

والسنة بهذا الاعتبار كانت مثار أحاديث طويلة بين العلماء :

١ - فمنهم البصراء المدققون الواعون الحافظون على الإسلام علمه وثقافته ، وأصوله ، في التشريع ، فاحترموا حججة السنة ، وآمنوا بثبوت التكليف بالحكم المستنبط من السنة المطهرة وأولئك هم العلماء المسلمون المفلحون .

٢ - ومنهم فريق آخر التبنّت أمام بصره الحوادث وقصر فهمه عن أسرار التشريع ، أو جعلت ثقافته الأولى ستاراً على عقله فتأس الأمور بالهوى والتعصب ، فرفضوا حججة السنة ، واكتفوا بما في القرآن الكريم . . . . . وتلك مغالطة منهم ، وأولئك هم العلماء السطحيون في التهم قصار النظر في الحفاظ على الإسلام ، حضارته وعلومه ؟

نسأل الله لهم المغفرة ، فإنه جل شأنه يعفو عن كثير .

وإليكم أدلة العلماء الثقات المحترمين لحججة السنة ، وستبعتها بشهادات الفريق الآخر والرد عليها :

### الأدلة على حججة السنة

يقدم علماؤنا المسلمون المعترفون بثبوت الحكم المستنبط من السنة الشريفة عدة أدلة على أن السنة مصدر من مصادر التشريع الإسلامي يثبت به الحكم ، ويقع به التكليف .

وتلك الأدلة هي :

١ - أن العصمة صفة لازمة وواجبة بالشرع للنبي صلى الله عليه وسلم  
ويترتب عليها حتمية صدقه عليه الصلاة والسلام ، في كل ما ينطق به من :  
( أ ) - قرآن تلقاه عن الله عز وجل بالوحي .

( ب ) - أحاديث قلدسية بلغها إليه الوحي باللفظ أو به مع المعنى .

( ج ) - أحاديث نبوية يشرح بها النبي صلى الله عليه وسلم حكماً  
شرعياً يبين حله ، أو تحريمه .

وفي هذا ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا إني أوتيت  
القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا  
القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام  
فحرموه ألا إن ما حرم رسول الله كما حرم الله »

ويؤكد لنا حتمية وجوب هذا الصدق ما يتلوه القرآن الكريم في  
سورة الحشر : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ( الآية ٧ ) ؛  
وفي سورة النساء : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » ( الآية ٨٠ ) ،  
« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين  
نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيراً » ( ١١٥ النساء )

وحول هذا الوجوب الحتمي يروى الحاكم عن ابن عباس رضى الله  
عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبة الوداع : إن الشيطان قد يئس  
أن يعبد بأرضكم ، ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أمره  
فاحذروه ، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً : كتاب  
الله وسنة رسوله .

٢ - أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على الاعتماد بحجية السنة ،  
ونظموا حياتهم على هدى من توجيهها فقد كانوا يلجئون إلى رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عندما تنزل بهم الضائقات ، مع قدرتهم على تفهم القرآن ،  
واستنباط الحكم منه .

يشهد لهذا ما يروى أن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : عندما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم تقضى إن عرض لك قضاء ؟ قال : بكتاب الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : بسنة رسول الله ، قال : فإن لم تجد ؟ قال : أجتهد رأيي ، ولا آلو ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره ، وقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله إلى ما يرضى الله ورسوله » .

ففي الحديث شاهد أن الصحابة كانوا يرجعون إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبهم أمر ، أو عن لهم قضاء ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أقرهم على هذا العمل وأن الصحابة أجمعوا على صحة هذا التصرف :

٣ - وما يقطع لنا بحتمية الاحتجاج بالسنة أن الله سبحانه وتعالى أمر المسلمين بطاعة رسوله ، وطاعة أولى الأمر من علماء المسلمين بل أمر المسلمين إذا نزل بهم نازل أن يرجعوا إلى الله ورسوله وإلى أولى الأمر القادرين على استنباط الحكم للواقعة ، يقول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » (٥٩ النساء)

« وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولوردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا » (٧٣ النساء)

فالآية الأولى تشهد لنا أن الله سبحانه وتعالى أمر المسلمين بطاعة رسول الله بعد أن أمرهم بطاعته وأن يرجعوا إلى الله ورسوله إذا وقعت بينهم أو بهم منازعات .

والآية الثانية تشهد لنا أن الله أمر المسلمين بالرجوع إلى رسوله صلى الله عليه وسلم وإلى أولى الأمر الذين منحهم الله القدرة على استخراج الحكم الشرعى من القواعد العليا فى القرآن والسنة .

وهذا الرجوع يفسره لنا سيدنا ميمون بن مهران رضى الله عنه فيقول :

الرد إلى الله : هو الرجوع إلى كتابه ، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الرجوع إليه في حياته وإلى سنته بعد مماته .

وزيد ابن القيم الأمر توضيحاً في شرحه لقوله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه » ( ٦٢ النور )

يقول : إذا كان الله سبحانه وتعالى جعل من لوازم الإيمان ألا يذهب المسلمون ، إذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر جامع أي مذهب إلا إذا استأذنوه ، فإنه من الأحرى والأولى أن يكون من لوازم الإيمان ألا يذهب المسلمون - وقد أكمل الله لهم دينهم في مجال : العقيدة ، والتشريع ، والأخلاق .. إلخ ، إلى مذهب ما : من تشريع ، أو علم ... إلا بعد أن يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستأذنه :

( أ ) إماماً في حياته بالرجوع إليه ، كما ذكر سيدنا ميمون بن مهران .  
( ب ) وإماماً بالرجوع إلى سنته بعد مماته .

٤ - وخاتمة الحديث أن القرآن الكريم فيه كثير من النصوص التي تلزم المسلمين بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤازرته وتركه في مبايعتهم له ، وفيه نهي على من دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم فأعرض ، ووصفهم الله بمرض النفاق ، كما فيه فلاح المؤمنين الذين تبش نفوسهم إذا دعوا ليحكم بينهم الله ورسوله ، يقول الله تعالى :

« ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين » . ( النور ٤٧ )

« وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين . أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله ، بل أولئك هم الظالمون » .

« إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا : سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ، ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » . ( ٤٧ - ٥٢ النور )

ومن الخشية أن يطيع المؤمنون رسول الله بالرجوع إليه حيا ، وإلى سنته وهو في الرفيق الأعلى .

لكل هذا - وغيره كثير - يرى علماءنا الثقات أن السنة الإسلامية مصدر أساسي من مصادر التشريع الإسلامي ، وأن الاعتماد عليها أمر حتمي في تنظيم الناس حياتهم ومعاشهم ، ولقد مكن الله للسنة الإسلامية في النفوس الطاهرة :

( أ ) فكانت السنة عند فقهاء المسلمين جميعاً صاحبة المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم في استنباط الحكم الشرعي .

( ب ) واتفق العلماء المجتهدون على ترك آرائهم إذا صح الحديث عندهم .

١ - يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه :

إذا صح الحديث فهو مذهبي .

هل لأحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة ؟

أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أقل : على الرأس والعين .

منها قلت من قول أو أخذت من أصل ، وفيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت ، فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولي .

٢ - ويقول الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان صاحب مدرسة الرأي رضي الله عنه :

إذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذنا به .

ويقول : آخذ بكتاب الله تعالى فما لم تجد فبسة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويقول : لعن الله من يخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، به أكرهنا الله وبه استنقذنا ؟

٣ - ويقول الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه :

كل أحد يؤخذ من قوله أو يترك إلا صاحب هذه الروضة ؟

وقد بلغ إجلال سيدنا مالك رضي الله عنه للسنّة مبلغاً أكبر من طاقات النفس ، فقد روى أنه كان لا يخرج للناس في مجلس لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد اغتسل ، وتطيب ، ولبس جديد ثيابه ، وسار خاشعاً إلى مقر درسه في الروضة الشريفة .

وقد روى أن عقرباً لدغه رضي الله عنه وهو يروى الحديث فاجتمعت اللدغة ولم يقطع الرواية ، ولما سئل قال : صبرت لإجلال الحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤ - ويقول الإمام المختبأ أحمد بن حنبل رضي الله عنه :

إن الله جل ثناؤه . . . بعث محمداً بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأنزل عليه الكتاب بالهدى والنور لمن اتبعه ، وجعل رسوله الدال على ما أراد من ظاهره وباطنه وخاصه وعامه ، وناسخه ومنسوخه ، ما قصد له الكتاب فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبصر عن كتاب الله الدال على معانيه .

بعد هذا الاستعراض لصور من مقالات الأئمة المجتهدين لا يسعنا إلا أن نحمد الله الذي وفق للسنّة الإسلامية جهابذة الفكر والعقيدة فأحيوها واستعانوا بها ، فأحياهم الله ، وأعانهم الله ، وسوف يحيي الله كل من أحيأ سنّة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وسوف يعين الله كل من استعان بسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

## شبهات حول الاحتجاج بالسنة

لم يكن لدى المانعين للاحتجاج بالسنة أدلة تستحق في نظر العلم والحق أن يطلق عليها في حلقات الدرس أدلة ، ولكنها شبهات لم تقو بصيرهم على دفعها ، فأوغلوا الفهم في سطحية هذه الشبهات حتى صاروا يوردونها كأدلة لهم على مدعاهم ، وهذه الشبهات سوف نعرض لها واحدة واحدة ونرى مقدار قوتها في حلبة البحث والمناقشة .

### الشبهة الأولى

يقول الله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء »

شبهتهم في هذا : أنهم فهموا الآية على أن القرآن قد حوى كل شيء من أمور الدين وبينه تماماً بحيث لا تحتاج الأمة إلى شيء سواه في التشريع .

فإنها إن احتاجت إلى شيء سواه في التشريع كان القرآن غير مستوعب لكل أمور الدين وكان مفراطاً غير مبين وهذا خلف يستلزم عدم الصلوق في خبر الله تعالى ، وهو محال ، فما أدى إليه يكون محالاً .

الرد على هذه الشبهة

أولاً :

أساس الشبهة أنهم فهموا المراد من الكتاب : القرآن ، ولكن مجموع الآيات ابتداء ونهاية ، يفيد أن المراد بالكتاب هنا هو اللوح المحفوظ الذي اشتمل على العمر والرزق والسعادة والشقاوة . . . لكل الموجودات . واقرأوا الآية معنا من أولها :

قال الله تعالى : « وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ( الأنعام ٣٨ ) »



ومن قبل هذه الآية آية أخرى ، تحدد محل النزاع بين النبوة والكفار ، يقول الله تعالى : « وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه ، قل إن الله قادر على أن ينزل آية ، ولكن أكثرهم لا يعلمون » . (٣٧)

فالكفار في محاوراتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم طلبوا منه أن ينزل آية من السماء كبرهان على نبوته ولكن الله يرد عليهم أن كل شيء في الوجود مقدر بعلم الله وإرادته ، ولو كان مقدرآ في علم الله أن نزول آية على نبوة محمد ( صلى الله عليه وسلم ) مما يريد الله لفعل ، ولكن الله لم ينزلها مع القدوة الثامة ، لأنه قال في أول سورة الأنعام :

« واو نرانا عليك كتابآ في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » ( الأنعام ٧ )

فالله لم ينزل الآية التي طلبوها ، لأن الموجودات من البشر والجماد والحيوانات ، والطيور . . . إلخ .

أمرها : أولا ، ونهاية ، راجع إلى الله، وهي أمم متشابهة في كل ما أراد الله لها من : العمر والرزق والسعادة . . . إلخ ، وكل هذا مدون في الكتاب المحفوظ .

والثلية في الآية ترشح هذا المعنى لأن القرآن لم ينظم للطيور حياة كما نظمها للبشر ، وإنما الذي يحوى كل شيء ، للطيور ، والبشر وتضمن ابتداء ونهاية للجميع هو اللوح المحفوظ .

وعلى هذا الأساس ، ففهم أن المراد من الكتاب هو القرآن غير دقيق لما يأتي :

١ - للسياق العام وربطها بما قبلها .

٢ - المثلية بين الطيور والبشر . . . في ذكر شئونهم في الكتاب .

وبقى عليكم أيها الرافضون لحجة السنة بهذه الشبهة أن تعلموا أن

المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ ، وأن ترجعوا للسنة ففيها شرف  
الحياة . . . . ؟ ؟

ثانياً :

ومع هذا فنحن نسلم لكم أن المراد من الكتاب القرآن ولكننا نقول  
لكم أن هذا العموم غير تام ، بل هو مخصص بقول الله تعالى :  
« وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه ، وهدى  
ورحمة لقوم يؤمنون » ( ٦٤ النحل )

والذى يجعلنا نذهب إلى تخصيص هذا العام أمران :

١ - لتتنق آيات القرآن ولا تتعارض في ظاهرها فإن القرآن مليء  
بالآيات التى فوض الله فيها نبيه في شرح الأحكام .

٢ - إن كثيراً من الأمور الجزئية في حياة المجتمع تحتاج إلى حكم ،  
وليس القرآن إلا قواعده الكلية العامة .

يدل على هذا - أن الصلاة واجبة بنص القرآن ، ولكن كم  
عددها ؟ وكم عدد ركعات كل واحدة ؟

وما الذى يقرأ فيها وجوباً من القرآن ؟

وما هى الصلاة التى يجهر فيها ؟ والى يسر فيها ؟

ثم كيف يجمع الناس للصلاة ؟

ومتى تؤدى الفرائض ؟ إلخ .

لم يتعرض القرآن لتفصيل واحد من تلك الأحكام الجزئية ، التى  
وردت حول القاعدة الرئيسية - أقيموا الصلاة : -

ولكن النبوة عن طريق تعاليم الوحي هى التى فصلت ووضحت ،  
وعلمت كل هذه التفصيلات للناس بالقول والعمل . وهنا يضع القرآن

«عدة رئيسية عامة ترد على مزاعم الرافضين حججة للنسبة ، فيجدد القرآن الكريم عمل النبوة مع وجود القرآن نفسه ، يقول الله تعالى :  
«وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» .

ويؤكد أن كل ما يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر ، ونهى ، أو فعل أو ترك ، أو ترغيب ، أو تهديد إلخ ، إنما هو مقبول عند الله بل إنه من عند الله كما يقرأ المسلم في سورة النجم :  
«وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى» .

ويوضح هذا التأكيد ما يرويه العرياض بن سارية رضى الله عنه :  
قال : قام فينا رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فقال : أحسب أحدكم متكئاً على أريكته يظن أن الله تعالى لم يحرم شيئاً إلا ما في هذا الكتاب ، ألا وإنى قد أمرت ووعظت ، ونهيت عن أشياء إنما مثل القرآن وأكثر .

وينضم إلى هذا في تقوية التأكيد السالف ما يرويه جابر بن عبد الله أن عمر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا ، أفترى أن نكتب بعضها ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : أمتوهكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى ؟ لقد جئتمكم بها بيضاء نقية . ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعى ؟

ولا شك أن إبقاء العموم في الكتاب على أنه القرآن يتعارض مع الآيات التي ذكرت ولا يتفق مع حاجات المجتمع ولا يليق أمام الحشد الذي نقله المسلمون الثقافات من أهمية تدخل السنة في تدبير معاشات البشر لهذا لم يكن بد من تخصيص هذا العام ، ويكون المراد : ما فرطنا في الكتاب من شيء ، أى من القواعد الرئيسية الكلية التي تندرج تحتها أحكام الجزئيات المتجددة في حياة الناس التي توضحها وتبينها لهم السنة المطهرة ..

ثالثاً :

ومرة أخرى نسلم لكم أن المراد من الكتاب القرآن على عموميته دون تخصيص ، ولكن ما هو المراد من شيء ؟ ؟ ؟

جاءت الجدة إلى خليفة المسلمين سيدنا أبي بكر رضى الله عنه  
تطلب منه الميراث . فقال لها : ليس لك في كتاب الله شيء ، وما علمت  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل لك شيئاً ، ثم استفتى الناس ، فقال  
له أحد الصحابة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس .

إذن هذه الحادثة لم يكن لحكمها نص في القرآن الكريم ، وإنما كان في  
السنة حكمها . وعلى هذا فإن المراد من شيء لا بد من تحديده ، وإلا للزم  
الجهل الذي تعترضون به أنتم ؟ ليس المراد من شيء في الآية كل الأحكام  
التي يحتاج إليها المجتمع في وجوده المستمر ، وإنما المراد منها الأحكام  
الرئيسية العليا التي تحدد القواعد والضوابط التي تأخذ سمعة الطابع الديني  
كعالم للطريق الفاضل الذي يقيس عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ،  
أحكام الحوادث التي تتولد من العلاقات بين الناس في حركة نشاطهم .

وعلى هذا فلا بأس أن يكون الكتاب هو القرآن ، وأن يكون القرآن  
حالياً — دون تفريط — كل القواعد الكبرى التي تنظم للناس شئون  
دنياهم ، وتكون السنة الإسلامية هي الموضحة لهذه المعالم وهي المنيرة  
للناس ، طريق الحياة . وتنسجم هذه الآية مع الآيات الأخرى التي تؤكد  
بالنص أهمية السنة تجاه ما في الكتاب من القواعد التي تحتاج إلى تخصيص  
أو تقييد أو توضيح أو تبيين . . . إلخ مثل قوله تعالى :

« أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (٥٩ النساء)

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » (٧ الحشر)

على أننا نقول أخيراً : بل إن المراد من عدم التفريط هو الأدلة على  
الألوهية التي احتواها القرآن الكريم كرد على طالبي أدلة معينة من كفار  
مكة التي قوبلت بالرفض ، وحددت الآية أن آيات بينات على صدق دعوة  
الإسلام في حتمية الإيمان بالله قد امتلأ بها الكتاب الكريم دون تفريط ،  
فالأولى للكفار في مكة أن يرجعوا إليها ، وقد امتلأ بها الكتاب الكريم

بدل أن يقترحوا آيات مادية مثل : تحويل جبل الصفا ذهباً ، وإسقاط السماء كسفاً ، وأن يؤتى بالله والملائكة قبيلاً . . . إلخ .

وعلى هذا فالآية ليست مجالاً لصحة الاحتجاج بها على عدم جل السنة مصدراً أساسياً للتشريع الإسلامى لأنها خاصة بأدلة العقيدة (١) .

وبهذا فلا مجال لوجود الشبهة فى حيز الافتراض والمناقشة ، فهى من كل زاوية ضعيفة القدرة على أن تقف لتمنع الاحتجاج بالسنة أو ليرفض كونها مصدراً أساسياً للتشريع الإسلامى ، وبهذا فإنه ينبغى ألا يسمع الملمعين من الرافضين إلا الاعتراف بالحق الذى تراه أعين السالمين من الغواية ورمد التعصب .

### الشبهة الثانية

يقول الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ( الحجر ٩ )

يفهم الرافضون لحجية السنة أن المراد من — الذكر — فى الآية « القرآن » وأن الضمير فى قوله تعالى : « له » عائد على القرآن ، وأن الآية فيها حصر ، طريقه التجار والمجرور . وهذا الحصر يفيد عندهم : قصر الحفظ على القرآن وحده ، دون ما عداه .

فلو كانت السنة مصدراً أساسياً فى التشريع الإسلامى لتكفل الله بحفظها كما تكفل بحفظ القرآن الكريم . . .

### الرد على هذه الشبهة

أولاً :

ليس بلازم فى الاحتمالات العقلية أن يكون المراد من الذكر القرآن الكريم وحده ، لأمرين :

١ — أنه لو كان المراد من الذكر القرآن لصرح الله به باللفظ كما

---

(١) بتصرف ص ٥٩ ج ٧ فى ظلال القرآن .

صرح به في كثير من الموضوعات يقول الله تعالى :  
« إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » ( ٩ الإسراء )  
« بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » ( ٢١ - ٢٢ البروج )  
« ولقد يسرنا القرآن للذكر » . . ( ٧ القمر )  
« وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث » . ( ١٠٦ الإسراء )  
« وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ( ٣١ الزخرف )  
« إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت  
أن أكون من المسلمين ، وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه » ( ٩١ -  
٩٢ النمل )

٢ - لو كان المراد بالذكر القرآن لعبه عنه بالضمير ( إنا نحن  
نزلناه ) إذ افتتاح السورة فيه نص وذكر للقرآن ( الر ، تلك آيات  
الكتاب وقرآن مبين ) والتعبير بالضمير في نظر اللغة أجود لأن العلم في  
المرتبة الثانية من الضمير ، إذ هو أعرف المعارف ، وهو عمل يتفق مع  
منزلة القرآن وتعتمده الصناعة الإعرابية .

وإذن : فليس بالحتم أمام فهم العقل أن يكون المراد من الذكر هو  
القرآن فقط دون غيره .

بل إن تفسير الذكر بالقرآن فقط احتمال بعيد في نظر العقل ، لعدم  
وجود مرشح لهذا التفسير يقوى على مواجهة الأمرين السالفين اللذين  
يقويان بالمنزلة والعرف النحوي .

وإنه لأقرب من هذا التفسير أحد الاحتمالين :

الأول :

أن يكون المراد من الذكر الرسالة والشرف الذي استحقه الرسول  
صلى الله عليه وسلم واتصف به بنزول النبوة والقرآن عليه ، ويقوى عندنا  
هذا الاحتمال أمام نظر العقل افتتاحه السورة ( الحجر ) حيث صورت

مقالات الكافرين المعتدين على النبوة بأوصاف مفتراة ، إنه مجنون وإلهم في حاجة إلى ملك ينزل عليهم ليصدقوا رسالته فيما تلووه السورة من الآيات :

« وقالوا يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون » ( ٦ )

« لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين » ( ٧ )

« ما نزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين » ( ٨ )

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ( ٩ )

فالآيتان ٧ ، ٦ تصوران اتهامات الكافرين الكاذبة .

والآيتان ٨ ، ٩ ترد على هذه الاتهامات ، وتعد بحفظ الرسالة والشرف الذى نزل على محمد الأمين ( صلى الله عليه وسلم ) .

فحط الحديث كما هو واضح من النحو تكريم النبي ( صلى الله عليه وسلم ) في مواجهة عناد الكافرين الجاهلاء .

فيكون المراد من الذكر في الاحتمالات العقلية القريبة التي يسندها الترشيح : الرسالة ، والشرف .

والرسالة المرادة هنا هي الوصف التشرifi لسيدنا محمد ( صلى الله عليه وسلم ) الذى أثار حفيظة الحاسدين والحاقدين ودفعهم شهوة الحقد إلى الإنقاص من حق النبوة .

وفي مقابل هذا الموقف رد عليهم الله تعالى أنه سيحفظ هذا الشرف لئنبيه صلى الله عليه وسلم ولن يغيره كيد الحاسدين ، ويرشح لهذا الاحتمال قول الله تعالى :

« وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » . ( ٤٣ الزخرف )

فعود الضمير في الآية — إنه — على ما ذكر قبلا في قوله تعالى :

« فاستمسك بالذى أوحى إليك »

دليل على أن التصريح به مراد الشرف ، لا سيما ومن قبل ذلك قال الله تعالى « وقالوا لولا نزل هذا القرآن . . . » إلخ .

فذكر القرآن بالنص أولاً ، وذكره بالوحي ثانياً ، ووصف ذلك بأنه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ولقبه ، مما يقوى الاحتمال العقلي ، أن المراد من الذكر في سورة الحجر هو الرسالة والشرف : وما ذلك إلا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

### الثاني :

أن يكون المراد من الذكر الشريعة مطلقاً ، ويرشح لهذا الاحتمال ما تناولته السورة بعد الآية التي معنا في ذكر موقف الأمم السابقة مع رسلهم ، يقول الله تعالى :

ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين . ( ١٠ الحجر )

« وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون » . ( ١١ الحجر )

« كذلك نسلكه في قلوب المجرمين » . ( ١٢ الحجر )

« لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين » . ( ١٣ الحجر )

والأنبياء يكلفون الأمم بالشرائع ، والشريعة : كتاب الله وستة نبيه ، والذي يستعرض حالات الأمم مع الأنبياء يقف على محاجات الكافرين مع الرسل ، تدور كلها حول التكليف الذي مصدره ما ينزله الله بالوحي وما يشرحه الرسول بالسنة ، وتكون الآية التي معنا قد نبهت على أمر خطير : هو أنه إذا كان الأمر في الأمم السالفة ينتهي إلى إلغاء الشريعة بعد معارك عنيفة بين الرسل وأممهم ، فإن هذه الشريعة قرآناً وستة سنحفظها ولن ينال الكافرون من كيدهم إياها إلا خساراً ، لأنه وعد الله ولن يخلف الله وعده وكان أمر الله مفعولاً .

وعلى ذلك فإن الذكر في الآية مراد به الشريعة على ستة المجالات السالفة بين الرسل والأمم ، ويكون الضمير في قوله « له » عائد على الشريعة بمصدرها الأساسيين القرآن ، والسنة ، إذ لا شريعة إلا بمصدر ، ومصدر الشريعة في الإسلام القرآن الكريم والسنة المطهرة .



لكن بقی أن يقال : كيف يعود الضمير على القرآن والسنة معاً ولم يذكر إلا القرآن وحده ؟ ولكننا نجد في القرآن نفسه استعمالاً للضمير استناداً على ما يفهم من السياق ، ومدلولات الحديث ، يشهد بهذا قوله تعالى :  
« إنا أنشأناهم إنشاء فجعلناهم أبكاراً عرباً أتراباً » .

فتلك صفات الحور العين مع أنه لم يجر لهم ذكر في قسم أصحاب الجن في سورة الواقعة ، ولكن السياق العام للسورة وما ذكر في الأقسام السابقة يجعل الذهن يبرك أن الضمير عائد على أمر مفهوم من الفحوى ، والسياق والأسلوب .

كذلك يقوى هذه الشهادة في استعمال القرآن الضمير على ما يستند على الأسلوب والفحوى قوله تعالى :

« حتى توارت بالحجاب » . . . ( سورة ص )

ففي ( توارت ) ضمير فاعل يعود على الشمس مع أنه لم يجر لها ذكر في السورة بالنص ، ولكن السياق العام يجعل على أن الضمير عائد على الشمس ، وما معنا في آية الحجر من هذا القبيل ، والكل استعمال قرآني تزكيه اللغة ، ويقويه الإعراب القرآني فليس هناك وجه للاعتراض ، وعليه يسلم تفسير الذكر بالشرعية قرآناً ، وسنة .

ثانياً :

نسلم لكم أيها المعاندون لحجية السنة أن المراد من الذكر هو القرآن الكريم ، وأن الضمير في قوله تعالى : « له » عائد على القرآن المراد منه الذكر ، ولكن الحصر الذي تستدلون به على أن السنة لم تدخل في دائرة الحفظ لقصره على القرآن فقط ، وترتبون على هذا الحصر عدم صحة الاحتجاج وأنها ليست مصدراً من مصادر التشريع . . .

هذا الحصر ليس حصراً حقيقياً بل هو حصر ادعائي ؟

والدليل على أنه ليس حصراً حقيقياً ما يلي :

١ — أن الله يحفظ السموات والأرض أن تزولا . . يقول تعالى :  
« إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أُمْسِكَهُمَا  
مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا » . . . (٤١ فاطر)  
ويقول جل شأنه :

« ولا يثوده حفظهما وهو العلي العظيم »

٢ — وقد حفظ الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من القتل . . يقول  
الله تعالى :

« والله يعصمك من الناس »

وإذا فسدت حقيقة القصر فقد فسد المترتب عليه : وهو عدم الاعتراف  
بحجية السنة .

إذ انتقال الحصر إلى ادعائي يجوز أن يكون الله سبحانه وتعالى قد  
وعد بحفظ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ضمناً إذ القصر الادعائي يقصد  
به المبالغة مع شمواء لأشياء أخرى .

وإذن : فيكون وعد الله بحفظ السنة داخلاً في مضمون حفظه للقرآن  
إذ السنة توضيح ، وتبيان ، لما في القرآن الكريم ، يقول الله تعالى :  
« وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم »

الثالث :

على أن الحصر في الآية بطريق تقديم الجار والمجرور وهو في علم  
المعاني من الدرجة الثالثة في إفادة الحصر ، فلو كان المقصود الأهم هو  
حفظ القرآن وحده لآثر القرآن التعبير :

١ — بالحصر الحقيقي حقيقة .

٢ — أو بطريق ( ما وإلا ) التي تفيد الحصر بالدرجة الأولى .

٣ — أو ( وإنما ) التي تفيد الحصر بالدرجة الثانية على الأقل .

رابعاً :

( ا ) كلف الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبين للناس ما نزل إليهم ؛ فقال تعالى :

« وما أنزلنا إليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » ( ٦٤ النحل )

( ب ) وأوجب على الأمة طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال تعالى :  
« وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » .

( ج ) وجعل طاعة رسول الله طاعة لله ، فقال تعالى :  
« من يطع الرسول فقد أطاع الله » . . . ( ٨٠ النساء )

( د ) وتوعد من يشاقق الرسول ويعانده ، فقال تعالى :  
« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً » . . . ( ١١٥ النساء )

( هـ ) وبعد هذا كله فإن القرآن يضع قاعدة دستورية عامة أمام المسلمين فيقول الله تعالى :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . . . ( ٧ الحشر )

فليس لمعاند بعد هذا الحشد إلا أن يثوب إلى روضة السنة يشقى منها غلة الحاجة ، ويروى منها شرايين الحياة ، فسوف لا تضل أمة نهلت من رياض رسولها ، وسوف لا تظلم أمة تروى حياتها بالماء السلسيل . ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ يرشد الأمة إلى ذلك فيقول :

« تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا من بعدى أبداً : كتاب الله وصنتى » ،

## الشبهة الثالثة

تمهيد :

ومع هذا البيان الواضح الذى يرد على المعاندين لحجية السنة تفاهة شبهاتهم ، فسوف نسترسل معهم فى تبديد سحب السطحية التى تفتح على أصول الإسلام أبواب الشر واسعة ، والله من وراءهم محيط .

بعد أن ساق المخاصمون الأدلة الواهمة الواهية التى حوروها بفهمهم من القرآن - على ما بسطناه فى دراسة ما سلف من الشبه - أوردوا شبهة ظنوا لها سنداً من السنة ، وقبل أن نناقش هذه الشبهة ، أود أن ألفت النظر لى مدى الجهالة التى يضل بها المعاندون فكر الباحثين :

فهم باسم السنة ونصوصها يدعون لرفض الاحتجاج بالسنة عند التشريع والتقنين ، والأفجع من هذا أنهم يتحابلون على بعض آيات القرآن ليحوروا معانيها بهذا التحوير على عدم صحة الاحتجاج بالسنة فى التشريع ، وهذا العمل مع جهالته أخطر منطق عكسى فى التدليل على فساد الشئ بمادته ، نصاً وأسلوباً .

لذلك فإن من الواجب على الدارسين لتاريخ السنة أن يكتشفوا مدى الحقد الذى دفع أولئك المعاندين لتجميع الأدلة ، واصطياد الشبهات . ليفوتوا على المسلمين عصب حياتهم ، ودستور دواتهم ، وبركة العمر والنشاط لأعمالهم ، فيندفعوا فى طاقات مخترنة للدفاع عن حياض السنة التى يروى الله بها حقول الحياة فيرتبط الناس فى مستقبل أعمارهم ، وأجيالهم ، وأعمالهم بما تنظمه السنة من سلوك واتجاهات . . . والله الهادى إلى سواء السبيل .

### ( موجز الشبهة الثالثة )

والشبهة الأخيرة أنهم يقولون : أن الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) نهى عن كتابة السنة فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا تكتبوا عني

ومن كتب غنى غير القرآن فليمححه ، وخذثوا غنى ولا حرج ، من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » - كذلك يقولون : قد ورد من طريق أبي مليكة مرسل أن أبا بكر ( رضى الله عنه ) جمع الناس بعد وفاة الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) وقال : « إنكم تحدثون عن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) شيئاً فمن سألكم فقولوا : بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرّموا حرامه .

وإذا كان الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) نهى عن تدوين السنة ، وإذا كان أبو بكر منع الناس أن يحدثوا عن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) كان مدلول هذا عدم الاحتجاج بالسنة ، والاكتفاء بما فى القرآن الكريم .

### الرد على هذه الشبهة

أولاً :

فى الحديث الذى رواه أبو سعيد الخدرى نقطتان :

١ - أمر رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) بالتحديث عنه دون حرج .

٢ - نهى صلى الله عليه وسلم عن تدوين السنة ومحو ما دون منها .

ومفهوم هذا أن النبى ( صلى الله عليه وسلم ) أمر بحفظ السنة ، بطريق واحد ، وهو طريق : الحفظ والتحديث والرواية عنه ، دون طريق الكتابة والتقييد فى القرطاس .

أما بالنسبة لحفظ القرآن الكريم فقد أمر عليه السلام أن يحفظ بالطريقين

معا :

١ - طريق التدوين والتقييد والكتابة .

٢ - طريق الحفظ والرواية والتلاوة .

وعليه فلا سند للمشتبهين فى عدم الاحتجاج بالسنة من الحديث

المروى عن أبي سعيد الخدري ، فإن عدم تلوين السنة لا ينافي حرص الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) عليها وعنايته بالحفاظ عليها ، غاية ما في الأمر أن حفظ الآثار العليا كالقرآن : له طريقتان ، وله درجتان :

١ - الطريقتان هما :

( أ ) التدوين والكتابة . ( ب ) والتحديث والرواية .

٣ - والدرجتان هما :

( أ ) درجة أولى عليا : بحققها :

الحفظ بالطريقتين السالفتين معا :

التدوين والكتابة .

والتحديث والرواية .

وذلك خاص بالقرآن الكريم .

( ب ) ودرجة ثانية عليا : بحققها :

طريق واحد فقط تمييزاً للقيم وإبرازاً للذوات وهو طريق

الرواية والتحديث ، وهو خاص بالسنة الإسلامية ، وهذا ما قصد

إليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من حفظ السنة .

وعلة ذلك الصنيع هي حرص النبوة الإسلامية أن تبقى ذاتية القرآن

بعيدة عن إيهام اختلاط الأحاديث بالآيات ، إذا اتحدت درجة السنة مع القرآن في

طريق : الحفاظ تدويناً وتحديثاً ، يدل لهذا سيدنا أبو هريرة ( رضى الله عنه )

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآهم يكتبون الأحاديث فقال : ما هذا

الذى تكتبون ؟ قلنا : أحاديث سمعناها منك ، فقال : أكتباً غير كتاب الله

تريدونه ؟ ما أضل الأمم من قبلكم إلا ما كتبوا من الكتب مع كتاب الله ،

فقال أبو هريرة ( رضى الله عنه ) فقلت : أنحدث عنك يا رسول الله ؟

قال : نعم ، حدثوا عني ولا جرح ، فمن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده

من النار ؟

كما روى عن عبد الله بن مسعود قال : « جردوا القرآن ولا تكتبوا فيه

شيئاً إلا كلام الله »

وفي الحديث ووضح لعلته نهى الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) عن تدوين السنة رسمياً بأمر النبوة ، والدولة ، وهى نفس العلة التى جعلت عمر ابن الخطاب ( رضى الله عنه ) وهو أمير دولة الإسلام الشابة القوية يستخير الله شهراً فى تدوين السنة ثم يصبح وقد عزم الله له ، ولكن الرجل مع ما يعرف عنه من قوة العزم ووضوح الذكاء ومعرفته وسائل الدعوة وصيانتها ، تراجع ويقول : إني كنت أردت أن أكتب السنة . وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها ، وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء . »

### ثانياً :

على أن عدم الأمر بكتابة السنة لا ينفي حجيتها كمصدر أساسى للتشريع الإسلامى إذ مصدريتها غير متعلقة بالكتابة والتدوين ، بل متعلقة — على زعمكم أنتم — على الحفظ والعناية ، وهو قدر يكفيه الإذن بالتحديث والرواية والحفظ فى الصدور ، وقد أمر النبي ( صلى الله عليه وسلم ) بذلك دون حرج ، لكن بقى عليكم أن تفهموا مسألة :

١ — طريقة الحفظ .

٢ — ودرجته .

٣ — وغاية الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) من إثارة القرآن بالطريقين والسنة بطريق واحد .

### ثالثاً :

وأما الحديث الثانى الذى يرويه أبو مليكة فإنه يفيد حرص أبي بكر على سلامة متن الحديث من بعض الراوين من غير دقة أو فهم لا سيما وقد دخل فى دين الله من القوم مالا حراماً لهم بالذوق العربى فى الأسلوب ؟ وهذا لا يصطدم مع كون السنة مصدراً أساسياً للتشريع ، لا سيما إذا لاحظنا أن أبا بكر نفسه أنفذ للجدة نصيبها من الميراث مستنداً إلى السنة ،

فعمل أبي بكر بالسنة يوضح مقصده من حديث أبي مليكة. وهو الحرص على سلامة متن الحديث ، وهو أمر لا يتنافى مع موضوع حجية السنة ، ومصدريتها للتشريع .

رابعاً :

على أن الاستدلال بهذين الحديثين مقابل بأحاديث تفيد الأمر بكتابة السنة :

١ - فقد ثبت في صحيح البخارى عن أبي هريرة ( رضى الله عنه ) « أن خزاعة قتلوا رجلاً من بنى ليث عام الفتح بقتيل منهم كانوا قد قتلوه ، فلما علم النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ركب راحلته وخطب الناس فقال : إن الله جب عن مكة القتل أو الغيل وسلط عليهم رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) والمؤمنين ، وأنها لم تحل لأحد قبلي ، ولم تحل لأحد بعدى ، ألا وإنما أحلت لى ساعة من نهار ، وإنما ساعى هذه حرام لا يختل شوكها ، ولا يغضد شجرها ، ولا تلتقط ساقطها إلا لمنشد فن قتل له قتيل فهو بخير النظرين : إما أن يقتل وإما أن يقاد أهل القتيل ، فجاء رجل من أهل اليمن فقال : اكتب لى هذا يارسول الله ، فقال : اكتبوا لآبى شاه . »

٢ - ويؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : قيدوا العلم بالكتابة ، ويعلق الخطيب البغدادي على هذا فيقول : وفى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الكتاب بأنه قيد للعالم دليل على إباحة رسمه فى الكتب لمن خشى على نفسه دخول الوهم فى حفظه ، وحصول العجز عن إتقانه ، وضبطه .

٣ - ويروى أبو هريرة رضى الله عنه وهو يقارن بينه وبين عبد الله ابن عمرو فى العلم والحديث فيقول : ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منى إلا عبد الله بن عمرو ، فقد كان يكتب ولا أكتب .

٤ - وقد اعترض بعض الضحابة على تدوين عبد الله بن عمرو للسنة



فقالوا له : إنك تكتب عن رسول الله ﷺ كل ما يقول ورسول الله ﷺ قد يغضب فيقول مالا يتخذ شرعاً عاماً ؟ فرجع ابن عمرو إلى رسول الله ﷺ فقال له : اكتب عني فوالذي نفسي بيده ما خرج من في إلا حق .  
٥ - ويروى أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رجلاً كان يشهد حديث النبي ﷺ فلا يحفظ ، فيسألني فأحدثه ، فشكى قلة حفظه إلى رسول الله ﷺ فقال له النبي ﷺ استعن على حفظك بيمينك .

يوضح لنا هذا العرض أن للسنة الإسلامية مصدراً أساسياً للتشريع الإسلامي وأن هذه المصدرية لا يقدر عليها :

١ - عدم النص صراحة على حفظها مع القرآن فيما فهمه المشتهرون في قول الله تعالى :

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

٢ - وأن الرسول ﷺ نهي عن تدوينها ، فإن ذلك لا علاقة له بالمصدرية والحجية ، في التشريع بعد الأمر بالتحديث عنه ﷺ .  
٣ - وأن هناك أحاديث ناهية عن تدوين السنة إلا أنها مقابلة بأحاديث أخرى آمرة بتدوينها . ومقابلة كذلك بعمل الصحابة بها بالإجماع .

على أن الفقه العام لتدوين السنة وعدمه هو : عناية الأمة والدولة بالقرآن الكريم عناية فائقة ذاتية لا يشترك معه فيها شيء آخر ، إبرازاً لعظمته ، وإظهاراً لكرامته وقدره وهو حفاظ عليه : بالتدوين والحفظ .  
أما السنة ومنزلتها الثانية بعد القرآن عند النظر في استنباط حكم شرعي فيكفي الحفاظ عليها بالرواية فقط ، حتى لا يشترك مع القرآن في الدرجتين والأسلوبين ، ولا تكفي تتميز ذاتيتها عن القرآن هي الأخرى .

وكل هذا بعيد في دلالته ومفهومه وآثاره عن نبي حجة السنة ، أو إبعادها عن كونها مصدراً أساسياً للتشريع الإسلامي ، وإلا فقد كانت هناك كتابات فردية للسنة لكن لا باسم الدولة ، فإن هدف الدولة الإسلامية في عصر النبوة : الحفاظ على ذاتية القرآن ، والحفاظ على ذاتية السنة ، وانحذت لذلك السبل حسب مقتضيات العصر والظروف .

## وظيفة السنة ومنزلتها

### ١ - وظيفة السنة :

يحدد مجرى الحياة الإسلامية في ظل النبوة وظيفة السنة الإسلامية فقد كان الوحي يترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والحوادث الصغيرة تتولد من حركة النشاط اليومي فيتكفل بشرحها رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) إن لم ينزل بها وحى ، وقد أخبر الله نبيه ( صلى الله عليه وسلم ) أنه أنزل إليه الكتاب ليبين للناس ما نزل إليهم « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » ، فكان رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) يبين ما ما أراه الله من بعض القضايا إما بالقول أو بالفعل أو بهما معاً : أو بالتقرير لفعل الصحابة .

وقد ألزم الله سبحانه وتعالى جماعة المسلمين أتباع الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) في كل ما يشرعه للأمة ، وما يرشدها إليه من فضائل الأخلاق ، وما يسند إليها من سمو في السلوك والأعمال .

يقول الله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ، ( ٧ الحشر )

ويقول جل شأنه : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » ( ٨٠ النساء )  
ويقول سبحانه : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلياً » ( ٦٥ : النساء )

ومن المقرر أن القرآن الكريم ممتلئ بالنصوص والقواعد العامة ، والقضايا الرئيسية التي لها صفة القواعد الكلية المستورية ، وهي تحتاج

إلى تبين ما أجمل فيها ، أو توضيح ما أشكل منها على الفهم ، أو تخصيص ما فيه عام أو تقييد ما فيها من مطلق ، أو شرح ما فيها من موجز ، أو بسط ما فيها من مختصر . . . إلخ ، أو إلحاق الحكم بأحد المتقابلين أو الشبهين أو بغيرهما بطريق القياس . . . إلخ .

وهذه المبادئ الكلية تتدرج تحتها جزئيات كثيرة تحتاج إلى من هو أعلم الناس جميعاً بالقرآن والتشريع ليوضحها أو يفسرها أو يحدد المراد من مطلقها ، أو يلحق الحكم بأحد الشبهين أو المتقابلين . . . إلخ ، وليس في الأمة سوى رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) الأعم بما في القرآن من أسرار التنزيل والتشريع . . . إلخ ، يؤكد هذا ما قاله مطرف بن عبد الله الشخير ، عند ما قيل له : لا تحدثونا إلا بالقرآن فقال : والله ما نريد بالقرآن بدلاً ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن ؟

ومن هذا يتبين لنا ثلاثة أمور :

١ - أن القرآن ممتلئ بالقواعد والكليات الدستورية العامة المجملة أو المطلقة أو المختصرة .

٢ - أن الأحكام الجزئية المتجددة تحتاج إلى عالم بالقرآن يبين حكمها أو يوضحها أو يلحقها بقواعدها الكلية ، إلخ .  
ومع هذا العالم وسيلة التوضيح أو الإلحاق . . . إلخ .

٣ - أن أعلم الناس جميعاً بأسرار القرآن وأصول التفتين هو سيدنا رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ومن هنا يتضح أن : وظيفة السنة هي :

١ - تفصيل المجمال من الكتاب .

٢ - تخصيص العام .

٣ - تقييد المطلق .

٤ - شرح المختصر .

٥ - بسط الموجز .

٦ - توضيح المشكل .

٧ - إلحاق الحكم بأحد :

( أ ) المتشابهين . ( ب ) أو المتقابلين .

( ج ) أو بغيرهما بطريقة القياس مثلاً .

إن وظيفة السنة في أقصر العبارات أنها مبينة حكم الله في القرآن أو في الإسلام ، كما تنص الآية الكريمة .  
« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

وفي هذا الجو ندرك ما قاله الأوازعي : الكتاب أحوج إلى السنة من السنة إلى الكتاب ، على نحو ما يشرحه ابن عبد البر . يريد أنها تقضي عليه وتبين المراد منه ، والإمام أحمد بن حنبل يقول : « إن السنة تفسر الكتاب وتبينه »

ويوضح لنا هذه الوظيفة إدارة رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) مجالات الحياة اليومية للمسلمين بما يكشف لنا وقوع العمل بالسنة كوظيفة لها علاقتها بالكتاب الكريم على نحو ما نهجه هنا إن شاء الله .

#### أولاً - في مجال العبادة :

١ - فرض القرآن الكريم على المسلمين : الصلاة ، والزكاة « أقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة » ولم يبين كيفية الصلاة ، وعدد ركعاتها ، وعددتها هي في اليوم واليلة ، وما يجهر فيه ، وما يسر . . . إلخ . ولكن السنة هي التي وضحت كل ذلك ، يقول النبي ( صلى الله عليه وسلم ) : « صلوا كما رأيتموني أصلي » .

كذلك السنة : هي التي بينت أنواع الزكاة ، ومقاديرها ؟

وفي هذا المقام تروى قصة سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال لرجل : إنك امرؤ أحمق أتجد في كتاب الله الظاهر أربعاً لا تجهر

فيها بالقراءة . . : ؟ ثم عدد عليه الصلاة ونحو هذا ، ثم قال : أتجد هذا في كتاب الله مفسراً ؟ إن كتاب الله أبهم هذا وإن السنة تفسر ذلك .

٢ - ولما نزل قوله تعالى :

« الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون » .  
( الأنعام : ٨٢ )

أشكل أمر هذه الآية على الصحابة رضي الله عنهم إذ فهموا المراد من الظلم مجاوزة الحد ، والخروج عن القصد في كل شيء يبعد الإنسان من الله وعن الأمن فيكون سبباً في الزيغ والضلال ، فقالوا للنبي ( صلى الله عليه وسلم ) : أين لم يظلم فوضح لهم النبي ( صلى الله عليه وسلم ) الظلم بالشرك .

ثانياً - في مجال المال :

١ - لما نزل قول الله تعالى « الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

فهم الصحابة رضي الله عنهم أن مدلول ينفقونها بذل كل ما يصل إلى أيديهم ، ولكن الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) يوضح هذا العام بقوله : إنما فرض الله الزكاة ليظهر بها ما بقي من أموالكم ، فلم يسع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلا أن كبر . ومفهوم هذا التكبير أن الأحداث الجزئية في حياة المسلمين كانت في حاجة ماسة إلى وظيفة السنة لتريح الناس وتبصرهم بأمور الدين .

٢ - وعندما حددت آية الفرائض حقوق الورثة لم تتعرض لتوريث الكافر من المسلم ، ولا العبد من الحر ، ولا القاتل من قتيله ، ولكن السنة هي التي أضافت هذه الأحكام إلى القواعد العليا في القرآن المتعلقة بالموارث التي تنظمها سورة النساء .

٣ - وحرّم الله الربا وكان ربا الجاهلية فسخّ الدين بالدين ، فكان المدين إما أن يربّي أو يقضّي الدين في الحال ولكن السنة تلحق به كل ما

يشارك معه في العلة ، وهي الزيادة من غير عوض فيقول النبي ( صلى الله عليه وسلم ) : الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلاً بمثل ، سواء بسواء ، يداً بيد ، فمن زاد أو ازداد فقد أربى . فإن اختلفت هذه الأصناف ، فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد .

ووسيلة إلحاق هذا الحكم هي القياس للاشتراك في العلة الواحدة ولذلك قالوا : كل ما جر نفعاً فهو ربا .

### ثالثاً - في مجال الجناية :

١ - نظم القرآن الكريم حدود القصاص : قال تعالى :

« وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس » . . . . الآية

« كتب عليكم القصاص في القتل الحر بالحر . والعبد بالعبد والأثني بالأثني » . . . الآية .

وهذه القواعد العامة تفيد عموم وجوب القصاص على كل من ثبت عليه جريمة القتل العمد ولكن الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) يخصص هذا العموم فيقول : « ألا لا يقتل مسلم بكافر »

٢ - وعندما حددت سورة المائدة حكم السرقة : « السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » لم تحدد مكان القطع ، ولا نوع اليد : اليمنى أو اليسرى ومن الكوع أو المرفق أو من نصف الساعد ولكن السنة هي التي حددتها باليمنى ومن الرسغين .

٣ - والقرآن قد حدد مقدار دية النفس ، ولكنه لم يذكر دية الأطراف فبينت السنة ديتها بما هو موضح في كتب الفقه .

والقرآن ذكر دية النفس . والحديث ذكر دية الأطراف فأشكل بينها الجنين الذي يسقط ميتاً إذا اعتدى على أمه : أنه يشبه أطراف الإنسان باعتباره حملاً في بطن أمه ، ويشبه النفس باعتباره مستقبلاً لإنساناً .

فبينت السنة أن دية الجنين غرة : عبد أو أمة ، وأن له حكم نفسه لعدم تمحص أحد الطرفين له : التبعية للأُم أو الذاتية . وهو إلحاق للحكم بأحد الشبهين .

#### رابعاً - في مجال الأسرة :

١ - ذكر القرآن المحرمات من النساء على نحو ما تنص عليه آية النساء « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم التي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً » (٢٣ : النساء).

من ضمن المحرمات الجمع بين الأختين وما سوى ذلك بعد ما حرّمته الآية فحلال : لكن هنا ما هو مساو للجمع بين الأختين : المرأة وعمتها ، المرأة وخالتها . . . . فتدخلت السنة وبيّنت أن الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها حرام مثل الجمع بين الأختين ، لاتحاد العلة ، يقول الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) « فإنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » .

٢ - والله حرم من الرضاعة : أم الرضاع ، وأخوات الرضاعة ، ويزيد النبي المسألة توضيحاً فيحرم سائر القربات من الرضاعة اللاتي يحرم من النسب مثل العمة من الرضاعة والخالة من الرضاعة وبنات الأخ من الرضاعة وبنات الأخت من الرضاعة . إلخ .

وفي الحديث : « إن الله حرم من الرضاعة ما حرم من النسب » وإلحاق هذين الحكمين طريقه القياس : وهو الاشتراك في العلة الواحدة .

٣ - أمر الله نبيه ( صلى الله عليه وسلم ) أن الطلاق للعدة في قوله تعالى :

« يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن »

وكان ابن عمر قد طلق زوجته وهي حائض فقال النبي ( صلى الله عليه ) عليه وسلم ) لعمر بن الخطاب مره فليراجعها ثم يتركها حتى تطهر ، ثم تحيض ثم تطهر ، ثم إن شاء بعد ، وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء ، وهذا تفسير من السنة لما أوجز من الأحكام في القرآن .

٤ - وعدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر بنص القرآن الكريم « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا » ، وعدة الحامل المطلقة وضع الحمل بنص القرآن الكريم : « وأولات الأجمال أجلهن أن يضعن حملهن » .

ولكن ما حكم الحامل المتوفى عنها زوجها ؟ أربعة أشهر وعشرا كما تنص الآية الأولى ؟ أو وضع الحمل كما تنص الآية الثانية ؟ .

« سبعة الأسلمية » توفي عنها زوجها وهي حامل ، ثم وضعت بعد نصف شهر من وفاة زوجها فأخبرها النبي ( صلى الله عليه وسلم ) أن قد حلت وانتهت عدتها ، فبين ذلك :

— أن الآية الأولى خاصة بالمتوفى عنها زوجها غير الحامل .  
— وأن الآية الثانية عامة في كل امرأة حامل مطلقة أو متوفى عنها زوجها .

وهو شرح وتبيان وتفسير لما يشكل أمره على عقول المستفسرين .

خامساً - الحاجيات اليومية :

١ - أحل الله الطيبات وحرم الخبائث ، وبين هذين الأصلين :

الطيب الحلال ، والخبث الحرام ، أشياء لم يوضح القرآن علاقتها بأحد الأصلين ، فبينت السنة ذلك ، فنبى رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) عن أكل كل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير ونهى عن أكل لحم الحمر الأهلية وقال : إنها رجس .



٢ - والله سبحانه وتعالى : أحل صيد البحر وحرم الميتة ، فبقيت بينهما مسائل لم تتعلق بأحد الحكمين مثل : ميتة البحر ، هل هي من صيده الحلال ؟ أو هي من الميتة الحرام ؟

فبين الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) أنها من صيده الحلال ، بقوله :  
« هو الطهور ماؤه الحل ميتته » .

٣ - وحرم الله الميتة وأباح الذبيحة فبقى الجنين في بطن أمه المذبوحة دائراً بين الحل والحرمه ، فبين النبي ( صلى الله عليه وسلم ) حكمه فقال :  
ذكاة الجنين ذكاة أمه . وإلحاق هذه الأحكام بقواعدها إلحاق لأحد المتقابلين .

وبهذا نضع أيدينا على الأحكام العملية التي أدارت بها السنة الإسلامية شئون المسلمين ، بما يوضح لنا أن وظيفة السنة بالنسبة للقرآن الكريم هي الشرح ، والتوضيح ، والتفسير ، والتبيين ، وأن وظيفة السنة بالنسبة للبشر إنباء الطريق للسالكين إياه إلى الله على هدى وصراط مستقيم .

وصدق الله العظيم .

« من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً »  
( النساء : ٨٠ )

« إن إلينا إيابهم ، ثم إن علينا حسابهم » ( ٢٥ - ٢٦ : الغاشية )  
« وإلى الله ترجع الأمور » .

## منزلة السنة من أنفraz الكوليم

منزلة السنة من حيث الوظيفة قد عرضناها عليكم بالنصوص والشرح أنها موضحة ، ومبينة ، وشارحة ومفصلة ومرجعة بعض الأحكام إلى أحد الشبهين أو أحد المتقابلين أو منشئة حكماً بالقياس والاشتراك في وحدة العلة . . . إلخ ، ومفهوم هذا أن السنة دليل الفهم للحكم المراد من القرآن الكريم .

يروى أن امرأة من بني أسد أتت عبد الله بن مسعود فقالت : « يا أبا عبد الرحمن بلغني عنك أنك لعنت الواشمات ، والمستوشمات ، والمتنمقات والمتلفجات للحسن المغيرات خلق الله فقال : وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) وهو في كتاب الله ، فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لومحي المصحف فما وجدته ؟ فقال : لأن كنت قرأته وجدته ، قال الله عز وجل :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

ومفهوم هذا أن ما حرم رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) مثل ما حرم الله . ومغراه أن مرتبة السنة في قيمة الحكم هي قيمة القرآن الكريم ، فما أحله رسول الله له قيمة الحلال في القرآن الكريم ، وما حرم رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) له قيمة الحرام في القرآن الكريم .

ولكن استنباط الحكم من المجتهد تكون السنة في المرتبة الثانية بمعنى :  
١ - أن النظر يكون أولاً في كتاب الله .

٢ - فإن لم يجد في كتاب الله ينظر في سنة رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ، وهذه المرتبة الثانية مفادة من محادثة سيدنا معاذ بن جبل رضى الله

عنه مع سيدنا رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) حينما بعثه إلى اليمن وسأله :  
بِمَ تقضى ؟ قال : بكتاب الله قال : فإن لم تجد ؟ قال : فبسنة رسول الله ،  
قال : فإن لم تجد قال : أجتهد رأى ولا آلو ، قال النبي ( صلى الله عليه وسلم ) :  
الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى الله ورسوله .

ومعناه : أن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) يحدد للمجتهد منهج الاجتهاد :  
١ - النظر فى القرآن أولا ٢ - ثم النظر فى السنة ثانيا .

وهذا أخذت السنة الإسلامية المرتبة الثانية فى النظر عند استنباط  
الحكم الشرعى من الأدلة . أما قيمة الحكم نفسه فهو مثل ما حرم الله ،  
ومثل ما أحل الله ويقويه قول الله تعالى :

« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم فاتموا » ( ٧ : الحشر )

« من يطع الرسول فقد أطاع الله » ( ٨٠ : النساء )

« وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » ( ٢ - ٣ : النجم )

« وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم » ( ٤٤ : النحل )

وهذا تلفت أنظاركم :

إلى أن حكم رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) مثل حكم الله سواء  
بسواء ، وأن مرتبة السنة فى التحليل والتحريم مثل القرآن سواء بسواء .  
وأن مرتبة السنة ثانية بعد القرآن عند النظر فى الاجتهاد واستنباط الأحكام  
من الأدلة .

والله الهادى إلى سواء السبيل .

## أقسام السنة الإسلامية

يقسم العلماء السنة الإسلامية إلى قسمين رئيسيين : ثم إلى أقسام عدة بوجه عام :

القسمان الرئيسيان :

١ - السنة تشريع ملزم . ٢ - السنة تشريع غير ملزم .

( أ ) ويقسمون السنة الملزمة إلى :

١ - تشريع ملزم عام . ٢ - تشريع ملزم خاص .

ويحتوى التشريع الملزم على :

١ - تشريع خاص بالعقيدة .

٢ - تشريع خاص بالأخلاق .

٣ - تشريع خاص بالأحكام العامة . . . إلخ .

( ب ) ويقسمون السنة غير الملزمة إلى أقسام عدة تتعلق بشئون الحياة الفردية أو الجماعية التي لا ترتبط بمبدأ تشريعى ملزم :

١ - كتدبير شئون السياسة العسكرية .

٢ - وحاجيات الفرد في نظام أكله ونومه وشربه .

٣ - والتجارب الخاصة بالعمل كالأزراعة ، والطب ، والثقافة . إلخ .

وتوضيح ذلك فى :

١ - السنة الملزمة :

إن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) صدر عنه مجموعات من الأحكام

الشرعية التي تتعلق بذمة المكلفين ، هذه الأحكام صدرت بناء عن عدة أوصاف للنبي ( صلى الله عليه وسلم ) .

١ - بوصفه رسولا مبلغاً عن الله شرعه وأحكام دينه .

٢ - بوصفه رئيساً للدولة حفيظاً على شئونها ، راعياً لها .

٣ - بوصفه قاضياً بين الناس في المنازعات والخصومات .

ومن هنا فإن السنة الملزمة تنقسم إلى عام فيما يتعلق بالأحكام الملزمة لجميع المكلفين وهو ما فصل أو فسر مجمل القرآن وموجزه . . . إلخ ، وخاص فيما يتعلق بتصرفات الرياسة والقضاء .

ومحل هذا التقسيم : أن السنة الملزمة تنقسم إلى ثلاثة أقسام تفصيلية :

القسم الأول : ما يصدر عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) بصفته نبياً ورسولاً ومبلغاً عن الله شرعه وحكمه إلى الناس على نحو ما وضعناه في وظيفة السنة ، وهذا القسم تشريعه ملزم عام إلى يوم القيامة ، لا يتوقف على شيء سوى العلم به ، فإذا قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يبيع الرجل على بيع أخيه » وإذا نهي ( صلى الله عليه وسلم ) أن تنكح المرأة على عمها أو خالتها فعناه : أن هذا شرع ملزم دائم عام في ذمة المسلمين إلى يوم القيامة لا يسع المسلمين في نظر الإسلام إلا أن يأخذوا به وإن رغبوا عنه فقد ابتعدوا بأنفسهم عن المحجة البيضاء . .

القسم الثاني : ما يصدر عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) بوصفه رئيساً للدولة مثل : إرسال الجيوش ، وتصريف رأس المال في الدولة وتعيين الولاة والقضاة ، وتقسيم الغنائم والنفء ، وإبرام المعاهدات ... إلخ ، في كل ما له صلة بالسياسة الداخلية للدولة ، أو السياسة الخارجية للجماعة الإسلامية ، وكل ما له صلة بحفظ الدولة وتدبير مصالح الرعية ، وهذا القسم : إن كانت الوقائع فيه تطبيقاً لمبدأ دستوري أو فقهي في القرآن كان شرعاً عاماً .

وإن كان بصفة الرياسة الخالصة بعيداً عن تبليغ وحى الله أو تنفيذ

شرعه : مثل مشاورته عليه السلام في حفر الخندق يوم الأحزاب ، والاستراتيجية يوم بدر . . فهو شرع خاص ، بمعنى أنه لا يجوز لواحد من المسلمين أن يقدم على فعله إلا بحصول إذن من رئيس الدولة .

يقول فضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت بعد أن ذكر هذا القسم في كتابه « الإسلام عقيدة وشريعة » : وحكم هذا أنه ليس تشريعاً عاماً فلا يجوز الإقدام عليه إلا بإذن الإمام وليس لأحد أن يفعل شيئاً منه من تلقاء نفسه بحجة أن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) فعله أو طلبه اهـ .

القسم الثالث : ما يصدر عن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) بوصفه قاضياً في المنازعات بين الناس ، وهذا القسم يحدد سيدنا رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) منزلته التشريعية فيقول : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ، فلفل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأحسست أنه صادق فأقضى له على نحو ما أسمع فن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو ليتركها » ( رواه مالك والشيخان وأصحاب السنن )

وهذا طبعي في المنازعات الصغيرة التي لا حكم لها في القرآن ولا في السنة على وجه التكليف .

وحكم هذا القسم أنه ليس تشريعاً عاماً ، فيتقيد القادم عليه بإجازة الولي ، ومعناه : أن الإلزام لا يكون إلا بحكم جديد في الحوادث التي تشابه مع قضاء رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ذلك : لأن أخذ الحقوق عند التجاحد حتى في عهد رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) كان بحكم قضائي جديد فلا استثناء في قضية جديدة بحكم سابق لمثلها .

## ٢ - السنة غير الملزمة :

وخلاصة هذا القسم أن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) أشار برأيه الشخصي في بعض ظروف الحياة المعيشية التي لا مدخلية لها في التكليف أو التشريع ولا تقضى ظروفها سن حكم أو تشريع قانون ، فمثلاً يروى البخاري

عن ابن عباس رضى الله عنه أن النبي ( صلى الله عليه وسلم ) قال : « الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار ، وأنهى أمتي عن الكي » وهذه أمور طيبة تصلح بالتجربة في الظروف الخاصة بالبيئة فإن العارفين بالشئون الصحية يقولون :

إن القصد أنفع في البلاد الباردة ، والحجامة أنفع في البلاد الحارة ، فإذا قرأ المسلمون في البلاد الباردة هذا الحديث فهل يلتزمون به على أنه شرع عام ؟ كلا ، لأن السنة هنا تتكلم بناء على التجربة الخاصة في البيئة الخاصة ، وكذلك شرب العسل قد يكون شفاء لبعض الناس وداء للبعض الآخر ، فإن الأبدان تختلف والطبائع متباينة وإنما فقه الحديث : أن الشفاء لبعض الناس في بعض البيئات قد يرتبط بإحدى هذه التجارب الطيبة ، ولا يمنع أن يكون الشفاء في غيرها، ولا يمنع أن يتخذ المسلمون وسائل الشفاء حسب مقررات الطب ومعلوماته عن الإنسان في البيئة الطيبة الخاصة ، وهذا القسم غير الملزم يتعلق بنواح ثلاثة :

- ١ - الحاجة البشرية اليومية المتكررة تلقائياً مثل النوم والأكل .. إلخ .
- ٢ - التجارب العلمية المتعلقة بالطب والزراعة والتعليم والتجارة .. إلخ .
- ٣ - التدبير الاستراتيجي العسكري ونظام الجيش ، والتكتيك الحربي والإمداد والتأمين ... إلخ .

فهذه المجالات كل ما يرد فيها عن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فهو سنة خاصة بأحداثها وأزماتها ، وليس تشريعاً عاماً يناط بدمه الأمة ، وحول هذا يقول النبي ( صلى الله عليه وسلم ) : أنتم أعلم بأمور دنياكم .

فنأخذ به تبركاً وتيمناً برسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) كتب الله له تحقيق المأرب ، وجنبه مصارع سوء ، وهده سواء السبيل .

فله جنود السموات والأرض . ومن تركه فلا إثم ، ولا تريب عليه  
والله أرحم الراحمين .

لكن بقی علينا أن نفهم : أن الإسلام يحترم في البشرية عقولهم ويدفعهم  
إلى العمل بما أودعه الله فيهم من الذكاء وأن يكون عملهم مقترنا بطاعة  
الله تعالى ، ولذلك : فإن المسائل التي ترتبط بحياة الدولة سياسياً وعسكرياً ،  
أو بحياة الأفراد لم يحفل الإسلام بشرحها تفصيلاً ، حتى لا يعيش المسلمون  
عالة على التشريع في كل شيء ، ويعطلون فيهم العقل والذكاء ، بل اكتفى  
الإسلام بالخطوط الرئيسية فحدد الدائرة في كل مجال تتجدد فيه الحركة ،  
ويتعدد فيه النشاط ، على أساس أن تكون الحركة في هذا المجال داخل هذه  
الدوائر ، وأن تكون مصاحبة للخلق الإسلامي ، وفي هذا الجو نفهم :

١ - معنى قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنتم أعلم بأمور دنياكم .

٢ - كما يظهر لنا أن التوكل على الله غير التواكل .

فالأول : حركة مع الإيمان .

والثاني : عالة مع تعطيل .

والأول : دعوة الإسلام .

والثاني : بحافيه الدين وعمقته طبع البشر .

فسددوا وقاربوا ، وشمروا واعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله  
والمؤمنون ، ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقتاتوا ، ولا تضيقوا على الناس  
رحمة الله ، ولا تفسدوا على الإسلام أنه دين الرحمة .

وقد قال (صلى الله عليه وسلم) : لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك .

فالله هو الرحمن الرحيم وقد كتب على نفسه الرحمة .



والنبي ( صلى الله عليه وسلم ) بعثه الله رحمة للعالمين .  
« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »  
ونحن أمة الرحمة : الراحمون يرحمهم الرحمن ، ومن لا يرحم لا يرحم .  
فكونوا للسنّة شهباً تضيء ولا تحرق ولا تحجروا على الناس كثيراً .  
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

## ٢ فالعَمَلُ بالسُّنَّةِ وأحوال المستشرقين

- ١ - الوازع الديني في نفوس المسلمين بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.
- ٢ - موقف الصحابة من السنة .
- ٣ - منهج الصحابة في صيانة السنة .
- ٣ - موقف الأحزاب : الخوارج ، الشيعة ، المعتزلة .
- ٥ - المستشرقون والسنة .



## الوازع الديني في نفوس المسلمين

بعد

سَيِّدِنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

الدارسون للسنة الإسلامية يوقفهم ألم مر منيت به الأمة الإسلامية بعد نبيا (صلى الله عليه وسلم) بفترة وجيزة .

فبينما كان الدين هو الرائد للفرد والجماعة في ظل النبوة والخلفتين من بعده ، كان الناس قد أخذوا في نفوسهم جذوة العقيدة بما اشتهوه من لذائذ الحياة ، واستباحوا لأنفسهم من الخوض في الفروع التي آثروها على صيانة الأصول ، فجعلوا أهواءهم أئمة وتركوا الدين وراءهم ظهرياً ، بل تجشم فريق من الهالكين في الغي إسناد هواهم بنصوص من الدين ، فلما أعوزهم الحق ، كذبوا وافتروا ، فوضعوا الأحاديث ، وأولوا في آيات الله فبئس ما كانوا يصنعون ، ونحن إذا استعرضنا تاريخ الدعوة الإسلامية نجد ظاهرتين متعاقبتين :

الأولى : الدين يسوس الدنيا .

الثانية : الدنيا تسوس الدين .

الظاهرة الأولى : تتمثل في كنف النبوة ، ومدة الخلفتين ( البكرية ، والعمرية ) .

الظاهرة الثانية : تتمثل في تأمر ( اليهود ، والنصارى ، والفرس ، والمنافقين ) على وأد الدولة الإسلامية تعبيراً عن الكراهية الدينية للإسلام ، الذي أنهى دولة الشرك ، وأنشأ أمة تسوي بين الناس .

وتوضيح هذا . . .

أن الأحداث في معية الظاهرة الأولى توضح المدى الكبير لسيطرة  
الوازع الديني على نفوس المسلمين ، وأخذهم بقواعد الدين ، في جميع  
ظروف الحياة .

ففي سقيفة بنى ساعدة ، شهد التاريخ أروع مجلس نيابي لانتخاب  
أول خليفة للإسلام ، في التعبير عن الرأي بـ ( أسلوب مهذب ، وأدلة  
تساند الحق بلا تجريح ولا أنانية ) .

فالفريقان ( المهاجرون ، والأنصار ) يريان أهلية كل منهما لتولى  
الخلافة ، ومع كل فريق أدلته — لكن المسألة ليست مسألة أهلية وحسب ،  
بل هي مسألة أولية معروفة للناس في التاريخ ، والعرف ، والإدارة ،  
وقد عرف الناس أن قريشاً هي سادنة البيت ، وأميرة بلاد العرب ، فإذا  
تولت الخلافة اجتمع الشمل واحترم الرأي عند الناس أنجمنين ، أما  
إذا تولاها الأنصار مع أهليتهم لها ، فإن كانت في جانب الخزرج نفست  
عليهم الأوس ، والعكس صحيح ، فينصدع أمر الأمة ويهزأ بالدولة ، وإن  
كان الأمر شركة كان ذلك ( الوهن والضعف والفساد ) الذي ينهى في  
عجل عمر الدولة . . .

وتتم الخلافة دون دم يراق ، بل دون كلمة نائية تذكر ، أو عرض  
يخدش أو تولد حزبية ، أو طائفية . . .

وتنشط الأمة كلها لمواجهة الخطر المحدق بها :

١ — المتنّبون: مسيلمة الكذاب ، وبجاح ، والأسود العنسي . وغيرهم .

٢ — المرتدون الذين كفروا بحقوق عيال الله في الزكاة التي يعتبرها

الإسلام أساس العدل الاجتماعي في رعاية المحاييج . . .

ويثبت التاريخ صحة هذه النظرية :

( أن العرب لا تدين إلا لهذا الحى من قريش ) فينطلق الجيش الإسلامى

ليقضى على فتنة المتنبيين الكاذبين ويرغم المعاندين المرتدين على الإيمان بحق المجتمع في الرعاية ، ووجوب العدل الاجتماعى للفقراء والمساكين وفى سبيل الله والسائلين وفى الرقاب وابن السبيل ، إلخ .

ومع هذا الجهد : تجاه المتنبيين والمرتدين فقد حققت الخلافة الأولى أنخص خصائص أصول الدولة :

فجمعت القرآن الكريم ، دستور الأمة ، ومصدر تشريعها ، وزادها الثقافى الأصيل .

ومن بعد هذه الخلافة التى كانت تعتبر امتداداً لأعمال تثبيت الدولة الناشئة . . . كانت الخلافة العمرية : تلك الخلافة الباسلة الجريئة التى فتحت باعها تنشر دين الله فى آسيا ، وأفريقيا ، فتحوّلت صورة المعتنقين للإسلام من الشكل الفردى أو الجماعى إلى شكل جغرافى دولى : بمعنى أن الدول والأمم التى شربت الذل من كأس الإهانة تحست سيطرة الروم والفرس رحبت بالإسلام ديناً يكسبها الحرية والعدل والمساواة ، والإنسانية ، دون ما ثمن إلا أن يشهدوا : ( أن لا إله إلا الله . وأن محمداً رسول الله ) فإن هذه الشهادة هى عصب الحرية التى تجعل الناس جميعاً عبيداً لله ، وأن الله وحده هو صاحب الملك والجبروت ، والناس من بعد ذلك أكفاء لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى ، والمسلمون إخوة : كل على صاحبه حرام : دمه ، وماله ، وعرضه ، وهم مع أنفسهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، يتناصحون بالمعروف ولا يصرفهم عن الجهر بالحق صداقة ، ولا رياسة ، ولا مجاملة ولا فضل . إلخ . تلك سمة المجتمع : بناؤه عمداً فى كيان الدولة الجديدة والأمة الجديدة ، يبنون بروح لا تعرف فى دينها ، ولا فى أخلاقها ضعفاً ولا خداعاً ولا خيانة ، ولا اختلافاً . . .

وبناؤه بالشرع الجديد ، والحضارة الرفيعة الأولى فى عمر الأرض والحياة . كأنهم ما تكون خطة البناء عزماً وقدرة ، وعلماً وفهماً ، وإخلاصاً .

ويرتفع فوق كل ذى مصلحة خاصة : فوق حب الآباء والأولاد والحياة وفوق ذلك الحب يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

ولكن البشر غير متحدين فى قيمة الحب للخير ، والعمل للسلام . وكذلك ليس البشر على قدر واحد فى تقبل حياة الخير ، والعمل من أجل السلام ، فلم يرتض اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والمنافقون ، الحياة الفاضلة التى عاشوها فى كنف الإسلام ، فأغروا صدورهم بالحقده عليه وتمنوا منه الثأر للممالك التى محاها الإسلام ، وكانوا يعيشون فيها أذلة ، وعبيداً . . . فتجمعوا فى مؤتمر ضم مندوبين عنهم :

كعب الأحبار	اليهود
المهرمان	أمير الأهواز
جفينة الأنصارى	الرومى
فروز الفارسى	العجمى

وقرر المؤتمر اليهودى ، الرومى ، الفارسى ، المنافى ، تحطيم كيان الدولة الإسلامية ، ورأوا أن ذلك يبدأ بأول خطوة جريئة وهى : قتل عمر بن الخطاب الذى أفسح للإسلام فى ديار الفرس ، والروم ، ورسموا الخطة ووقع القضاء المبرم ، وقتل أبو لؤلؤة المجوسى عمر بن الخطاب ، فأذن مؤذن الهدم فى آذان المؤتمرين ، فتلقفوا المسألة ، وجيشوا الأعداء ، وثاروا على عثمان ، وقتلوه كما قتلوا من قبله عمر بن الخطاب . . . ثم اصطنعوا القضية بروح جديدة فأغروا على قتال على بن أبى طالب (رضى الله عنه) الذى أجمعت الأمة على خلافته ما عدا الشام ، ومصر ، وهما بحكم الشرع يجب أن يخضعوا إلى رأى الأمة ، صيانة للوحدة الكلية التى وصف الله بها أمة الإسلام . وناداهم بهذا العنوان :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » . . . ( ١١٠ : آل عمران )

ولكن مشاغل الحياة ، وطموح الشباب ووسوسة الشيطان ، ورقة  
هوى العيش ، ومتع النعيم ألقت عقول الناس وذهبت عروة الدين فصار  
الناس يتعشقون الملك والرياسة والنعم ، وأصبح الدين عندهم في المركز  
الثاني فتفتحت عين معاوية على حرب علي بقميص عثمان فانقسمت الأمة  
إلى حزبين : حزب مع معاوية ، وحزب مع علي .

وفي صيفين دارت المعركة وقارب علي بجيشه على النصر ولكن المؤمنين  
على تحطيم الدولة الإسلامية المتمدنين سفك الدماء الزكية مخلقون قضية  
التحكيم إلى القرآن ، ومع رفض علي رضى الله عنه لها ، فقد أرغمه فريق  
من جيشه - المتبصر - على قبولها ، وتلك خيانة لأن الذي يقبل الهدنة هو  
الجيش الضعيف الذي دالت قوته ولحقه العجز أما الجيش المتبصر فإنه  
متشوف للحظة الأخيرة التي يتم له فيها حلاوة النصر ، فإذا رأينا جيش  
على يتقهقر بعد القرب القريب من النصر ، ويستجيب لفكرة الخصم  
بقبول التحكيم - ومع رفض علي وهو رئيس الجيش الذي يجب أن يطاع  
فإنهم قهروا رأيه وألزموه بالقوة أن يوافق ، ووافق الرجل وفوض عنه  
عبد الله بن عباس وهو عالم ذكي ، وشاب جذع متين ، يصارع الرأي  
بالرأي ، ويقابل الحجة بالحجة ، ولكن المؤمنين على تحطيم الإسلام  
يجبرون علياً على أن ينيب عنه أبا موسى الأشعري ، وهو رجل كبير في السن  
والمسألة يعوزها قوة الدليل ، وسعة التمرس بالمجادلة ، وفقه القضايا  
المستورة ، وتحديد اللفظ المعبر عن المعنى المراد ، وتلك مسائل لا يقوى عليها  
عقل الشيخ ، وقبل علي بعد أن نصح وأرشد لو كان يطاع لقصير أمر ؟  
ولكن المسألة في رعوس القوم مسألة لإنهاء الإسلام والخلاص من كبار  
المحافظين عليه .

وبعد التحكيم الذي قبله جيش علي ، والذي ألح علي على قبوله .  
وبعد التحكيم الذي عين فيه جيش علي واحداً من الفارسين مندوباً  
عن علي .



وبعد التحكيم الذى تولى كبره جيش على . . . نخرج فريق على على  
وتشيع فريق لعللى ؛ وعلى من كليهما يرى .

وهنا نرى قواعد الدين تنسى ، أو تناسى ، وتظهر السنة السوء  
تظعن الصحابة ، ولا تبالي بنهى النبي ( صلى الله عليه وسلم ) عن ذلك  
« إذا ذكر أصحابي فأمسكوا » ، ويتناول الجاهلون على الأفاضل الأجلاء :  
صحابه رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ولو أنهم كانوا مسلمين حقاً  
لا لزموا بحسن الأدب واحترام الصحبة ، والجهل بالحق فى مسألة الخلافة  
كما حدث فى سقيفة بنى ساعدة ، فإن طابع الخلق هو مبدأ الإسلام فى  
كل مناقشة ، ولكن القوم كانوا قد عزموا على التحلل من ربة الإسلام ومن  
قيوده ، وعشقوا محبة السوائم فهموا ليطفثوا نور الله بأفواههم فصنعوا  
للمذهبهم نصرة من دين الله فلما أعوزهم الدليل كذبوا على رسول الله  
( صلى الله عليه وسلم ) فوضعوا الحديث ، وافتروا النسبة إلى رسول الله  
( صلى الله عليه وسلم ) فبئس ما صنعوا والله من ورائهم محيط .

وهذا العرض يتبين لنا أن السنة هوجمت من حزب الخوارج ،  
ومن حزب الشيعة ، كما أنها مشجت بأخلاق الهوى الخارجى الشيعى ،  
ولذا فإن منهج الدراسة للسنة فى هذه المرحلة أعنى مرحلة عناية الأمة  
لإسلامية فى الحفاظ على السنة ، وتنقيتها ، تتطلب إطاراً خاصاً فيه :

( ١ ) موقف الصحابة من السنة ، من حيث :

١ - تلقى سنة رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) .

٢ - تقبلهم العمل بسنة رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) وحرصهم  
على تلقينها .

٣ - صيانتهم سنة رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ومنهجهم فى  
معرفة السنة من بعد النبي ( صلى الله عليه وسلم ) .

## (ب) الأحزاب والسنة :

- ١ - موقف الخوارج من السنة .
- ٢ - موقف الشيعة من السنة .
- ٣ - موقف المعتزلة من السنة .
- ٤ - متى بدأ الوضع في الحديث : أسبابه ، ودوافعه ، وآثاره .
- ٥ - موقف المستشرقين من السنة .

## (ج) منهج العلماء في تنقية السنة وضبطها :

- ١ - التدوين .
- ٢ - قواعد التحديث ، وضوابط الوضع . . . إلخ .

## (د) العلماء ، والكتب ، ومناهجهم :

هذا هو الموضوع الذي نبحثه في هذا الفصل ، ونحاول فيه أن نعرض عن طريق موجز ، إلى بعض من أهم العلماء الذين ساهموا في تنقية السنة وضبطها ، وإلى بعض من أهم الكتب التي ألفوها في هذا الشأن ، وإلى بعض من أهم المناهج التي اتبعوها في هذا العمل .

ونحاول في هذا الفصل أن نعرض عن طريق موجز ، إلى بعض من أهم العلماء الذين ساهموا في تنقية السنة وضبطها ، وإلى بعض من أهم الكتب التي ألفوها في هذا الشأن ، وإلى بعض من أهم المناهج التي اتبعوها في هذا العمل .

ونحاول في هذا الفصل أن نعرض عن طريق موجز ، إلى بعض من أهم العلماء الذين ساهموا في تنقية السنة وضبطها ، وإلى بعض من أهم الكتب التي ألفوها في هذا الشأن ، وإلى بعض من أهم المناهج التي اتبعوها في هذا العمل .

ونحاول في هذا الفصل أن نعرض عن طريق موجز ، إلى بعض من أهم العلماء الذين ساهموا في تنقية السنة وضبطها ، وإلى بعض من أهم الكتب التي ألفوها في هذا الشأن ، وإلى بعض من أهم المناهج التي اتبعوها في هذا العمل .

ونحاول في هذا الفصل أن نعرض عن طريق موجز ، إلى بعض من أهم العلماء الذين ساهموا في تنقية السنة وضبطها ، وإلى بعض من أهم الكتب التي ألفوها في هذا الشأن ، وإلى بعض من أهم المناهج التي اتبعوها في هذا العمل .

ونحاول في هذا الفصل أن نعرض عن طريق موجز ، إلى بعض من أهم العلماء الذين ساهموا في تنقية السنة وضبطها ، وإلى بعض من أهم الكتب التي ألفوها في هذا الشأن ، وإلى بعض من أهم المناهج التي اتبعوها في هذا العمل .

## مَوْقِفُ الصَّحَابَةِ مِنَ السُّنَّةِ

١ - تلقى الصحابة السنة :

يروى الإمام البخارى عن ابن ميسعود رضى الله عنه قال : كان النبي ( صلى الله عليه وسلم ) يتخولنا بالموعظة تلو الموعظة في الأيام كراهية السامة علينا .

وكان الرجال يغلبون النساء على مجلس رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فسألت النسوة رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) أن يجعل لهن يوماً كما جعل للرجال يوماً فأجابهن عليه الصلاة والسلام إلى ذلك ، ومعناه : أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتلقون الحديث من رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) في حلقات العلم التي نظمها للرجال يوماً خاصاً وللنساء كذلك .

ولقد كان الصحابة مع رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) في الغزوات ، والمسجد ، والحضر والبدو ، والسوق ، والدار . . . يسمعون منه ويحفظون عنه ويعملون بما يسمعون ، وما وعوه .

يقول مسروق : لقد جالست أصحاب محمد ( صلى الله عليه وسلم ) فوجدتهم كالإخاذا ( الغدير ) فالإخاذا يروى الرجل والإخاذا يروى الرجلين ، والإخاذا يروى العشرة ، والإخاذا يروى المائة ، والإخاذا لو نزل به أهل أرض لأصدرهم .

قد وجد ستة رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) قد ملأت صدور الصحابة جميعاً حفظاً ، ووسعت حياتهم عملاً ، وتطبيقاً . غاية الأمر أن جمهور الصحابة أجمعين لم يكن على منزلة واحدة في تلقى السنة :

١ - لبعده الديار وسعة الشقة .

٢ - وكثرة العمل ، وتعددته .

٣ - وكثرة الأسفار ، حلا وترحالا .

ولكنهم تفاوتوا في السماع مباشرة من النبي ( صلى الله عليه وسلم ) :  
يروى البخارى عن الأعرج قال : قال أبو هريرة رضى الله عنه :  
إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم )  
والله إنى كنت امرءا مسكينا أحب رسول الله ( صلى الله عليه وسلم )  
على ملء بطنى ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت  
الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم وقال : قدمت على رسول الله ( صلى  
الله عليه وسلم ) بخيبر وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين فأقمت معه حتى  
مات ، أدور معه فى بيوت نسائه وأخدمه ، وأغزو معه ، وأحج ، فكنت  
أعلم الناس بالحديث .

٢ - حرص الصحابة على تلقى الحديث :

١ - ولم تكن هذه المشاغل تلهى الصحابة عن تلقى الحديث من النبي  
( صلى الله عليه وسلم ) ولكنهم نظموا لأنفسهم نوبات ودوريات يتلقى أحدهم  
عن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) يوماً ، فيخبرهم بما سمع ، ويتلقى  
الأخرى يوماً ثانياً فيخبرهم بما سمع ، وهكذا . . .

يحدثنا البخارى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : كنت  
أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية ابن زيد ، وكنا نتناوب النزول على  
رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ، ينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت جئته  
بخبر ذلك اليوم ، وإذا نزل فعل مثل ذلك .

٢ - ولم يكن ذلك فحسب ، بل كان أمر الحرص على تلقى السنة  
أوسع من هذا فإنه إذا عن لواحد من الصحابة فى أطراف الجزيرة أمر

مسألة يريد أن يتعرف على حكم الدين فيها قطع اليون الشاسع ليسأل رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) عن حكمها .

يروى البخارى عن عقبه بن الحارث أنه أخبرته امرأة بأنها أرضعته هو وزوجته فركب من فوره - وكان في مكة - حتى بلغ رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فسأله عن حكم الله فيمن تزوج امرأة لا يعلم أنها أخته من الرضاع ثم أخبرته بذلك من أرضعتهما ؟ فقال له النبي ( صلى الله عليه وسلم ) ( كيف وقد قيل ) ؟ ففارق الرجل زوجته لوقته .

٣ - ولقد ازدوج حرص الصحابة على تلقى السنة بالحرص على العمل بها :

روى الإمام مالك في الموطأ عن عطاء بن يسار : أن رجلا من الصحابة أرسل امرأته تسأل رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) عن حكم تقبيل الصائم لزوجته ، فأخبرتها أم سلمة رضي الله عنها : أن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) كان يقبل وهو صائم فرجعت إلى زوجها فأخبرته . فقال : لست مثل رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) يحل الله لرسوله ما يشاء . فبلغ قوله ذلك رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) فغضب وقال : « إني أتقاكم الله وأعلمكم بحلوه » .

ويروى القاضي عياض في الشفاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) يصلى بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما رأى القوم ذلك ألقوا نعالهم ، فلما قضى صلاته قال : ما حملكم على إلقاءكم نعالكم ؟ قالوا : رأيناك ألقيت نعليك ، فقال : إن جبريل أخبرني أن فيها قدرا . . . .

هكذا كان حرص الصحابة على :

١ - تلقى السنة : ٢ - والعمل بها .

ولم يكن ذلك شأن الرجال فقط :

٣ - بل كانت النسوة كذلك يحرصن على تلقى السنة والعمل بها .  
يروى البخارى بسنده عن السيدة عائشة ( رضى الله عنها ) أن امرأة  
سألت النبي ( صلى الله عليه وسلم ) عن غسلها من المحيض ، فأمرها كيف  
تغتسل ، قال : خذى فرصة من مسك فتطهري بها ، قالت : كيف أتطهر  
بها ؟ قال : سبحان الله تطهري ، فاجتذبتني إلى ، فقلت تتبعني أثر الدم . . الخ .

تجرت خطيبة النساء ( أسماء بنت يزيد ) من الانصرار في كيفية التطهر  
من الحيض ، فلم يسعها إلا أن تسعى إلى رسول الله ( صلى الله عليه وسلم )  
لتستفسر عن الحكم منه ، فأجابها النبي ( صلى الله عليه وسلم ) بالحياء  
الذي يجب أن يحتذيه المسلمون العلماء في معالجة الأمور ، والمناقشات  
ولما استعصى عليها الفهم ، أخذتها السيدة عائشة ( رضى الله عنها ) تشرح  
لها ما يستحي الرجل أن يوضحه حتى ولو في موقف الحكم الشرعي .  
وعلى هامش القصة يتبين لنا أن الحياء في الدين ، وأن عبارة الناس  
لا حياء في الدين جهل بأصول الخلق الإسلامى .

ومن هنا نستوضح :

١ - تلقى الصحابة للحديث في حرص مع كثرة المشاغل ، وبعد الشقة

٢ - عمل الصحابة بالسنة والافتداء بالنبي ( صلى الله عليه وسلم ) .

٣ - اشتراك النساء مع الرجال في :

( أ ) تلقى السنة ، والحرص عليها .

( ب ) والعمل بها .

٤ - وإن الحياء في الدين أسلوب لتبليغ الدعوة إلى النساء .

• • •

## منهج الصحابة في صيانة السنة بغدا النبي صلى الله عليه وسلم

( ١ ) الأخذ بشرط الشاهد :

١ - يروى ابن شهاب عن قبيصة رضى الله عنه أن الجدة جاءت إلى أبي بكر ( رضى الله عنه ) تلتمس أن تورث ، قال : ما أجدر لك في كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) ذكر لك شيئاً ، ثم سأل الناس ، فقام المغيرة فقال : « كان رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) يعطيها السدس ، فقال له : هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك ، فأنفذها لها أبو بكر » .

يتبين من الحديث : أن أبا بكر ( رضى الله عنه ) لم يأخذ بخبر المغيرة مع أنه صحابي جليل مشهور ، صاحب رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) في أسفاره ، ولكن هذا شيء والثابت من حديث يتعلق بحكم لم يذكر في القرآن الكريم شيء آخر ، فطلب أبو بكر أنيساً مع المغيرة يشهد عنده أن ذلك صحيح عن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) .

٢ - كذلك يروى الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاثاً فلم يؤذن له فرجع ، فأرسل عمر في أثره ، فقال : لم رجعت قال : سمعت رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) يقول : إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع ، قال لتأتيني على ذلك بينة أو لأفعلن بك : فجاء أبو موسى ممتنعاً أونه ، ونحن جلوس ، فقلنا : ما شأنك ؟ فأخبرنا ، وقال : فهل سمع أحد منكم ؟ فقلنا : نعم ، كلنا

سمعه ، فأرسلوا معه رجلا منهم ، فأخبره ، فقال عمر : إني لم أتهمك ، ولكنه الحديث عن رسول الله ( صلى الله عليه وسلم )

واضح أن عمر لم يطلب شاهداً على عدالة أبي موسى لأنه لم ينهمه ، ولكن القضية في أساسها ، هي صيانة الحديث النبوي ، وتدريب الأمة على هذه الصيانة .

### ( ب ) شرط القسم :

وبمقدار ما يمكن من الاحتياط فقد نهج الصحابة الكبار في أساليب متعددة لصيانة السنة الإسلامية من العبث ، وكان لعلي بن أبي طالب منهجه الخاص ، « منهج القسم ، واليمين » .

يروى أساء بن الحكم الفزارى : أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول ، كنت إذا سمعت من رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) حديثاً نفغني الله بما شاء أن ينفعني به ، وكان إذا حدثني غيره استحلقت ، فإذا حلف صدقته ، وحديثي أبو بكر ، وصدق أبو بكر ، قال : سمعت النبي ( صلى الله عليه وسلم ) يقول : ما من عبد يذنب ذنباً ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له .

### ( ج ) المنهج عند الضرورة :

ويجب أن نلفت أذهانكم إلى أن هذه المناهج التي استخدمها كبار الصحابة لم تكن منهج الاستمرار ، في تقبل السنة ، بل هي منهج خاص في الواقعة التي لم يثبتوا فيها من الرواية ، كما أنه لا مجال للطعن في صحابي : فقد هاجروا من ديارهم ، وأولادهم ، وأوطانهم ، وباعوا : النفس والنفيس ، واستعذبوا تعب الجهاد في سبيل الله ، فلم يكن لواحد منهم أن يكذب ، — حاشا الله — ولم يكن لواحد منهم أن يرمى صاحبه بالكذب ، فهم كالنجوم بأيهم اقتدى الناس اهتدوا ، ولكنها الأمانة التي تحملها رؤساء الأمة عن النبي صلى الله عليه وسلم . فيما يرويه مسلم عن أبي هريرة :



« كفى بالمرء إنمأً أن يحدث بكل ما سمع » ... فإن الثبوت في الرواية هو أفضل من الإكثار فيها ، فإنه مع تحديد السنة وجوب التبليغ على الحافظين الشاهدين ، للغائبين فيما يروى ( ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب ) - فإن التبليغ يجب أن يكون في دثار من الثبوت والحيلة .

#### ( د ) الإقلال من التحديث صيانة للسنة :

ولهذا نرى لقيفاً من الصحابة الأجلاء يمتنعون عن الإكثار من الحديث :

١ - يروى البخارى في كتاب العلم عن عبد الله بن الزبير أنه قال لأبيه : إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان ؟ فقال : أما أنى لم أفارقه ، ولكن سمعته يقول : « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » ، وليس معنى هذا أن الإكثار من الرواية كذب وإسكته يتحاشى التحديث خوفاً من النسيان ، أو الخطأ في فهم المراد ، يفسر هذا المقصود .

٢ - ما يرويه ابن ماجه في سننه من أن زيد بن أرقم كان يقول : كبرنا ونسينا ، والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد .

٣ - كذلك يقول السائب ابن زيد ، صحبت سعد بن مالك من المدينة إلى مكة ، فما سمعته يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً .

٤ - كذلك كان أنس بن مالك يتبع الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ( أو كما قال ) خوفاً من الوقوع في الكذب عليه .

٥ - كذلك كان الإقلال من التحديث أمراً محمداً فما زال القرآن غضاً طرياً لم يستوعبه المسلمون . دراسة وحفظاً ، لا سيما والناس يدخلون في دين الله أمماً جديدة . والحفاظ على القرآن وظيفة أساسية للحكومة الإسلامية . ولهذا فقد رغب عمر بن الخطاب عن تدوين السنة . تدويناً رسمياً ، في كتاب جامع مثل القرآن .

٦ - كذلك نصح عمر بن الخطاب قرظة بن كعب وهو في طريقه إلى العراق ، قال : إنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل فلا تصدوهم بالحديث فتشغلوهم ، جودوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمضوا وأنا شريككم » - وامثل قرظة بن كعب أمر رئيس الدولة : فلما وصل العراق ، طلبوا إليه أن يحدثنا ؟ فقال : نهانا عمر بن الخطاب .

( هـ ) مدى النهى ، ومفهومه :

لم يكن نهى الأمة عن الإكثار من التحديث شاملاً لجميع أفراد الأمة ، بحيث يدع التحديث ، والرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم فإن ذلك معناه : ضياع السنة ، وحبسها في الصدور ، وإنما كان مدى النهى هو المحافظة على سلامة التنشئة الاجتماعية بنقل السنة من الموثوق فيهم الذين شهدوا مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ورووا عنه بالوعى والفهم ، والحفظ : يقظة أمينة لا نسيان فيها ولا تأويل .

ولذلك نرى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يبيح لأبي هريرة الرواية ، فقد روى أنه قال لأبي هريرة حين بدأ يكتر من الحديث : أكنت معنا حين كان النبي صلى الله عليه وسلم في مكان كذا ؟ قال : نعم ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » فقال له عمر : أما إذا ذكرت ذلك فاذهب فحدث .

ومفهوم هذا الإقلال .

أن عمر بن الخطاب والذين نهجوا منه قصدوا .

١ - جمع الأمة على حفظ القرآن الكريم .

٢ - ألا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نفر معروف بالثقة والأمانة حتى تصل السنة قوية كما علمها لهم النبي صلى الله عليه وسلم .

٣ - حماية مصدرى الثقافة الإسلامية ، والتشريع الإسلامى من الهوى ، واللغو ، بل من مظنة . العبث ، واللهو ، واللغو ؟  
ولقد حقق الله لهم المأرب ، فوصلت إلينا مصادر الثقافة الإسلامية ، كما شاء الله أن تصل إلينا حسب ما أراد الرعيل الأول الطاهر الطيب النقي : سليمة مكيمة ، مصونة ، ذاتية ، كما بلغها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأوجز عبارة لمعنى مفهوم الإقلال أنها إجازة خاصة لنفر خاص مع هدف نبيل خاص .

شبهة :

وبعد هذا العرض لجزء من موقف الصحابة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنهج كبار رجال الدولة نرى أن ما يميل إليه بعض الكاتبين أن عمر بن الخطاب حبس « ابن مسعود ، وأبا ذر وأبا الدرداء » ليس بحق ولا أحب أن أطيل فى الدفاع عن هذه الشبهة لأنها غير متقبلة بالنسبة لمذى النهى ومفهومه ، وغير مؤكدة فى تاريخ السنة ، أو التشريع أو تاريخ الدعوة .

ولكنى سأنقل هنا رأى فضيلة الدكتور المرحوم الشيخ مصطفى السباعى بعد أن بحث هذه الشبهة ووصل إلى أنها غير حقيقية ، قال : « فقد لبثت كثيراً أشك فى هذه الرواية وأقبلها على جميع وجوه النظر حتى قرأت فى كتاب ( الأحكام ) لابن حزم ما يلى :

وروى عن عمر أنه حبس ابن مسعود ، من أجل الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأبا الدرداء ، وأبا ذر . وطعن ابن حزم فى هذه الرواية بالانقطاع لأن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف مات سنة ٩٩ هـ أو ٩٥ هـ ، وعمره ٧٥ سنة ، فيكون قد ولد سنة ٣٠ من الهجرة ، فى أواخر خلافة عمر ، فلا يتصور سماعه منه فى مثل ذلك السن ، وعلى ذلك فلا تكون الرواية حجة ، ولا يؤخذ بها (١) .

---

(١) ص ٧٠ السنة للدكتور السباعى .

## (و) رحلة الصحابة لتلقي السنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم :

لم تقف جهود الصحابة من أجل صيانة السنة والعمل بها عند الشروط وإجازة التحديث لنفر خاص ، بل تعداها إلى السفر وتحمل المشاق ، لسماع حديث من راوية ليتأكدوا من صحة الرواية ونسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

يقول ابن عباس رضى الله عنه . كان يبلغنا الحديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو شئت أن أرسل إليه حتى يجئني فيحدثني فعلت ، ولكنى كنت أذهب إليه فأقيل على بابه حتى يخرج إلى فيحدثني .

وبحكم طبيعة الحياة فقد أخذ عمر الصحابة في النهاية فيقربهم إلى الله بعد أن أدوا رسالتهم بأكمل ذمة وأكرم خلق ، وكان لابد لصغار الصحابة في السن أن يتحملوا من بعدهم ثروة الدين فهاجروا في جوف الصحراء يطلبون ديار المحدثين وليتم لهم صدق التثبت من نسبة الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

١ - فقد أخرج البخارى عن جابر بن عبد الله قال : بلغنى حديث عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع منه فابتعت بعيراً وشدت عليه رحلي ، ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت الشام فإذا هو : عبد الله بن أنيس الأنصارى ، فأتيته فقلت له : حديث بلغنى عنك أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمع فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمع ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

يحشر الناس غرلاً بهما ، قلنا : وما بهما ؟ قال : ليس معهم شيء ، فيناديهم نداء يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار ، وأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقصاها .

منه ، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة حتى أقصها منه حتى اللطمة ، قلنا : كيف ؟ وإنما تأتي الله غرلاً ، بهما ؟ قال : بالحسنات ، والسيئات .

هكذا تجشم جابر بن عبد الله رضى الله عنه متاعب الطريق شهراً كاملاً :

١ - في يبداء غير معبدة الطريق .

٢ - لا يستأنس فيها برفيق .

٣ - وليس على طول الطريق أنيس ولا زاد ولا ماء .

٤ - وقد هجر : دياره ، وأهله ، وماله ، طول شهر كامل .

ذلك كله . . . من أجل خشيته أن يموت هو أو يموت عبد الله ابن أنيس دون أن يحفظ الحديث الذى سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ - وقد أخرج البيهقي وابن عبد البر ، عن عطاء بن رباح أن أبا أيوب الأنصارى رحل إلى مصر يسأل عن حديث لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مسلمة بن مخلد الأنصارى ، فلما قدم إلى منزل مسلمة - وكان أمير مصر - خرج إليه فعانقه ثم قال : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ قال : حديث سمعته أنت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ستر المؤمن . فقال : نعم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من ستر مؤمناً في الدنيا على كربة ستره الله يوم القيامة . ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة .

لم تجشم أبو أيوب متاعب السفر من المدينة إلى مصر ؟ إنه لم يتجشم السفر طلباً للزهوة أو المال أو الوظيفة أو السياحة ... إلخ ، ولكن من أجل حديث لم يبق أحد من سامعيه غير مسلمة بن مخلد - أمير مصر - .

٣ - ويرز هذه المجهودات الشاقة فى طلب السنة ما يقوله سعيد  
ابن المسيب رضى الله عنه : إنى كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث  
الواحد . وبهذه الجهود الأمانة الشاقة صان المسلمون فى الصلبر الأول سنة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليجزهم الله عن سنة نبيه ودينه ، وأمة  
الإسلام خير الجزاء .

\* \* \*

## موقف الأحزاب وحلفائهم من السنة

نقصد بالحزبية هنا كل مدرسة لها رأى لا يتفق مع أصول الإسلام ، ونصوصه ، وروحه ، وتخضع هى له : نقصد بالحزبية هنا كل فكرة عقلية تؤول فى القرآن الكريم لتجر الدين إلى جانبها ، وتجعله تابعاً لرأياها .

وأخص خصائص الفاعلين لهذا الهوى ، أحزاب ثلاثة :

١ - حزب الخوارج .

٢ - حزب الشيعة .

٣ - حزب المعتزلة .

ونقصد بالأصدقاء ، المستشرقين الذين اعتمدوا فى طعن السنة على أقوال وأفعال تلك الأحزاب ، التى انتحلت لنفسها نسبة التعبير عن دين الإسلام فى كل ما فعلته من ثقافة ، ومعلومات اتبعت فيه هوى النفس أو هوى الغير من الذين استحلوا علومهم فنحلوها ، وأهلوا بها عقولهم ، ثم فلسفوا دين الله بهواهم المتبع : إن من عند أنفسهم ، أو عند الناس غير المسلمين : فكراً أو دنياً أو زمناً أو جيلاً ... إلخ .

ومن الله نستلهم العون فى عرض قضايا هذا الموضوع ، فإلى الله ترجع الأمور .

## الخوارج والسنة

فى التمهيد الحتمى الذى صدرنا به هذا البحث وضعنا أيدينا على ظاهرة غريبة عن الخلق الإسلامى ، والوازع الدينى ، تلك الظاهرة هى : أن المسلمين تعرضوا بعد النبى صلى الله عليه وسلم لمشكلة الخلافة .

وقد عالج الصدر الأول بعد النبى صلى الله عليه وسلم مباشرة قضية الخلافة بالخلق الرفيع المحافظ على أصالة ووحدة الأمة ، ورجع هذا إلى ظاهرة أن الدين كان يسوس الدنيا ، وأن الوازع الدينى فى نفوس الصحابة كان يسيطر عليهم فى كل تصرفاتهم .

ولكنم الحاقدين على الإسلام عالجوا قضية الخلافة بأسلوب بعيد عن الخلق الإسلامى ، والحرية الإسلامية ، فسفكوا الدماء ، وفرقوا الأمة ، ثم كسوا خلافتهم هذا شكلا دينياً ، فألفت كل جماعة منهم قواعد ومبادئ خاصة بها وراحت تنظر فى القرآن والسنة ، لتؤول النصوص بغية الحصول على تأييد من الدين لمبادئها ، فلما لم يجدوا ، افتروا وكذبوا .

ومن هنا ندرك أن وضع الحديث مرتبط بحاجة الحزب إلى نص دينى ومن غير شك فإن قضية الخلاف قد أخذت شكلا واسعاً ، شمل الأفراد والأسر ، والصحابة .

وعلى هذا ، فالخوارج لا علاقة لهم بالصحابة قبل التحكيم لأن مبدأ التفسير أو التكفير عند الحزب هو : قبول التحكيم . فكل من ساهم فى التحكيم وعمل فيه أو قبله فهو مجاوز حد الشريعة ، ومردود إيمانه فى نظرهم ، ومع اعتقادنا أنه ليس لأحد أن يكفر رجلاً شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن النصوص القرآنية الصريحة لا تسعف الخوارج



في قضيتهم ، فإننا نريد أن نعرفكم أن الذين قبلوا التحكيم أولاً هم الخوارج ، بل هم الذين أجبروا علينا على قبوله ، وهم الذين حددوا النائب عنه من بينهم ورفضوا الرجل الذي أنابه على عن نفسه .

لأنهم هم الذين تحكّموا في مسألة التحكيم لهوى في نفوسهم ، وكيد أصغر ونية سيئة بالإسلام ، ودولته الشابة ، يظهرها آتاهم كفروا الصحابة : علينا ، ومعاوية ، وأصحاب الجمل . وردوا الأحاديث التي رووها... إلخ ، بعد موقعة التحكيم بحجة الخلافة . مع أنها عندهم من فروع الدين وليست من أصوله ، فكيف يستقيم عندهم أمر التكفير لمسألة فرعية ؟ ينطق أصحابها بشهادة التوحيد ؟ .

وإذا كان الخوارج يدعون نصرة الدين ، ويظهرون تفانيهم في الحفاظ على قواعده من الجهة العملية التطبيقية فيرون أن مرتكب الكبيرة كافر ، فإنهم أقل الناس وضعا للحديث .

فإن الخلافة ليست مأرباً لهم ، والتقية في الحق ليس من شأنهم ، لأنهم مخربون باسم العدل ، وهم مدعو التدين البحت فقللوا من الوضع ، فلم يكونوا ليكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عندما ألحت عليهم الظروف من الخصوم ( الشيعة ) الذين ألهبوا عقول المسلمين بخضم من الأكاذيب ، فقابلها الخوارج بكذب أقل منه ، رأوا فيه شفاء للغليل .

يروى الجوزي في كتاب الموضوعات عن أبي لهعة أنه قال : سمعت شيخاً من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول : إن هذه الأحاديث دين ، فانظروا عن تأخذون دينكم ، فإننا كنا إذا هويتنا أمراً صبرناه حديثاً .

ومهما يكن من أمر ، فإن الخوارج كحزب له آراؤه الدينية التي لا يساندها نص واحد من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان لابد من جنوحهم إلى الوضع ، والكذب خاصة وخصومهم في القضية قد أطلقوا عنان خيلهم في وضع الأحاديث ، ولو كان للخوارج

— كما يقول المدافعون عنهم — ذمة أو عندهم ورع ما حللوا سفك الدماء  
التي يشهد أصحابها أن الله واحد وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن القرآن حق ،  
وتجروا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفروهم ، في مسألة  
هي عندهم من الفروع لا من الأصول .

وخلاصة الحديث :

١ — إن الخوارج لم يسعفهم القرآن والسنة في مساندة آرائهم فوضعوا  
كذباً أحاديث ونسبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

٢ — وأنهم ووجهوا من الشيعة بحافل من الكذب والحديث  
الموضوع ، فكان لابد لهم من مجابته ولو في حدودهم الضيقة التي يظهرون  
فيها الورع والصلاح .

٣ — وأن وضع الخوارج للحديث وكذبهم قليل بالنسبة إلى ادعائهم  
الورع ، وبالنسبة إلى الحروب الجمة التي أثاروها ، واصطلوها من سيدنا  
على نفسه ، ومن معاوية من بعده ، فهم شركاء على كل حال في جريمة  
تفريق الأمة ووضع الحديث ولو بنسبة ما .

## غلاة الشيعة والسنة

الذين تولوا كبر وضع الحديث ، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم هم غلاة الشيعة . يقول ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة : « اعلم أن أصل الكذب في أحاديث الفضائل جاء من جهة الشيعة » .

والشيعة أقوام : منهم المعتدلون ، ومنهم الزنادقة . والقسم الأخير أسسه أصحاب ابن سبأ وقد ألخوا علياً . قالوا له : أنت هو ؟ فقالوا : أنت الله ، فهاله التعبير وأرجفه ، وتبرأ منه ، وأحرق ديارهم نكالا ، وعبرة لمن يلف ليففهم .

ومن أصدقاء هذا القسم الرافضة ، وهم دعائم الكذب . قال الخليل في الإرشاد : وضعت الرافضة في الفضائل نحو ثلاثمائة ألف حديث ( ٣٠٠,٠٠٠ ) .

ويقول حماد بن سلمة : حدثني شيخ من الرافضة قال : كنا إذا اجتمعنا فاستحسننا شيئاً جعلناه حديثاً .

ويقول الإمام الشافعي رضى الله عنه : « ما رأيت في أهل الأهواء قوماً أشهد بالزور من الرافضة » .

والشيعة المسلمون غير الكافرين - وهم المعتدلون - يجرحون : أبا بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص .

إنهم يجرحون الصحابة إلا قليلاً ممن شايعوا علياً ، وقد قالوا : إن الذين شايعوه خمسة عشر صحابياً (١٥) ، فالسنة عندهم : مردودة إلا ما روى عن أصحابهم الخمسة عشر ، فالقاعدة عندهم أن من لم يوال علياً ويشايعه فقد

خرج على الوصية ، إلا أن الزيدية ترى أن علياً أفضل من الصحابة ، وأن الصحابة مفضولون والإمامة قبل على جائزة .

ونحن نحب أن نضع بين أيديكم نصاً صريحاً للإمام على رضى الله عنه رفض فيه التشيع بادىء أمره ، فغداة تولية أبي بكر الخلافة ذهب أبو سفيان إلى سيدنا على رضى الله عنه وقال له : كيف يغلبك عليها ابن أبي قحافة ( أبو بكر ) ؟ . والله لو شئت لأملأها عليه خيلاً ورجالاً . ولكن سيدنا على رضى الله عنه يرد مقالته ويرفضها ، ويقول له : « ومتى كنت تنصح للمسلمين ؟ » .

كذلك أمر الخلافة شورى بين المسلمين بنصوص القرآن : ( وأمرهم شورى بينهم ) (١) : ويأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فيقول : ( وشاورهم في الأمر ) (٢) . كذلك ليس في القرآن طبقية ولا فاضل ولا مفضول ، فالناس سواسية كأسنان المشط يناديهم الله : ( يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ) (٣) .

ومن هذه النصوص قرون :

- ١ - أن الخلافة شورى بين المسلمين .
  - ٢ - وأن الناس سواسية لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى .
  - ٣ - وأن التشيع مرفوض ابتداء من سيدنا على رضى الله عنه .
- ولكن المظاهرة التي صُحِبَ بها المجتمع المتشيع ، لها مهمة سرية هي بعث القوميات الفارسية والمذاهب الفاجرة التي جطمتها الإسلام لتأثر من هذا الدين ، ولن يحيق المكر السيء إلا بأهله والله المستعان على ما يصفون .

نموذج من الكذب الشيعي في الحديث :

١ - تكذب الشيعة فتقول : لما أسرى بالنبي أناه جبريل بسفرجلة من الجنة فأكلها ، فعلفت السيدة خديجة بفاطمة ، فكان إذا اشتاق إلى رائحة الجنة شم فاطمة .

ودلائل الكذب في هذا الحديث يقررها التاريخ ، فالمطلعون على فهارس كتب تاريخ الدعوة الإسلامية يجدون تسلسل الحوادث من نقض الصحيفة التي علقها القرشيون على بناء الكعبة لمقاطعة بني هاشم وأقرباء النبي صلى الله عليه وسلم حتى الإسراء ، تسير هكذا :

دعوة القبائل في الأشهر الحرام ، حصار المسلمين في شعب بني هاشم ، نقض الصحيفة ، عصمة النبي في تبليغ الدعوة ، موت أبي طالب وخديجة ، ازدياد أذى قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، خروج النبي إلى الطائف ، عرض محمد صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل ، خطبة عائشة ، زواج النبي من سودة ، الإسراء .

والقارئون داخل كتب التاريخ يجدون موت السيدة خديجة رضي الله عنها في نفس العام الذي نقضت فيه الصحيفة وفك فيه الحصار .

وكان خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف في عام ٦٢٠م ، وكان الإسراء في عام ٦٢١م ، ومعنى هذا : أن فاطمة كانت بشراً في الحياة قبل الإسراء .

وأن السيدة خديجة رضي الله عنها لحقت بالدرجات العليا عند ربها قبل الإسراء ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجمع على خديجة زوجة ثانية ، وقد تزوج من سودة إثر عودة المهاجرين إلى مكة من الحبشة بعد وفاة زوجها ، وعودة المهاجرين من الحبشة وزواج النبي صلى الله عليه وسلم من سودة كان قبل الإسراء ، ولهذا :

١ - ترون الكذب الشيعي جلياً واضحاً في هذا الحديث ، وفي كل حديث دسوه على السنة الإسلامية .

٢ - وتكذب الشيعة فتقول : لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع جمع الصحابة في مكان يقال له ( غدير خم ) وأخذ بيد علي على مشهد منهم وقال : هذا وصي وأخى والخليفة من بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا . ودلائل الكذب واضحة في هذا الحديث .

فالتاريخ الإسلامي يقرر في كل أصوله ، وكتبه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد خطبة الوداع رحل إلى المزدلفة وقضى فيها ليلة ، وفي الصباح نزل بالمشعر الحرام ، ثم ذهب إلى منى ، وألقى الجمرات الواجبة ، ولما بلغ خيامه بمنى نحر ثلاثاً وستين ناقه (٦٣) عن سنى حياته التي عاشها ، ثم نحر على بن أبي طالب ما تبقى من الهدى التي ساقها النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم حلق رأسه وأتم حجه ، وعاد الناس إلى بلادهم : التجديون إلى نجد ، والتهاميون إلى تهامة ، والمكيون إلى مكة ، وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مع أصحابه يفكر في أمر الروم ، لتوطيد سلطان الدولة على حدود الشام المتاخمة للدولة الرومانية التي تهدد دولة الإسلام .

فجهز النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً جعل أميره أسامة بن زيد ، وهو شاب صغير أثارت توليته دهش الصحابة ، ولكن الحكمة أن أباه كان قد قتل في سرية مؤتة ، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل أسامة في مكان أبيه ، ولكن الجيش لم ينفذ سيره لمرض النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما لحق بالرفيق الأعلى أنفذه أبو بكر رضى الله عنه حفاظاً على تنفيذ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلو كانت وصية غدير خم مثل الوصية لأسامة لما جحدوها ، ولا سيما والشيعة تدعى أن النبي صلى الله عليه وسلم أشهد الصحابة أجمعين ، فلو جحدوها فريق ، لطالب بها فريق آخر .

يقول ابن تيمية : ( فإننا نعلم أنه كذب من طرق كثيرة ، فإن هذا النص لم يبلغ أحداً بالإسناد الصحيح ، فضلاً عن أن يكون متواتراً ،

ولا نقل أن أحدا ذكره على جهة الخفاء مع تنازع الناس في الخلافة وتشاورهم فيها يوم السقيفة ، وحين مات عمر ، وحين جعل الأمر شورى بينهم في ستة .

ولو كان الأمر كما تقول الشيعة فلماذا لم يعلن على نفسه هذه الوصية ؟ ولماذا كتمها على وكتبها الصحابة الأتقياء زهاء ثلاثين عاماً بل تزيد ؟ وأي مصلحة لهم في كتمان هذه الوصية لو كانوا حقاً سمعوها من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ .

إن أبا بكر لم يغتم من وراء الخلافة مجداً ولا مالا ، فإن التاريخ يشهد أن عظمة الرجل يوم صاحب النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء ، وأنه جهز بيته ، وباع ماله كله من أجل انتقال الدعوة إلى المدينة ، وأنه اشترى أرض اليتامى في المدينة ليبنى فيها أول مسجد للإسلام ، وأنه تبرع بكل ماله إلى جيش المسلمين عام العسرة .

وعمر كان إسلامه أمنية للنبي صلى الله عليه وسلم ، والرجل مشهود له بالورع والزهد ، فلقد جاءه الرجل بأخبار القادسية ، وهو نائم وتحت رأسه حجر وما عرف أن هذا النائم هو أمير المؤمنين ورئيس الدولة حتى دله الناس عليه ، فأى حظ لهم في كتمان الوصية ؟ وأي حظ لعلي في الموافقة على كتمانها وعدم المطالبة بها ؟ .

إن الكذب الذي عشقه اللسان الشيعي لا يستحي أن يستمر في البهتان الذي يتجاوز حد العقل ، برأ الله علياً من قالاتهم ، وعافانا من همهم ، وأبعدنا من سوء مصيرهم .

٣ - ومن كذبهم : ( حب علي حسنة لا يضر معها سيئة ، وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة ) .

وواضح أن هذا الكلام يخالف تعاليم الإسلام ، من امتثال أوامر

الله تعالى ، واجتناب نواهيه ، وإن كل نفس بما كسبت رهينة ولا تنفعهم شفاعة الشافعين .

وأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ... إلخ .

٤ - ومن كذبهم أيضاً : ( أنا ميزان العلم وعلى كفتاه ، والحسن والحسين خيوطه ، وفاطمة علاقته والأئمة من عمود توزن فيه أعمال المحبين لنا والمبغضين لنا ) .

وأوضح ما يكون الكذب وضوحاً هو هذا الحديث الركيك الفاسد ، فإن سلطة الأئمة في هذا الحديث أكبر من سلطة النبوة ، لأن النبوة ميزان معطل ، أما الأئمة فهي ميزان لأعمال المحبين وأعمال المبغضين ، وعلى كفتاه فقط ، والحسن والحسين خيوطه . وما هي هذه الخيوط ؟ وفاطمة علاقته . والعلاقة خارجة عن حقيقة الميزان ، وتكون النبوة معلقة في فاطمة ، وكل هذا فاسد في معناه ، وأصله ، وحقيقته ، وهي صورة سذاجة وحمق وعبط ! .

وهكذا أبها الإنخوة ، أفسد المرجفون بالكذب حياة المجتمع ثقافياً ، وسياسياً ، واجتماعياً . لكن الله سوف يبعث من يجدد لهذه الأمة - من رجالها الأئمة - أمر دينها ، وينقذ سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثرهم يجهلون .



## المعتزلة والسنة

في دراستنا لفقه التوحيد الإسلامى وقفنا على :

١ - احترام القرآن للفكر ، ودعوة الإسلام العقول إلى التفكير في آلاء الله التي يرى فيها العاقلون أقوى الأدلة على وحدانية الله الأحد ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، البر ، الودود ، السلام ، المؤمن ، الرؤوف الرحمن ، الرحيم (١) .

وهم إذ يرونها بالعقل ، يستحسنونها وجداناً ، وعاطفة بالفطرة الأولى ، قبل الفكر الفاحص .

٢ - كما وقفنا على نهاية قطر الدائرة التي يتجول العقل فيها بالتفكير وتأكدنا أن كل المساتير الغيبية لا يقدر العقل أن يحجوها أو يتعرف عليها ، لا بذاته ، ولا بمساعدته من وسائل المعرفة لأنها حسية نظرية ، وهي متع ذلك غير قوية في دائرة الحس ، لأنها وسائل ظنية عند العلماء الذين اعترفوا بها ، فلم يبق للعقل إلا أن يتقبلها من الوجي الصادق ، وأن يتقبلها بالقلب الذي بلغه الوجي بالأسلوب والفقه الذي جاء به ، لأن ذلك فقط هو الذي يلائم قدرة العقل وفكره على فهم هذه المسائل بذلك الأسلوب والفقه ، وأن الزيادة عليه قد لا يقوى العقل على تفهمها وإدراكها ، وتلك رحمة الله وعنايته بالإنسان .

ومع هذا : فإن جماعة من مفكرى المسلمين ، قد أغراهم صلف العقل وكبرياؤه ، فعملوا في مسائل ما وراء الطبيعة ، وبحثوا مسائل نهوا عنها ؟ .

---

(١) راجع كتابنا : منج القرآن الكريم في إثبات العقيدة الإسلامية .

١ - بحثوا في مسائل الصفات . ٢ - وفي القضاء والقدر .

٣ - وفي رؤية الله . ٤ - وفي الواجب على الله .

وتلك كلها قضايا نهينا عنها بالشرع ، وكان مقتضى هذا النهى أن يتجنبها المسلمون ، احتراماً للنهى النبوى ، وأدباً من البشر تجاه الله الأكبر ، ولكنك لا تهدي من أحبيت ، والله يهدي من يشاء .

والمعتزلة هم زعماء مدرسة العقل ، منهم عقلية رجال الإسلام ، ومع أنهم يجلون العقل ويحرمونه ، فإن هذا العقل قد فرقهم إلى اثنتين وعشرين فرقة ، يكفرون أنفسهم ، ولا أدري إلى أى شىء يستندون في التكفير ، إلى العقل ، أم إلى الشرع ؟ .

وقد ذكر الإمام البغدادى أن أكثر المعتزلة متفقون على تكفير النظام ، وهو واحد من كبار مدارس الاعتزال . ويقول أيضاً عن الهذيل : « وفصاحه تبرى » ، تكفيره فيه سيائر فرق الأمة من أصحابه في الاعتزال ومن غيرهم . وقد ألف فيه المعروف ، والجبائى ، وجعفر بن حرب من رؤساء الاعتزال كل واحد منهم كتاباً في تكفيره .

ومدلول هذا أن العقل شهد على أصحاب العقل بالفجر في الاستقلال بفهم القضايا دون الوحي والشرع ، وأن كل القضايا التي يستند إليها العقليون بعقولهم فاسدة في كل ما وراء الطبيعة فساد اتفاقهم على مسألة واحدة ، وفساد تكفيرهم أنفسهم ، وخروجهم على الجادة والحق .

وقد ظن العقليون المعتزلة أن السنة لها منافذ تدخل منها عقولهم فتكلموا في السنة كلاماً متزندقاً نقله لكم من كتاب ( الفرق بين الفرق ) للبغدادى المتوفى سنة ٤٢٩هـ ، مستأنسين بما كتبه الشهرستانى في كتابه ( الملل والنحل ) ستظنين بما ذهب إليه فضيلة المرحوم الدكتور السباعى في كتابه ( السنة ومكانتها في التشريع الإسلامى ) . تكلم البغدادى والشهرستانى عن فرق المعتزلة من ناحية العقيدة كلاماً له اتصالات بدراسات التوحيد ، وكذلك تكلموا عن صلتهم بالسنة فقالوا :

## ١ - في واصل بن عطاء :

إنه جوز تفسيق على أتباعه ، ومعاوية وأتباعه ، وأصحاب الجمل ، لكنه لم يحدد من هم الفسقة ؟ وأقر أنه يرد شهادة على وطلحة ، كما يرد شهادة رجل من أصحاب الجمل لعلنه أن أحداً فاسقاً لا بعينه ، ومع أن هذا تعميم لا دليل عليه فضلاً عن الجبن بالجهر بالرأى المراد ، فعناه رد السنة من كل الصحابة الذين اتصلوا بأحداث الخلافة ، وهواه من ذلك تعطيل للسنة ، ورد لأحكامها وهو هوى سيكون عليهم عى وحسرة وقد كان ، فقد قبض الله لها من أنصفها وأحيها ، ودافع عنها ورد كيد المعتدين .

## ٢ - وفي عمر بن عبيد :

يقول الكاتبون : أنه خالف واصل في تميحه وقال صراحة : بفسق الفرقين المتقاتلين ، فرد كل سنة نقلت عن كل منهما ، وفي هذا افتراء لأن آية الحجرات ( وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ... ) الآية. لم تخرج الطائفتين عن الإيمان ، بل وصفتهم بأنهم من المؤمنين ، وألزم أولى الأمر والنهى ، أو الجماعة التى تلتزم بالحق فى المجتمع الإسلامى أن تنصر صاحبة الحق ، ثم تسوى المسائل التى بينهما ، والكل فى ظل الإسلام مؤمن لا يخرج عن ربة الدين قيد أنملة .

وإذن فالحكم على طائفة من المتقاتلين فى شأن الخلافة بين على ومعاوية لا يسعفه النص القرآنى أياً كان الحكم .

## ٣ - وفي أبى الهذيل :

قالوا إنه يقول إن الحججة من الأخبار لا يثبت إلا بأقل عدد قدره (٢٠) نفساً ، فيهم واحد من أهل الجنة أو أكثر ، واستدل بقول الله تعالى : ( وإن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ) ( الأنفال )

يقول البغدادي رداً على هذا : قال عبد القادر : ما أراد أبو الهذيل باعتبار العشرين فيهم واحد من أهل الجنة إلا تعطيل الأخبار الواردة في الأحكام الشرعية عن فوائدها ، لأنه أراد بقوله ينبغي أن يكون واحد من أهل الجنة واحداً يكون على بدعته في الاعتزال لأن من لم يقل بذلك لا يكون عنده مؤمناً ولا من أهل الجنة .

#### ٤ - وفي النظام :

قالوا إنه يقول : إن الخبر المتواتر يجوز أن يقع كذباً ، مع ملاحظة أن هذا الرجل يعترف بأن خبر الواحد ملزم بوجوب العلم الضروري ، وهو اضطراب في الفكر ، تابع لانفصال الشخصية وتجزئتها ، ومن آرائه :  
١ - جواز إجماع الأمة على الخطأ في الرأي والاستدلال ، وهو لا يثق في :

(أ) كل ما أجمعت عليه الأمة لجواز خطئها في هذا الإجماع .  
(ب) وبالتبع لا يثق في أحكام الشريعة ، لأنها مستمدة من الإجماع والقياس ، وكلاهما غير موثوق فيه عنده : ( إجماع الأمة غير موثوق فيه ، وعقل النظام فقط هو محل الثقة ) .

٢ - كذلك هو يطعن في أخبار الصحابة ، والتابعين ، اجتهداً وفتاوى ، وقد قال الحافظ في كتابه ( المعارف ) إن النظام عاب أصحاب الحديث ، وزعم أن أبا هريرة كان أكذب الناس في الحديث ، كما طعن في عمر بن الخطاب ، ورماه بالشك يوم الحديبية ، وطعن في عثمان ، وذم علياً ، وعاب ابن مسعود ... إلخ ( أولئك المجاهدون المفضلون بالقرآن ليسوا على درجة مع النظام ! ) .

يقول الشيخ المرحوم الدكتور السباعي تعليقاً على ما ذكره البغدادي :  
« ومنه نرى أن المعتزلة ما بين شاك بعدالة الصحابة منذ عهد الفتنة ، كواصل

ابن عطاء ، وما بين موقفين بفسقهم مثل عمرو بن عبيد ، وما بين طاعن في أعلامهم متهم لهم بالكذب والجهل والتناق مثل النظام ... إلخ .

وقد كان لموقف المعتزلة من السنة هذا الموقف المتطرف المبين لعقيدة جمهور المسلمين أثر كبير في الجفاء بين علماء السنة ورؤوس المعتزلة حتى تطور الجفاء بين الفريقين إلى خلق المعتزل فتنة خلق القرآن وحملوا الدولة على أن تجبر الناس على اعتقادها ، ولكن المحدثين : الشافعي وابن حنبل ، صمدوا للإغراء ، فأوذوا وسجنوا وعذبوا حتى قبض الله المتوكل عام ٢٣٢ هـ وهداه إلى اتباع أهل الحديث ، فأزال عار الدولة الرسمي رسمياً ورفع من قدر المحدثين فتضاءلت المدرسة الاعتزالية ، ولكن بكل أسف فقد ساعدت تلك الملاحم على :

١ - تقديم زاد محقوت ضد الإسلام للفكر الاستشراقي العدو المناهض للدعوة الإسلامية للطعن في السنة الإسلامية والتشكيك في الإسلام .

٢ - كما أودى كثير من العلماء المحدثين والفقهاء بغير جريرة ولا ذنب ، فقد اتهم الجهلاء أصحاب الإمام أبي حنيفة بموافقتهم على خلق القرآن زورا لعله واهية هي أن مذهب الدولة الرسمي هو المذهب الحنفي ، مع أن محمداً تلميذ الإمام أبي حنيفة كان يقول : « من صلى خلف المعتزلة بعيد صلاته » . وقد مات أبو حنيفة قبل البدعة الضالة بعمر طويل . ولما سئل أبو يوسف عن المعتزلة قال : « هم الزنادقة » . فليس في علماء الأحناف واجد يرضى باللسان أو القلب عن قائلهم بله الطعن في صحتها ، ولكنها النية السيئة التي تشوه الحق ، وجهود المخلصين .

جهل المعتزلة بالحديث :

تتبع الإمام ابن قتيبة في كتابه « تأويل مختلف الحديث » ما تشكك فيه المعتزلة من السنة الإسلامية ، وأظهر جهلهم بفقهاء الحديث ومدلولاته وحسن التعبير ، وآدابه ، فقال مع التصرف :

قالوا - أى المعتزلة - : حديث يفسد أوله آخره ، رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا قام أحدكم من منامه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً ، فإن أحدكم لا يدرى أين باتت يده ، فإن الحديث جائز لولا قوله : فإنه لا يدرى أين باتت يده ، لأنه ما من أحد من الناس إلا وهو يدرى أين باتت يده ، فإنها باتت حيث بات بدنه ، وحيث باتت رجله وحيث بات أنفه ... إلخ .

وإن أشد ما يتصور في أفهامهم أنه مس بها فرجه في نومه غير عالم ، وهو ناقض للوضوء في اليقظة ، فكيف يؤمر بالغسل لمسه له وهو لا يعلم ؟ مع أن المقرر أن الله لا يؤاخذ الناس بما لا يعلمون ، فإن هجر النائم بالغفو من الكلام لا يؤاخذ عليه .

ومحصل رد ابن قتيبة ، أن علة الغسل من النجاسات لأن الفروج مخارج للنجاسات ، و الفرق بين نقض اللمس للوضوء في اليقظة ، وغسل اليد عند اليقظة من النوم ، فإن الأول يوجب الوضوء عند أكثر الفقهاء والثاني يوجب الغسل عند الحنابلة فقط ، وعلته أن النائم لا يعرف ما أصاب يده من النجاسات التي تخرج من الفروج عند النوم ، وعليه فلا اضطراب في شطرى الحديث كما فهم الاعتزال .

ويزيد الدكتور السباعي : إن فكرة غسل اليد عند القيام من النوم يؤيدها عقل الطب ، بينما لا يستطيع أن يدركها عقل الاعتزال . فيكون الحديث متفقاً مع القواعد الطبية ، ويكون العقل المعتزلى بعيداً عن فهم فقه الحديث .

ونرى من جانبنا : أن الاعتزال أخطأ في نقطتين :

الأولى : أنه غالى في شرح أين باتت يده ، وادعى أن النائم يدرى أن يده باتت حيث باتت جميع أعضائه وهو خطأ ، لأن البراية عمل الفكر في اليقظة والنائم لا يقظة له ولا فكر .

١ - وعلم النفس يقرر أن العملية العقلية :

إدراك                      وجدان                      ونزوع  
وأن الإدراك يكون في اليقظة فقط ، تتبعه أجزاء العملية الشعورية  
المذكورة .

٢ - وأن الشعور البشري :

بؤرة                      وحاشية                      ولا شعور

والبؤرة : عندما يكون الإنسان يقظاً في حالة تنبه ، والحاشية عند  
النسيان أو عدم التنبه ، والشعور حياته في النوم أو الإغماء أو التخدير .  
وإذن : فإن النائم غير مدرك أين باتت يده لأن الإدراك يكون في  
اليقظة ، وهو نائم ، وأن النائم غير مدرك أين باتت يده لأن إدراكه في  
الحاشية ، بل هو في اللاشعور ، لأنه نائم .

وبالعادة : فقد ينادى الرجل صاحبه النائم ، ولكنه لا يسمع ، وقد  
يحركه يده ، وقد لا يشعر ، لأن وسائل الفكر والإحساس ليست في مرحلة  
اليقظة المدركة ، ولكنها في النوم ، فلو كان النائم مدركاً يده أين باتت ،  
لسمع صوت المنادى ، وأحس بيد الموقظ له ، وعليه فالحديث متفق مع  
قواعد علم النفس ، والعادات البشرية المحسوسة .

الثانية : أنهم فهموا إن الغسل من أجل اللبس ، وعليه قاسوا مسألة  
أسس اليقظة التي أخذ بها أصحاب شطر من الفقه الإسلامى أنه لا ينقض  
الوضوء ، وهي مغالطة ، لأن قول النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من  
نومه مع قوله : فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً إذ لو كان  
مدار العلة في الغسل كونه مس فرجه لأمره بالوضوء لكن العلة كونه  
نائماً ، والتوم عرضة لإخراج إفرازات عضوية قد تصيب اليد دون شعور  
النائم بها فتتلوث .

ولما كان الإسلام يحافظ على النظافة كمنظهر من مظاهر سلوك الفرد المسلم ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم يرشد المسلمين إلى خلقية صحية هي أن يغسل المستيقظ يده قبل أن يدخلها في إناء الماء حتى لا تتلوث المياه ، وهي إلى جوار كونها عادة صحية يؤمن بها علم الصحة ويدعو إليها الطب الوقائي فهي تدريب على مبادئ الاقتصاد حتى لا يسرف في الماء إذا ظهر له أن يديه نجاسة بعد أن يغمس يده في الإناء فيتنجس الماء ، فيطلب ماء غيره ليصبح وضوءه ، فيكون مسرفاً .

وهذا ، فإن فكر الاعتزال خارج عن منهج العقل الذي يؤمن به منهجاً قوياً ، ويدفعه تعنته إلى الجهل الفاضح بفقهاء السنة الإسلامية المطهرة .

منع أن العقل يلزم أن علة الغسل : اللمس ، كذلك يمكن أن يفرض أن علة الغسل المحافظة على النظافة لاسيما عند اليقظة من النوم إلا أنهم عطلوا عقولهم وقصروا الفرض على علة واحدة ، فأنحرفوا عن نهجهم كما يركب الحمقى الشطط ، ويعي المكابر بالدليل ، ويخرج على قواعد هو ونظمه التي هواها ، وهكذا فسد الاعتزال بفعله هو ولم يفسد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم فتحوا على السنة باباً جديداً ولجأ المستشرقون فاتخذوا الاعتزال مادة يستدلون بها على السنة ، فباءوا بالإثم الأكبر وبئس ما كانوا يفكرون .



## المستشرقون والسُّنة

المرضى بالأعصاب يحفظ لهم الطب السيكولوجى تصرفات خاصة وانفعالات ذات طابع منحرف عن العادة البشرية ، والمستشرقون هم أول المرضى بالأعصاب .

فقد كانت أوربا إلى جوار الأندلس المسلم صورة مزرية من الفقر والجهل والمرض والاستعباد الدليل ، والقوضى والاضطراب ، والطبقية والاحتقار والظلم . . كانت صورة بشعة لمعانى الاحتقار والإهانة للجنس البشرى ، بينما كان العلم فى الأندلس قد ارتفعت مناراته فى قرطبة ، وأشبيلية ، وغرناطة ... إلخ . ومع العلم كانت الحرية والعدالة والمساواة والأمن ، والوحدة النفسية ، والاحترام ، والخلق ، والأمة الأستاذة التى تعلم الناس أصول التعاشر ، ومنطق التكريم ، كأفضل ما تكون الحياة حثاناً ، ورخاء ، وأمناً ، وحرية ، وكمالاً ... إلخ . كانت هذه الصورة لجارتين متجاورتين : الأندلس المسلم ، وأوروبا الكافرة .

وكان الأندلس مركز إنسانية البشر لأنه مسلم ، وكانت أوربا مركز العبودية لأنها كافرة ، ولم يكن الأندلس الإسلامى أنانياً ، لأن دينه عالمى ، إنه دين الفطرة للناس جميعاً ، فلما تعشق شباب فرنسا وأوربا أن يتثقف على أساتذة الإسلام فى الأندلس فتح المسلمون صدورهم الطيبة وجامعاتهم العريقة ، واستقبلوا التأهين فى طريقهم من مراكز العبودية والجهل إلى منارات العلم والإنسانية .

ولكن المرضى بالأعصاب حقدوا على الإسلام فى الأندلس ، فبيتوا له أمراً .

وكانت الكشوف الجغرافية مقدمة الأمر الذى انتواه تلاميذ المسلمين الذين نفسوا على الإسلام تكريمه للبشر ، ثم كانت الحروب الصليبية دوام عدة قرون من الزمن ، أنهاها الله بالنصر فى موقعة حطين ، وعادت العساكر الأوربية الفاشلة وقد علمها صلاح الدين درساً فى :

١ - العسكرية الشريفة .

٢ - الأخلاق المهذبة .

علمهم صلاح الدين أن الإسلام يسالم من يسالم ، ويرد كيد المعتدي بيد من حديد ، فلما عادوا من الهزيمة حملوا معهم مشاعل العلم والنور والمعرفة من الشرق الإسلامى المجيد .

ولكن مرضى الأعصاب لا يبرعون أبداً ، فاستعاضوا عن الحروب الصليبية العسكرية بحروب صليبية ثقافية تطعن فى الإسلام وتمزق الفكر الشاب فى المسلمين بالتشكيك والانحلال والفسوق والعصيان .

فكانت عملية الإسقاط التى يسلكها مرضى الأعصاب دائماً ، فاتهموا الإسلام بتهمات هى فيهم عيب ، والإسلام منها براء ، وهى فيهم وباء ، والإسلام لها شفاء .

وكان من ضمن المجالات الإسلامية التى تناول عليها السلوك العصبى المستشرق السنة الإسلامية ، فقد استخدموا فيها منهجهم المقلوب ، منهجهم الإسقاطى المحموم :

١ - قلب الحقائق .

٢ - قلب نصوص المادة العلمية .

٣ - إخضاع المادة لفهمهم الخاص ، مع جهلهم بالنوق العربى .

٤ - تصويرهم لحضارة الإسلام تصويراً عدائياً .

٥ - نقلهم عن مصادر لا تمثل الفكرة الإسلامية ، وأصحابها ليسوا حجة على الإسلام .

٦ - قياسهم الإسلام بتخلف شعوبه ، إسقاطا لحياتهم الأولى ومغالطة للتقدم الإسلامى الواسع قبل الغزو الاستعمارى لشعوب المسلمين .

بهذا الروح ، وبهذا المنهج ، وبهذا المرض العصبي ، تكلم الحاقدون المستشرقون فى الإسلام كله وفى السنة بوجه خاص ، وإليكم حديثاً عن مغالطتهم فى السنة ، وإفكهم فيها ، لتحددوا لأنفسكم كشاعل للإسلام المكان والعمل الذى يجب أن يكون .

جولد تسيهر :

يهودى دماً ، وألماني جنسية ، ويعمل فى عرف العلماء المحدثين شيخ الاستشراق ، فلا تزال كتبه وأبحاثه وآثاره العصبية مرجعاً أساسياً لأبنائه صغار المستشرقين .

كتب عن القرآن ومذاهب المفسرين ، وكتب عن السنة الإسلامية واتهمها واتهم القائمين عليها بما نلخصه فى النقاط الآتية :

١ - القسم الأكبر من الحديث أثر من آثار جهود المسلمين فى عصر نضوجهم وليس وليد العهد الأول .

٢ - تدخلت الدولة الأموية ، وتدخل معاوية فى وضع الحديث لتأييد وجهة النظر الخاصة بهم فى الحكم ، ويستدل على ذلك بأن معاوية زاد فى درجات المنبر .

٣ - الإمام الزهرى من أمثلة العلماء الذين استغلهم العهد الأموى فى وضع الحديث ، ويدعى أن الوليد بن إبراهيم الأموى جاء إلى الزهرى بصحيفة بيضاء وضعها أمامه وطلب إليه إجازة رواية أحاديث ينشرها فيها على أنه سمعها ، فأجازته الزهرى من غير تردد ، ويدعى المستشرق المعجوز أن الزهرى قال للوليد « ومن يستطيع أن يخبرك بها غيرى » .

٤ - ويستدل على نسبة السنة إلى الوضع الشخصي في عصر النضج ما يروى عن وكيع قال عن زياد بن عبد الله « أنه مع شرفه في الحديث كان كذوباً » .

وهذه النقاط سترون منها :

١ - مدى جهل المستشرق بطبيعة الإسلام ، وتجاهله تاريخه وحضارته .

٢ - كما ترون جهله بحقائق الإسلام ، وكراهيته .

وسوف ترون مزيداً من كل هذا في توضيح ما أثاره هذا الشيخ المريض بالأعصاب من إشكالات حول السنة .

الإجابة على النقطة الأولى :

يدعى المستشرق أن السنة وضعت عند نضوج المسلمين ، وكلمة نضوج كلمة براءة جاهلة ، لأننا إذا سألناه متى نضج المسلمون ؟ وما هي وسائل نضوجهم ؟ نجده جاهلاً تماماً .

لأن المسلمين نضجوا بالرسالة المحمدية ، يوم أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » ( المائدة )

ووسائل النضوج هي اكتمال مقومات الأمة ، وقد اكتمل للأمة الإسلامية كل مقوماتها في عصر النبوة الكريمة :

١ - الدستور

٢ - القانون .

٣ - الجيش .

٤ - الحكومة .

٥ - وتحددت العلاقات في داخل المجتمع وخارجه .

٦ - واتسع للإسلام وطنه، وتمكنت جيوش الله من الفتح والنصر المبين.

٧ - وفي عهد أبي بكر ( رضى الله عنه ) كانت الدولة الإسلامية هى أول دولة فى القرن السابع الميلادى تعان الحرب على الجاحدين حق الفقراء ، والمهاويج من إقامة العدل الاجتماعى ، وتحقيق التكافل والرعاية الاجتماعية فى الوقت الذى يسود أوربا الإقطاع والرق ، والطبقية والجهل ، والأحقاد والكراهية والتفتيت الاجتماعى ، والظلم والقسوة ووأد الفكر ، وقتل العلماء ( ومحاكم التفتيش ) .

وإذن : فقالة المستشرق « السنة وضعها المسلمون فى عصر النضوج » مقالة جاهل بأسلوب النضوج أو متجاهل خاقد على الأمة التى نضجت فى وقت كان فيه أجداده عبيداً جهلاء .

### الإجابة على النقطة الثانية :

يخفى التاريخ الإسلامى بذكريات الفتوح الإسلامية التى قامت بها الدولة الأموية ، ويعرف التاريخ أن شاطئ البحر الأبيض المتوسط والشمالى وجزره الشرقية ، كانت مقفلة قبل أن يفتحها جيش الأمويين للإسلام ، وكان على رأس هذه الجيوش أبناء بنى أمية ، ومع هذا المجد العسكرى يحفظ التاريخ لعبد الملك بن مروان كثيراً من الحرص على العبادة والتقوى ، وسيرة عمر بن عبد العزيز إلى درجة المثالية والأمانة ، ولكن المستشرق ينقل المعركة بين الخوارج والشيعة إلى البيت الأموى ويرميهم بأنهم وضعوا فى السنة ما يقوى وجهة نظرهم ويؤيد مذهبهم ، وهذا غلط ، فإن الخوارج والشيعة ليسوا من علماء الإسلام المعتد بهم ، وليسوا من علماء السنة ، وما دار بينهم من خلافات مذهبية شخصية لا تمثل فكرة الإسلام الصحيحة .

وخلافات الأمويين مع الشيعة والخوارج ليست من قبيل اضطهاد العلماء المعنيين بالسنة الإسلامية ، بل هى خلافات حزبية بدليل أن علماء السنة مثل سعيد بن المسيب ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وسالم مولى

عبد الله بن عمر ، وأبى بكر بن عبد الرحمن ، ونافع مولى ابن عمر ... إلخ وغيرهم من العلماء الذين أخذت السنة عنهم واشتغلوا فيها ، لم يصطلحوا مع الأمويين في معركة ما ، ولا حفظ التاريخ عنهم سجلاً لواقعة حربية أو كلامية ، حتى الحجاج وهو المشهور بالقسوة مع خصوم الدولة الأموية كان له أثر ديني وفضل ثقافي في إعجام القرآن وشكل كلماته، وتلك خصلة تحترم العلم والعلماء ويدفعها التدين الأصيل في نفس الإنسان .

لهذا ترون مقدار الخلط بين الخلافات الحزبية ، وبين الآثار العلمية ، وتعرفون من هذا على فحوى المغالطات ، وتركيب المقدمات الخاطئة الموصلة لهوى متبع ونتيجة ضالة ، دفع إليها الحقد والحسد والإسقاط الذي يبنى به مرض الأعصاب دائماً .

وأما ما يختص بزيادة المنبر ، فإن العقيدة المسيحية عند أصحابها ، وهي الدين الذي يؤمن به جولد تسهير تجعل الكنيسة جزءاً من العبادة ، ومن الدين ، ففي نظر جولد بناء على هذه العقيدة أن المنبر جزء من الدين الإسلامي ، وأن الزيادة في المنبر زيادة في الدين ، وهي جهل بحقيقة الإسلام وبحقيقة عقيدة الإسلام ، وهو إلى جوار ذلك سجل على جمود جولد وجهله بالفوارق بين عقيدة واضحة هي الإسلام ودين معقد هو مسيحية القسيسين والرهبان ، فإن الزيادة في المنبر مسألة عادية لا علاقة لها بنظم الدين وقواعده ، والإسلام قد ترك مسائل جزئية تتولد في حياة التعاشر الإسلامي تركها للعقل والذكاء الذي أحترمه الدين وقلسه ، ولكنه قلر لم يحفل به انجيل جولد تسهير ، ولم يتعرف عليه فأسقط حججه العقل على حرية العقل في الإسلام ففضح دينه ، ونفسه من حيث لا يلرى .

### الإجابة على النقطة الثالثة :

يدعى جولد أن الدولة الأموية استغلت الإمام الزهري في وضع الحديث لنصرة مبادئها ، وإذا كنا نعرف في تاريخ تدوين السنة أن الزهري أول

من جمع السنة وكتب فيها ، ندرك مدى ما يقصده المستشرق من تحطيم  
كيان السنة ، وهدم جدارها الأساسى ، وتلك غاية دنيئة ، ليست من  
خلق العلم ، ولا من أسلوب حرية البحث ، ولننظر معاً لنعرف من هو  
الإمام الزهرى ؟

### أولاً - الزهرى عند علماء الجرح والتعديل :

كان الله قد منح السنة رجالاً أكفاء هذبوها من الدخل وأبرؤها من  
سقام الكذب الذى بعث ديدانه الشيعة والخوارج والمتفقون والجهلاء ،  
وكان فى مقدمة أولئك الرجال علماء الجرح والتعديل الذين قننوا القواعد  
المستقصية لحياة الرواة وسلوكهم ، ومقدرتهم على تحمل السنة ، ونصيبهم  
من القدرة على أدائها ... إلخ . وجعلوا لذلك درجات ، وصفات وأحوالاً  
أولئك العلماء تكلموا عن الإمام الزهرى ، فقالوا : « كان الزهرى ثقة ،  
كثير العلم والحديث والرواية ، فقيهاً ، جامعاً » . ( ابن سعد فى الطبقات )

« أحسن الأسانيد تروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة :  
الزهرى عن على بن الحسن عن أبيه عن جده . والزهرى عن عبد الله  
ابن عباس » . ( النسائى )

« الزهرى أحسن الناس حديثاً ، وأجودهم إسناداً » ( ابن حنبل )  
« سئل أبو زرعة : أى الإستاذ أصح ؟ فقال : أربعة أولها الزهرى  
عن سالم عن أبيه » . ( ابن أبى حاتم )

« كان الزهرى من أحفظ أهل زمانه ، وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار ،  
وكان فقيهاً فاضلاً ، روى عنه الناس » . ( ابن حبان فى كتابه : الثقات )  
« حدثني أبى قال : الزهرى مدنى تابعى ثقة » ( صالح بن أحمد )  
يقول الدكتور السباعى : « ..... وهكذا تضافرت روايات الأئمة

والحفاظ ، وعلماء الجرح والتعديل ، على توثيقه وأمانته ، وجلالة قدره ، ونبله في أعين المحدثين .

ثانياً - حياته ، وعلمه :

هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحرث ابن زهرة القرشي الزهري . توفي والده في الحروب التي اشترك فيها ضد المؤمنين مع عبد الله بن الزبير ، وترك ولده - شيخنا هذا - يتيماً معلماً . توجهت همته إلى تثقيف نفسه فأكب على حفظ القرآن الكريم فأتته في ثمانين ليلة ، حكاية عن أبي أخيه ، تعلم الحلال والحرام على يد أساتذة ممتازين في الدين والخلق منهم : أنس ، وابن عمر ، وجابر ، وسهم بن سعد ، وهم رعييل أضاء صدره نور النبوة .

كذلك تلقى جانباً من التثقيف الديني على يد التابعين الأوائل مثل : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير وعبيد الله بن عتبة . يقول العلماء الثقات : « جلس الزهري إلى الإمام الجليل سعيد بن المسيب ثمانين سنوات متواصلة » .

وكان إمامنا الزهري سخياً ، كريماً ، جواداً ، يقول الليث بن سعد : « كان ابن شهاب الزهري من أسخى من رأيت ، يعطي كل من جاءه يسأل ، وكان يعد للناس على الطريق موائمه الثريد والعسل » .

ومن أبرز صفاته العلمية :

١ - حرصه على طلب العلم . يقول أبو الزناد : « كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع ، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس » .

يقول إبراهيم بن سعد : قلت لأبي : بم فاتكم ابن شهاب ؟ قال : كان يأتي المجالس في صدورها ، ولا يلتقي في المجلس كهلاً ولا شاباً إلا سأله ،



ثم يأتي الدار من الأنصار ، فلا يلقى كهلاً ولا شاباً إلا سألته حتى يجادل  
ربات الحجال .

وأما عن حفظه وجودة ذاكرته وقوتها ، فيقول ابن عساكر في تاريخه  
بسنده إلى عبد العزيز بن عمران : أن عبد الملك كتب إلى أهل المدينة يعاتبهم  
فوصل كتابه في طومارين ( صفحتين ) فقرأ الكتاب على الناس في  
المسجد عند المنبر ، فلما فرغوا وافترق الناس اجتمع إلى سعيد بن المسيب  
جلساؤه ، فقال لهم سعيد : ما كان في كتابه ؟ ليتنا وجدنا من يعرف لنا  
ما فيه ؟ فجعل الرجل من جلسائه يقول : كان فيه كذا . . ويقول الآخر :  
فيه كذا . . قال : فكأنما سعيد لم يثق فيما سأل عنه بنجرهم ، فبان ذلك  
لابن شهاب ، فقال : أتحب يا أبا محمد أن تسمع كل ما فيه ؟ قال : نعم .  
فقرأ حتى جاء عليه كله كأنما كان يقرأ من كتاب .

يروى عبد الرحمن بن إسحق عن الزهري قال : قال الزهري :  
« ما استعدت حديثاً قط ، وما شككت في حديث إلا حديثاً واحداً ،  
فسألت صاحبي : فإذا هو كما أحفظ . »

ويروى عنه الليث أنه قال : ما استودعت قلبي علماً فنسيته .

ومن هنا نرى علماء السنة والمشتغلين بالحديث دراية والعاملين فيه  
رواية يقولون : « لم يكن في الناس أحداً أعلم بالسنة من الزهري . »  
( سفيان بن عيينة )

« ما رأيت أنص وأبصر بالحديث من الزهري » ( عمر بن دينار )  
« لولا ابن شهاب لضاعت أشياء من السنة . »

( سعيد بن عبد الرحمن بن حنبل )

فهل لمثل هذا العالم الفاضل الجليل أن يكون إمامة ؟ وأن يبيع جهوده ،  
وأن يمالئ الحكم على دين الله ؟ لا . . . ولا . . . ثم لا .

### ثالثاً - حول شبهات جولد تسهير :

يدعى العجوز في مرض الأعصاب شيخ الحاقدين على الإسلام ، أن الأمويين استغلوا الزهرى في وضع الحديث ؟ .

ونحن نقدم لكم نموذجاً لموقف الزهرى من الأمويين ، لا سيما بعد أن تأكدنا أن الدولة الأموية لم تتركها حركة الفتح الإسلامى في فراغ تضع فيه أحاديث ، كما أن رجال الدولة لم يكن حماسهم أقل من غيرهم في التمسك بالدين ، بل وجهاداً في سبيل توسيع إمبراطوريتهم .

يروى صاحب القمد الفريد فيقول : « دخل الزهرى على الوليد بن عبد الملك فقال له : ما حديث يحدثنا به أهل الشام ؟ قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبداً رعيته كتب له الحسنات ، ولم يكتب له السيئات . قال الزهرى : باطل يا أمير المؤمنين ، أنبي خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي ؟ قال الوليد : بل نبي خليفة . قال الزهرى : فإن الله تعالى يقول لنبيه داود صلى الله عليه وسلم : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » (١) . فهذا وعد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة ، فما ظنك بخليفة غير نبي ؟ . قال الوليد : إن الناس ليغيروننا عن ديننا . هـ .

إن علماء المسلمين لا يصددهم عن دينهم ملك ، ولا حكم ، ولا رهبة ، ولا أمانى . وإن أبدانهم وأموالهم وأولادهم عندهم هباء إذا افتدى الدين بكلهم .

وهذا لون جديد من منزلة العلم لم يتمرس بها تاريخ أوربا ، فلم يستطع « جولد » أن يدركها أو يتجاهلها لو أدركها ، ولكن الإسقاط الذى يسلكه مرضى الأعصاب دائماً هو الذى يجعله يتهم الزهرى بما في الغرب من غجز

---

(١) ٢٦ من سورة ص .

علمائه ويبيعهم ذمهم والدين والخلق والحق من أجل متعة حقيرة وتافهة  
قصيرة .

وأما قصة إبراهيم بن الوليد الأموى ، فإن العلماء يقررون أن إبراهيم  
قد تعلم على الزهرى ، وسمع منه فقط ، والقدر الذى جهله المستشرق هو  
أن تحمل رواية الحديث يكون بالمناولة وبعرض المناولة .

والأخيرة هى أن يقدم التلميذ لشيخه كتاباً فيه أحاديث سمعها من  
شيخه ، فيتأملها الشيخ ثم يجيز له التحدث بها ، فإذا صحت رواية إبراهيم  
الأموى فهى من هذا القبيل الذى جهله « جولد » أو تجاهله ليطعن على  
السنة ، وهو منهج العكس . أما عبارته : « من يستطيع أن يخبرك بها »  
فهى تحريف من « جولد » وتصحيحها : ومن يجيزك بها غيرى . وهو حق  
لأن إبراهيم الأموى كتلميذ فى الحديث على الزهرى ، لا يجيز له فى الحديث  
أستاذ سواه ، كما هو مقرر فى مصطلح الحديث .

ولكن إذا تأملنا كتب الحديث ، والجرح والتعديل ، وكتب الثقات  
والمجرحين ، لم نجد لإبراهيم الأموى ذكراً لا بالرواية ولا بالجرح  
ولا بالتعديل .

وإذن : فقصة الورقة التى قدمها إبراهيم الأموى إلى الزهرى كذب  
خلقها شيخ الحاقدين المرضى بالأعصاب وتولى كبرها دون ما حياء من  
الحق ولا خجل من التاريخ الذى يؤكد كذبه واقتراءه .

#### الإجابة على النقطة الرابعة :

ينقل جولد نصاً يستدل به على أن وكيعاً يطعن فى زياد بن عبد الله  
ويرميه بالكذب ، فيقول : إنه كان مع شرفه فى الحديث كذوباً .  
وتلك واحدة من جنائيات المستشرق على أمانة النقل ، وأمانة البحث العلمى .  
ومنها تعرفون منهجهم وكذبهم فى ادعاء الحيدة فى البحث العلمى :

١ - الكذب .

٢ - تحريف النص .

٣ - الإسقاط من حياتهم المريضة السيئة على حياة الإسلام .

٤ - انتحال الزوير ، وتلفيق التهم ، والأقاصيص الباطلة .

٥ - شرح النصوص خطأ أو متعمداً أو تجاهلاً .

فإن حقيقة النص كما يرويها الإمام البخارى ، وقال عقبة السدوسى عن وكيع : هو - أى زياد بن عبد الله - أشرف من أن يكذب ، فالنص يشهد بأن وكيعاً يبرىء زياد بن عبد الله من الكذب ويجعله أشرف من أن تلصق بأخلاقه خصلة الكذب .

ولكن جولدم يحرف النص فيقول : « أنه كان مع شرفه فى الحديث كذوباً » ، وليس أكذب من جولدم اليهودى الذى بدل النص وحرف العبارة ، بما لا يتفق صدرها مع عجزها ، فأى شرف ذلك الذى يكون صاحبه كذوباً ، إذا كان الوصفان منصبين على التحديث ؟

وهكذا يتضح لكم مقدار الأمانة العلمية عند الاستشراق ، وترون مبلغ أمانتهم على تحمل تحرى الحق ، ونقل النصوص ، وكذلك ترون ما يكونون من حقد على الإسلام جعلهم يزورون ويكذبون ويعتدون على العلم والأخلاق ، والتاريخ !

وبكل أسف فإنهم ينتحلون مذهب الحيدة فى البحث ويدعون إلى حرية البحث مجردة عن العواطف الخاصة ، وهذا مكر خبيث ، يريدون به تجريد العلماء المسلمين ، والشباب المسلم من تحمسهم للدين الذى نيط به تكريم البشرية ليفرغ لهم المجال يملأونه بالحق والتعصب الأسود والحمق الأصفر والخبيث الدفين .

وبكل أسف فإن بعضاً من أبناء المسلمين قد تبعمهم وتبنى فكرتهم :

إما جرياً وراء الشهرة والسمعة أو طلباً لمادة تجرى عليهم من مال الاستشراق  
ثمناً بخساً للضمير والخلق والحياء ، أو ضعفاً في الدين ، وجهلاً بأصوله  
ومنهجه وروحه . وبكل أسف فإن هؤلاء التلاميذ لهم من الشهرة العلمية  
البراقة ما يندع الشباب ، ويضلل الفكر ، ويلبى العقل : فلهم يلمسون سم  
الاستشراق في ثقافة الإسلام باسم الدين وبأسلوب براق مخادع ، مثل كتاب  
فجر الإسلام : وضعى الإسلام ؛ الذى يذكر فيه مؤلفه حديثاً ملتويّاً  
تعلّمه من جولده تسيير عن السنة ائتم فيه ؛ بمطاعن شيخ المرضى بالأعصاب ؛  
ومثله كتاب أضواء على السنة الإسلامية التى حررها كبار المستشرقين  
الحاقدين على الإسلام مثل ديترش ، دينيه ؛ زير ستين ، سبير سترك  
... إلخ . وكتاب المسيحية فى الإسلام للقيس لوقا .

ومن غير شك إذا كانت هذه هى مراجع الكتاب فى مادته ، فهو  
كتاب لا يمثل السنة ولا يلتقى عليها أضواء ، ولكنه كتاب يضيف إلى المكتبة  
العداية ضد الإسلام واحداً من الكتب الخبيثة ضد الدين .

وقد أحببنا أن نذكر لكم هذين الكتابين كنموذج تعرفون منه على  
سمات الكتاب الذى يمثل الفكرة الإسلامية الصحيحة ويصح مرجعاً إسلامياً ،  
والكتاب الذى يعتدى على الفكرة الإسلامية ويطنعها أو يشوهها ليكون لكم  
فى مستقبل العمر إن شاء الله قدرة على رد الشبه ودفع الهوى ، فإن النبى صلى  
الله عليه وسلم قد حمل الصالحين فى هذه الأمة شرف الدفاع عن السنة فقال :  
يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال  
المبطلين وتأويل الجاهلين .

## منهج العلماء في تنقية السنة وضبطها

- \* الوضع في الحديث : زمنه ، وأسبابه .
- \* الرجال الوضاعون ، والكتب الخاصة بهم .
- \* تدوين السنة : مفهوم التدوين
  - التدوين في الطور الأول.
  - التدوين في الطور الثاني .
  - التدوين في الطور الثالث .
- \* منهج العلماء في ضبط الرواية .
- \* منهج العلماء في ضبط السند وتقسيم الحديث



## الوضع في الحديث

في أسلوب الحياة العادية عندما تخف الرقابة يعبث الماكنون وينفر المتسردون على القيم والأخلاق : لا سيما إذا كان العابثون يتربصون الدائرة وينتهزون الفرصة ، ويستعجلون الساعة . . .

والأمة الإسلامية من بعد الخلافة الشابة خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أمة خفت فيها الرقابة بكل أنواعها :

١ - الرقابة الدينية في نفس الفرد .

٢ - الرقابة الشعبية الدينية في نفس المجتمع .

٣ - الرقابة الإدارية الدينية في الحكومة .

فانفتحت أبواب واسعة للعابثين بحياة الإسلام المتسنيين وأده وقتله المنظمين لعملهم إطاراً ووسيلة وغاية .

وكان مع الحرب ، والقتل ، والتخريب ، وسيلة أخرى هي أم الكبائر التي عميت عنها الأبصار بهرجها البراق الأثيم ، لفت كل نشاط إجرائي متجه نحو قتل الدولة الإسلامية بثياب من تعاليم الدين ونصوصه مغالطين الحق ، مبتعدين عن نصوص الوحدة ، متجافين مع صفة الأمة الإسلامية المنصوص عليها في القرآن الكريم :

كنتم خير أمة أخرجت للناس (١) .

---

(١) آل عمران ١١٠ .



وكذلك جعلناكم أمة وسطاً (١) .

إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون (٢) .

وقد أعموا بصائرهم وبصرهم عن تعليمات الوحي في مثل الظروف التي تختلف فيها الأمة ، وتكاد موجة الغضب تسيل السيوف وتمتشق الحسام فيها تتلوه سورة آل عمران «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا» (٣) «ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم» (٤) . فضل الناس الطريق عمداً وحببوا لأنفسهم الضلالة ، تمناً للهوى والشهوة ، وتمنوا أن يقبروا الإسلام في شبابه ثأراً للدول الطاغية التي أقام الإسلام فوق أنقاضها الحنان والعدل والسلام . . ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ، فهم قد ارتكبوا من الآثام ما جعلهم حطباً لنار جهنم وبئست لهم القرار ، ولكن الدين قد حماه ربه ، رغم الإفك والضلال البعيد «إنا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون» (٥) .

أعوزت التعاليم التي يلف فيها المتجسسون على الإسلام مبادئهم فاندفعوا إلى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقفون كلامهم العبي الخائر الزاهي المريض وينسبونه في جرأة فاسقة إلى النبوة الكريمة .

١ - متى بدأت هذه الحركة . . . . .

٢ - وما هي علاقتها . . . . .

٣ - ومن هم رجالها . . . . . ؟

٤ - وما هي علامات الوضع . . . . . ؟

٥ - وما أشهر الكتب فيهم . . . . . ؟

---

(١) البقرة ١٤٣ .

(٢) الأنبياء ٩٢ .

(٣) آل عمران ١٠٣ .

(٤) آل عمران ١٠٥ .

(٥) الحجر ٩ .

## ١- متى بدأ الوضع في الحديث ؟

ليس في وسع الذمة المؤدبة ، ولا في وسع العقل البصير ، أن يتصور أو يفرض فرضاً ضعيفاً أن تكون حركة الوضع كانت في عهد الصحابة الكبار أو الصغار فإن ما بذله هؤلاء الأعلام من الجهد المالى والنفسى والأسرى ، ما لا يحده التاريخ لأى دعوة من دعوات الفكر أو السياسة فى أى عصر ، فلم يعرف التاريخ دعوة تنازل فيها الفرد عن قرابته لوالده من أجل الدين ، وعشقه هجرة مسقط رأسه من أجل الدين ، وأن يبذل دمه فى كل يوم فى معارك الجهاد من أجل الدين ، وأن يهجر بيته وأولاده شهوياً طويلاً فى ظل السيوف والدماء من أجل الدين ، لا من أجل دنيا أو مال أو ملك ، أو زوجة ، أو شهوة ، أو جاه . . . بل من أجل الدين وخده ، يؤثرون على أنفسهم وقد كان بهم خصاصة . . أولئك هم الراشدون أصحاب سيدنا محمد النبى الأمين الكريم صلى الله عليه وسلم ، كما أن التاريخ يحمل لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم من معانى الكمال الإنساني ما لا يحمله لزعيم من زعماء التاريخ فى الغابرين والحاضرين وأصل تلك المعانى ما ملأته العقيدة نفوسهم من تحمل المسؤولية ، ومجاهدة الباطل والانحراف .

يخطب عمر فى الناس فيقول : « أيها الناس لا تغلوا فى مهور النساء . . الخ ، فتقوم إليه مواطنة مسلمة تعلمت من دينها الصراحة ، ونصرة الحق ، ومناقشة الرئاسة ، فى كل أمر يتعلق بشأن الحياة والدين فتقول له دون تكلف : مهلاً يا عمر ، يعطينا الله ونحرمنا أنت ، أليس يقول الله عز وجل : « وآتيتهم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » (٢٠ - النساء) فيقول عمر دون خجل : امرأة أصابت ورجل أخطأ .

(١) فى تصورى أن عمر لم يخطئ لأنه كان يتكلم عن عدم التغالى فى المهور وهو من المصالح المرسلات التى يقدرها الحاكم المسلم . والمرأة كانت تستدل بآية تدور حول مؤخر الضداع عند الطلاق ، ولكن عمر لم يشأ أن يناقش حتى لا يعرض النص لكثير من التأويل تخافاً من الخلاف واحتراماً لعصمة القرآن الكريم .

وتلك الحرية التي تعلمها الصحابة من الإسلام ، أبعدت أذهانهم ووجدانهم عن نقیصة تمس الدين أو الخلق ، لأنهم ما دخلوا في الدين من أجل ملك أو جاه ، أو مأرب ، ولكنهم أرادوها علماً لله وجعلوها سفلى للذين كفروا .

وظلت الأمة في صدرها الأول نقية من حب الشهوات ، تبحث عن الحق بحرية كاملة وتلوذ بقواعد الدين في كل أمر يحزبها ، حتى كانت فئة الليل المتربصين بالإسلام ودولته . وسلت جيوش الجاسوسية الثقافية القديمة والمنافقين المتربصين سيوفها ، فأعملت القتل ، ولوثت الأرض الطاهرة أرض السلام والحرية بدم الشهداء الزكى ، وافترقت الأمة إلى شيعة وخوارج بعد حرب صفين ، وترندقت الأحزاب فحاكت جلايب الوضع وألصقته بالسة تريد سوءاً بها ، ما هم ببالغيه أبداً إن شاء الله .

يروى عن ابن سيرين أنه قال : « لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قال : صفوا إلينا رجالكم ، فينظروا إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظروا إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » .

ومن هذا النص تدركون : أن الدعوة الماجنة التي تفترض وجود الوضع في الحديث كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالها من بقايا الجاسوسية الثقافية التي وقر في صدرها الحسد على فشل المخطط الأنيم لإنهاء الإسلام ديناً ودولة وحضارة ، وتقفون على جهل أولئك المتجسسين لحساب الإثم والعصيان إذ يستندون على فهمهم المريض في التهم السوء تلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( إن كذباً على ليس ككذب على أحد ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ) وهذه المقالة لم تكن من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا لأن رجلاً كذب عليه فقال هذا الحديث ، وهو فهم سقيم مصلود يكذبه تاريخ الصحابة ، وجهادهم الذي يسجله القرآن الكريم : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم

ركعاً سجداً يتفنون فضلاً من الله ورضواناً سيأهم في وجوههم من أثر السجود » (١) .

وهذا تجدون توضيحاً لموقف الصحابة بما يرويه مجاهد قال : جاء بشير العدوى إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . إلخ قال : فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه فقال : يا ابن عباس ما لي أراك لا تسمع لحديثي ، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس : إنا كنا مدة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بأذاننا ، فلما ركب الناس الصعبة والذلّول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف .

ويحدد لنا أبو إسحاق معنى الصعبة والذلّول فيقول : لما أحدثوا تلك الأشياء بعد على رضى الله عنه قال رجل من أصحاب علي : قاتلهم الله أى علم أفسدوا . . . وهنا فإن العلماء المستبرئين لدينهم وأعراضهم كانوا لا يأبهون ولا يحترمون الرضاعين الكاذبين . يروى عن جرير أنه لقي جابر بن زيد الجعفي فلم يعتد به لأنه كان يؤمن بالرجعة ، فهو من أهل البدع والضلالة .

إن السنة نصف الدين حماها الصحابة حفظاً وتطبيقاً ، في سبيلها بذلوا الحياة كلها مع رفعة الغرض ونبل الهدف ، وسمو المقصد ، فأثنى عليهم ربهم ( أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ) (٢) .

ثم ركب الناس الشطط والهوى واتبعوا الباطل وعشقوا الترف المنحرف فأرادوا أن يطوعوا السنة لمبادئهم فاستعصت على ضلالهم فبدلوا وكذبوا عندما استحرت الشهوة ، وألحت الوظيفة الشيطانية ، وكان ذلك بعد الفتن والهوة التي شئت لهذه الأمة أن تنهار فيها ، ولا راد لقضاء الله إذا جاء

---

(١) الآية ٢٩ من سورة للفتح .

(٢) ٥ : البقرة .

إلا من رحم ، فكان ذلك بدء الوضع ، وكانت تلك أهوال هي البلاء التي حطمت جسد الأمة ، وأبقى الله على معانيها في صدور ثلة جعلها الله حصناً للدين . وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله ، فهضمت فيما بعد تخلص السنة من أدران الجاسوسية العلمية المصدورة على نحو ما سيأتيكم في هذا الدرس إن شاء الله .

وكان أول من اقتحم ميدان الجريمة هم الشيعة ، يقول الإمام الزهري : «يخرج الحديث من عندنا شبرا فيرجع إلينا من العراق ذراعاً» .

ومالك رضى الله عنه وضع اسماً خاصاً للعراق القديم فسماه ( دار الضرب ) ففيها تصك الأحاديث ، وتضرب كما تصك الدراهم وتضرب .

ومن بعد هذا الافتتاح اتسعت الحلقة وتبارى فرسان المعاصي في الكذب ، والبهتان ، وكثرة الداعية والأسباب ، والشهوة ، تتلذذ بالمعصية وتكره النصيحة ، وتصم أذنها عن سيرة التقوى ، فانغمس الناس في لجج البهتان ، يريدون أن يطفئوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودين الله ولكن الله أبقى إلا أن يستمر نوره كما أبقى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون والمشركون والوضاعون . . . إلخ .

## ٢ - أسباب وضع الحديث :

وإنكم لتجدون أسباب وضع الحديث كثيرة في الكتب الكبرى المعنية بالكلام عن تاريخ السنة وجهود العلماء المخلصين في تنقيتها من فضول الوضعين ، وسوف تجلوها مندرجة تحت ثلاثة أبواب رئيسية :

١ - العصبية ٢ - الاختلافات ٣ - الانحرافات

• وتجندون تحت باب العصبية :

العصبية السياسية ، والعصبية القومية

• وتجندون تحت باب الخلافات :

الخلافات الكلامية ، والخلافات الفقهية

• وتجندون تحت باب الانحرافات :

التقرب للملوك ، والزندقة ، والجهل بالدين

## العصية

### ( ١ ) العصية السياسية :

١ - ركب الناس رؤوس الشياطين في الخلافات التي صنعوها بين سيدنا على ومعاوية حتى قاربوا الشرك ووقع فيه جانب منهم الرافضة ومشايعهم في كفر صراح ، إذ جعلوا علياً نبياً أو جعلوه إلهاً وقد حرقهم سيدنا على رضي الله عنه نكالا لكل منحرف عن جادة الإسلام الخفيف .

وفي مقام تأييد الشيعة آراءهم الضالة التي لم يساند لهم النص القرآني لأن القرآن يوحد الأمة ، ويأمر بالبعد عن الخلافات التي تشتت « اجتماع الأمة » « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » . فصنعوا من الكذب ديناً وهتاناً ليقتضوا على عرى الإسلام ، ونسبوا صنعهم إلى السنة المطهرة ، فاخترعوا حديث غدير خم ووضعوا معه نحو ثلاثمائة ألف حديث ( ٣٠٠٠٠٠ ) في فتائل على وأهله .

٢ - وفي مواجهة هذا الصنيع جابههم الخوارج ، وإن لم يكونوا مثلهم في كثرة الوضع إلا أن الظرف نفسه وهو تقوية الرأي بالدين قد كان مهمة كل ذي عصية سياسية ، فحاضوا مع الناس اللجة سواء كان الشيعة في عمقها العميق أو الخوارج في شطها القريب فالكل قد غاص لجة الإثم والاقتراء .

٣ - ومعها خاض الشاميون الموالون لبنى أمية ساحة المعصية فوضعوا أحاديث تنصر هواهم منها :

« الأمناء ثلاثة : أنا ، وجبريل ، ومعاوية » ، أنت منى يامعاوية وأنا منك » لا أفترق في الجنة إلا معاوية فيأتني آنفاً بعد وقت طويل ، فأقول : من أين يامعاوية ؟ فيقول : من عند ربى يتاجينى وأناجيهِ فيقول : هذا بما نيل من عرضك في الدنيا .

وكل هذا كذب مفترى ، والسنة منه براء .

٤ - والمؤيدون للعباسيين يدخلون المعركة فيضعون على المنوال أحاديث للعباسيين ، فيقولون : « العباس وصي ووارثي » ، ومن كذبهم : إذا كان سنة (١٣٥) خمس وثلاثين ومائة فهي لك ولولدك السفاح ، والمنصور ، والمهدي .

وهكذا يتحلل ذوو الشهوة من الأخلاق ومن الدين جرياً وراء مآرب سياسية ستزول حتماً ، ويسجل التاريخ تنطعهم وتطفلهم ، فإن التاريخ إذ يكتب فإنما يكتب بعقل ذكي وقلم حر ووجدان صادق وروح عالية ، ينظر ويناقش ، ويحكم بلا رهبة ولا وجل ولا ظلم ولا تحدد ، ولا تضليل .

والتاريخ لا يملية العظماء ، ولكن الحق هو الذي يكتبه ، فلئن ضلل الحاضرون فإن الغد ولو كان بعيداً تاريخ رصد ، والذكر للإنسان عمر ثانى : فمن حسن عمره الأول ، حسن عمره الثانى ، ومن ساءت حياته الأولى استحق الخلود للخلقى الرخيص ، « أفن يمشى مكباً على وجهه أهدي أم من يمشى سوياً على صراط مستقيم » (١) .

(ب) العصبية القومية :

ليس الإسلام دين وطن واحد ، أو شعب واحد ، أو جيل واحد أو مكان واحد ، أو لغة واحدة ، أو لون واحد ، ليس الإسلام بجزء

من الحياة في الزمن أو المكان ... إلخ ، ولكنه دين الله للناس كافة ،  
للأسود مع الأبيض في كل زمان على نحو ما قرر في فقه التوحيد الإسلامي .  
أن غد البشرية مماثل ليومها وأمسها ، ومطالب الناس واحدة :

— عقيدة واحدة واضحة .

— وشريعة رحيمة .

— وأخلاق فاضلة .

والإسلام وحده هو الذي اكتملت فيه على السمو الرفيع قواعد  
الاعتقاد وقوانين الشريعة ، ومبادئ الأخلاق العليا .

فالمجتمع الإسلامي ليس مجتمعاً طبقياً ، إنه مجتمع الإخاء والود ،  
والرحمة والحنان : ( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ) .  
( مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا  
اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ) . ( كل المسلم  
على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه ) . ( المسلمون تتكافأ دماؤهم  
ويسعى بدمهم أذنهم ، وهم يد على من سواهم ) .

ولكن الدم الملوث بالأحقاد ، والعقل الملتوى بالمبهم يفسق عن مبادئ  
الحق والفضيلة ، والدين ، بلا خوف ولا رهبة ، بل بالحسد والكراهية  
والتدابير ، فيؤلفون من الكذب سنة تنصر نوعيتهم القومية ويتمادحون  
بالأحاديث المختلفة الممسوسة بفم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فيقول الفارسيون : إن الله إذا غضب أنزل القرآن بالعربية ، وإذا رضى  
أنزل الوحي بالفارسية . وبجابه هذا الكذب القومي فئات غبية من ضالة  
العرب فيقولون بعكس الحديث الكاذب : ( إن الله إذا غضب أنزل الوحي  
بالفارسية ، وإذا رضى أنزل الوحي بالعربية ) .



وهكذا يتبارى جهلاء القوميات في صناعة الكذب ، ليجدحوا أوطانهم ، وما دروا أن عقيدة الإسلام أكبر من القارات وهي في عدالتها أمل النابض جميعاً عبر المحيطات ، تسوس بالعدل وتقضى بالمعروف والناس كلهم لآدم وآدم من تراب .

ومثل هذا التعصب القوي : التعصب المذهبي الذي ولده الجهل بحقيقة التاريخ التشريعي ، وحاجة المجتمع إلى الفقه الإسلامي من الثقات المطمئنين .

فيقول جهلاء الفقه المتعصبون لأبي حنيفة، رضي الله عنه « سيكون رجل في أمتي يقال له أبو حنيفة النعمان هو سراج أمتي » ، ويفترى المتعصبون على الشافعي ( رضي الله عنه ) فيقولون « سيكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس الشافعي أضمر على أمتي من إبليس ) وكذبوا معاً .

وهكذا : تجردون مجموعات من الأكاذيب وضعها المتعصبون ، ضعاف الدين والفهم والشخصية تأييداً لفكرة ضحلة ، تدور حول : القومية ، أو السياسة ، أو البلد ، أو المذهب . وهي كلها مزيفة تبرأ منها السنة ، ويرأ منها دين الإسلام الحنيف .

## الخلافاًت

### ( ١ ) الخلافاًت الكلامية :

من العوامل التي ساهمت في صناعة الحديث المدسوس الخلافاًت في علم الكلام ، لاسيما تلك الأمور التي ليس لها نصيب في القرآن والسنة الصحيحة من الصحة وليس لها من سند تعتمد عليه غير الكذب والاختلاق . ومثال ذلك : أن قضية خلق القرآن قضية حاكها الفكر الفارسي ليثبت له علماً في حركة النشاط العمراني للدولة العباسية في مقابل تقدم الفرد العربي في الدراسات الفقهية ، وحفظ السنة الإسلامية .

وهذه القضية ولدها شعور ناقص في إدراكه للعلاقات بين الأفراد في ظل الدين الإسلامي لأن العمل المقبول هو الذي توجهت به النية الخالصة إلى الله ، سواء كان الفرد أسود أو أبيض ، وسواء كان فارسياً أو تركياً أو عربياً أو إنجليزياً ... إلخ . فأساس العمل هو النية الخالصة لله : ( إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه ) .

والله يقول : « إنما يتقبل الله من المتقين » ( ) .

ولئن كان العلماء العاقلون ، يرون أن قضية : القرآن مخلوق حديث أو هو قديم يرونها قضية جديدة على العقيدة الإسلامية ، ويرونها ليست بذات أثر في ناحية الهدف داخل المجتمع الإسلامي ويرفضون الخوض فيها لعدم وجود أدلة على الإثبات ، ويرونها مسألة من المسائل التي يجب عدم الخوض فيها ، فإن التناحر النفسى بين القوميات الحالية من الوازع الدينى ، قد ملأت كتب الكلام بالحديث عن جزئيات الرأى فى هذه المسألة التى ألبأتهم إلى صناعة الزور ودسوه حديثاً على السنة الإسلامية .

فيقول المرجفون بالباطل : ( من قال القرآن مخلوق فقد كفر ) ، ( كل من فى السماوات والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن ) ( سيجىء أقوام من أمتى يقولون القرآن مخلوق فمن قال ذلك فقد كفر بالله العظيم وطلقت امرأته من ساعتها ) .

وكل ذلك كذب ما سمعه واحد من أصحاب العقيدة ، وأهل الثقة على أنه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

## (ب) الخلافات المذهبية الفقهية :

أُلزمت ظروف المجتمع البشرى الجديد داخل البيئة الإسلامية الناشئة في أوليات القرون الأولى ، أُلزمت كبار الفكر ، والعقيدة استنباط الحكم الدينى من مصادره الأساسية المأمونة : القرآن ، والسنة لاسيما بعد أن ضعفت ملكة المولدين من الدماء المختلطة ، وابتعد الناس عن عصر النبوة ، وتولدت أحداث جديدة ليس في وسع الفرد العادى أن يربطها بقاعدتها في التشريع .

فكان لزاماً على أولى الفكر الثقافات الأمانة أن يوضحوا للناس حكم الله ، وكانت حركة الفقه الإسلامى دليل الحرية الفكرية ، ودليل بعد المجال العقلى في التفكير ، ودليل رسائل العقل التى يمتد إليها في حركته ... إلخ ، مجالاته المحددة بالدين .

حرية في استنباط الحكم من قواعده إلى أقصى ما يستجد من أحداث في الحياة بعيداً عن التشابه وما وراء الطبيعة ليربط حاضر الأمة بماضيها بواسطة النظر في القرآن والسنة الصحيحة ، والنظر الخاضع لإجماع سلفه الصالح والنظر الواعى ليسر الشريعة وتسامحها ، النظر الذى يقيس الأمور بدقة وفهم ومعايير خاصة بعيداً عن الهوى المتبع والشهوة الضالة ، والتقليد التطورى الماجن الذى يفصل الأمة الإسلامية في حاضرها عن ماضيها ، ولكن قاصرى النظر من أتباع الأهواء غابت عنهم هذه القيم فأسسوا حلقة للمصارعة في المسائل البسيطة التى لا يضر تركها بالأصول ولا بالفروع ، وكانت هذه الحلقة مباراة لخلق الحديث الذى يدس على السنة فتراهم يقولون : أمى جبريل عند الكعبة فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، فيصنعون حديثاً يصورون به رأى الإمام الذى يرى الجهر بالبسملة في مواجهة من لا يرى ذلك ، وهى مسألة سهلة لا تستحق عناداً ولا جدالاً بله الكذب ودس الجسد في نار جهنم ، كذلك تراهم يقولون : المضمضة والاستنشاق للجنب فريضة . « من رفع يديه في الصلاة فلا صلاة له » ، ليسندوا آراء

القائل بهذين الحكيمين في مجابهة من لا يقول بهما ، وإن أجل ما نرثه عن الأئمة الأوائل أنهم اتفقوا على :

١ - أصول العقيدة فهي عندهم واحدة وليس هناك أدنى خلاف فيها والحمد لله .

٢ - أنهم تلمسوا الحكم من السنة الصحيحة ، وكل وضع له قواعد خاصة لقبول الحديث ، فمن ثبت عنده الحديث أخذ به ، ومن لم يثبت تركه .

ومع هذا فقد وضعوا لنا قاعدة جلييلة « إذا صح الحديث فهو مذهبي » فليس في تاريخ التشريع ما يورث هذا العناد ، بل فيه ما يورث الوحدة والبحث عن الحديث الصحيح ، ولكنهم عافاهم الله إن شاء تركوا كل هذا وأضافوا مجوناً أجهد العلماء فيما بعد عندما أرادوا أن ينقوا السنة من شعث المتوكلين .

## الانحرافات

( أ ) الزندقة :

وجد المستعبدون تحت العروش قديماً ، في دين الإسلام كرامة واحتراماً للفرد والعقيدة ، وأحست مشاعرهم بغذاء روحى يقضى على الأوهام والخزعبلات والانحرافات التي تعلموها في الدين القديم الذي كان ملوكهم عليه ، فدخل الناس في دين الله أفواجا ، حتى اكتسح الإسلام بذاته كبرى الدولتين القديمتين فارس المجوسية ، والروم المسيحية ، ولقد كانت قوة الإسلام الأولى في ميدان السياسة والعسكرية ، لا مثيل لها بحيث ظلت آمال العاشقين في عبودية الشعوب ، وهواة الانتقام من الإسلام واستعادة دول الذل والاستعباد مخفية ، فلجأ الزنادقة من بني أولئك المشتهين طعن الدين ثقافياً ، فولجوا مع الناس ، حرمة السنة ، مستترين بالتشيع حيناً ، وبالتعبد

أحياناً ، أو بالفلسفة مرة ، أو بالزهد أخرى ، وهم في كل ألوان هذا الدجل يتوخون توهية الدين وحشو السنة بالخلل ليتحطم القصر الشامخ الذي أقامه نبي الإسلام رحمة وهدى للعالمين .

فتراهم يلدون من بطون الحقد والكراهية : « ينزل ربنا عشية عرفة على جمل أورق يصافح الركبان ويعانق المشاة » ، « خلق الله الملائكة من شعر ذراعيه وصدره » « إن الله اشتكت عيناه فعادته الملائكة » ، « إن الله لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخليل وأجراها فعرقت فخلق نفسه منها » ، « النظر إلى وجه الجميل عبادة » ، « الباذنجان شفاء من كل داء » ، « إن الله لما خلق الحروف سجدت الباء ووقفت الألف » .

ومثل هذا كثير تجدون فيه لحن الكفر ، وبدعة الزندقة ، وانحراف المعنى ، وخروجه عن السوى من الخلق ، وفيه فسق بدين الله الخفيف .

يروى لنا الدكتور السباعي في كتابه : « أنه لما قدم عبد الكريم ابن أبي العرجاء للقتل ، وهو من كبار الزنادقة الوضاعين للحديث اعترف بأنه وضع أربعة آلاف حديث ( ٤٠٠٠ ) ، يحرم فيها الحلال ، ويحلل فيها الحرام ، ولذلك فإن الخليفة العباسي ( المهدي ) عندما أحس بالخطر الزندقي على السنة أسس لهم ديواناً خاصاً يتبع أوكارهم وشعبهم وشعابهم ، ورؤسائهم ومدارسهم ليجهز عليهم حماية لدين الله ، ودفاعاً عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن أشهر الوضاعين الذين سفك دمهم واستراحت منهم أفكار الشيعة وأبعد الله بفنائهم شيطان الوضع :

بيان سمعان المهدي ، قتله : خالد القسري .

محمد بن سعيد المظلوب ، قتله : أبو جعفر المنصور .

عبد الكريم بن أبي العرجاء ( الذي سبق ذكره آنفاً ) قتله : محمد بن سليمان أمير مدينة البصرة .

## (ب) الجهل بالدين :

الإسلام دين الحياة : الحياة الدنيا ، والحياة الأخرى . وهو للناس اعتنى بالتشريع الخاص بتنظيم الحياة للفرد ، والأسرة والدولة ، في مجالات : الرعاية الاجتماعية ، والعمل والتحرك الاقتصادي ، والنظام السياسي ، والأسس العسكرية ، والمعاهدات ... إلخ . وفي تاريخ الدعوة الإسلامية مجال تطبيق لهذه الأسس ، وهو يعطى الفرد دليل صحة التدين ، الذى يحفظ عقله وماله وذريته ، ونفسه ، وأمرته ، وجماعته ودولته .

والإسلام وحده بفقه التدين يُمرس الفرد على أن يوفق بين مطلبه ومطالب المجتمع الذى يعيش فيه .

وتقوم الدعوة فى الإسلام على أساس من إقناع العقل ، واحترام التفكير ، وقد خاطب الله العقل وأمره أن ينظر : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » (١) ، « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » (٢) إلى آخر الآيات .

ولكن قوماً جهلوا الدين فى :

١ - عرضه : فأفسدوا حقائقه ، واستعانوا على ذلك بإثارة العواصف ،

وتسيب الأفتدة بخلق قصص قد تولد استكانة ، أو تمت عزيمة .

٢ - أو فى فهمه : فظنوا الخلاص من الحياة ديناً حميداً ، فخلعوا ثياب

الدنيا زهداً ، وجعلوا أن الفقر ليس زهداً ، وليس الزهد فقراً ، وإنما

الزهد فى أدق معانيه الإسلامية : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم

خصاصة » (٣) . والزكاة لم تفرض على الكسالى يخرجون من كسلهم

زكاة ، والإسلام لم يحفل برعاية يتامى عالة على جهود الزهاد العرايا ،

بل نظم القوانين المالية ليزهد الناس فى الحرام بالحلال ، ومن الحلال

يصنعون دولة العطف والرعاية كنموذج للأمة الفاضلة التى لا يجد فيها

---

(١) ١٠١ يونس .

(٢) ١٩٠ آل عمران .

(٣) الحشر .

المسكين والفقير مكاناً للعوز والحاجة ، والذلة النفسية .

ولكن الجهلاء بالدين صنعوا لهم قوماً خاصة فأضروا بالدين ، وألحقوا أنفسهم ( لا عن عمد ) بالذين ظلموا وكانوا مجرمين .

فالوعاظ والقصاصون ورواد الدعوة وجهوا همهم في الحصول على دموع السامعين وطأطأة الرؤوس وسلب العقول ، وإثارة العواطف ، فأحدثوا بدعة القصة ، وورث تاريخ الدعوة إحصائيات كثيرة عن أقاصيص الجنة والنار . ويقول ابن قتيبة في وصف حالة الوعاظ الجاهلين بالدين :

« فإنهم يميلون وجه العوام إليهم ، ويشيدون ما عندهم بالمناكير والأكاذيب من الأحاديث ، ومن شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجباً خارجاً عن نظر العقول ، أو كان رقيقاً يحزن القلوب ، فإذا ذكر الجنة قال : فيها الخوراء من مسك أو زعفران ، وعجيزها ميل في ميل ، ويوىء الله وإليه قصرأ من لؤلؤة بيضاء فيها سبعون ألف مقصورة في كل مقصورة سبعون ألف قبة ، فلا يزال هكذا في السبعين ألفاً لا يتحول عنها »

ويمكنكم أن تتبعوا دروس الوعظ فتجدون فيها من الخيالات ما لا تتفق مع العقل الإسلامي البناء ، فترون مثلاً : « من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيراً منقاره من ذهب وريشه من مرجان » . ومن الظريف جداً أن جرأة هذا الصنف بلغت حد السخرية بقيمة الوعظ ، فبينما جلس واحد منهم في مسجد الرصافة يحدث فيقول : حدثنا أحمد بن حنبل ، ويحيى ابن معين قالا : حدثنا عبد الرزاق عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال لا إله إلا الله ... إلخ الحديث السابق سأله يحيى بن معين وكان حاضراً في المجلس هو والإمام أحمد بن حنبل وهما اللذان يدعي الرجل أنه يحدث عنهما ، قال له يحيى : من حدثك بهذا ؟ قال القاص : أحمد بن حنبل ويحيى بن معين . فقال يحيى : أنا يحيى وهذا أحمد ما سمعت بهذا قط في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان ولا بد فعلى غيرنا ، ولكن حماقة القاص تهجم وتقول : لم أزل أسمع أن

يحيى بن معين أحقق حتى تحققته الآن . فقال له يحيى : وكيف ؟ . فقال الرجل : أليس فى الدنيا يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل غيركما ؟ . لقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل : ويحيى بن معين ؟ .

وبكل أسف : فإن هذا المنهج قد ساعد جهال الأمة على انتشاره وأصبح من العسير أن يوجه الرأى العام الإسلامى بالحجة والإقناع ، فقد استروح الناس لذة القصة ونأوا عن محجة الدين ، ومحاجة الفكر ، وذلك داء يعطل وظيفة الأمة التى بعثت أستاذة تعلم الناس شئون الحياتين .

لذلك فإن أسلوب الدعوة يجب أن يتخذ له منهجاً فى :  
— توضيح حقيقة الإسلام من نواحيه كلها : العقيدة ، والشرعة ، والأخلاق :  
— نشر الثقافة الإسلامية الواضحة ليتعرف الفرد على طريق الله السليم فى خضم النظريات المواجهة .

— تربية الدعاة الفدائيين ليكون توصيل الدعوة مرتبطاً بقيادة وإعانة ، وتفسير عملى لحقيقة الإسلام ، ولسوف نجد إن شاء الله جهازاً للدعوة الإسلامية فى هذا الوطن الإسلامى الشقيق يعطى الدنيا أدلة العمل الإنسانى من دين الإسلام ، فإن أندونيسيا وطن بكر لدين الإسلام وحقل خصب للتجربة الرائدة .

وأما الزاهدون بغير علم ، والعابدون بغير معرفة ، فلنا معهم حديث : أما المنهكون فى العبادة ، فقد ظنوا أن ترقيق القلوب فى الطاعة ، وأن الكذب بالحديث للإسلام لا شئ فيه ، وهم جاهلون ، لأن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه : نسبة قول أو فعل أو تقرير إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغير حق ، فسواء كان الحديث مزعجاً فى الإسلام أو كان مفسداً للإسلام فكلامهم وضع على صاحبه أن يتبوأ مقعده من النار .  
إن الأمانة فى الدين ، وإن الأمانة فى العلم ، وإن الأمانة فى الخلق ،



هى الأداء بلا زيادة ولا نقصان ، ولكن الراغبين فى الطاعة مع الجهل ، خزجوا على حدودها المقررة ، فوضعوا فى الترغيب والترهيب أحاديث ، فلما وجههم العلماء ، وذكروا لهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ردوا عليهم بفلسفة عمياء فقالوا : له نكذب لا عليه . وهو جهل وعمه ، لأن مدار المنع هو على النسبة للرسول صلى الله عليه وسلم مطلقاً ، إذ هو الدين والسنة ، والرسول لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، فليس للرأى الخاص ولا للعقل مجال بعد النص ، وقد تمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته . ولقد أكمل الله للمسلمين دينهم : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » (١) . فليست العقيدة والشريعة ، والأخلاق والدعوة فى حاجة إلى زيادة من بعد ذلك أبداً .

ونوح بن مريم أحد الوضاعين رغبة فى الخير وجهلاً بالدين لما رأى الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقهاء أبى حنيفة ومغازى بن إسحاق وضع لهم بعض أحاديث فضائل القرآن ليحملهم على قراءته .

ومثله غلام خليل الزاهدى المحتسب الذى أغلق أهل بغداد لموته جوانيتهم حزناً عليه ، وضع الأحاديث فى فضائل الأذكار والأوراد ، وقد اعترف بنفسه بهذا الوضع عندما سئل فقال : وضعناها لترقق بها القلوب .

يغفر الله لهم سيئاتهم ، ويعافهم إن شاء الله ، إنه هو الغفور الرحيم .

### (ج) التقرب للملك :

ضعاف النفوس هم الذين يحقرون أنفسهم طلباً للمادة ، وأصحاب النفوس الكبيرة هم الذين ترتفع همهم فوق المادة والجاه ، وتعتز بدينها وخلقها ، وترى أن العزة فى طاعة الله .

وقد خسر أولئك الذين حقروا أنفسهم حياة الدنيا والآخرة ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ( تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ) . وقليل من الناس من يقوى على شهوته ويحترم عقله ، وينصر دينه ، وكثير منهم من يتبع الهوى ، فيضل عن سبيل الله .

ومن أمثلة ذلك أولئك المتسكعون أمام الأبواب عند الملوك والرؤساء يضحكون إذا ضحكوا من غير معرفة لهم لماذا ضحكوا ؟ أو يقومون هم بإضحاكهم إذا شاءوا ، فهم الإمعات التي تسخر نفسها لتقدم زادا ولو حقيراً لغيرها . ولو أنهم باعوا حياتهم ومروءتهم فقط لكان الذنب صغيراً والجريمة واهية ، ولكن الويل كل الويل لأولئك الذين باعوا دينهم مع دنياهم ثمناً بخساً لمتعة تزول سريعاً ، ونعمة هم فيها ساقطون ضاغرون .

يروى العلماء الثقات : أن غياث بن إبراهيم دخل على المهدي الخليفة العباسي فوجده يلعب بالحمام ، فأراد أن يلصق لعب الملك بالسلوك العبادي للنساک الطائعين ، فذكر له الحديث المشهور : « لا سبق إلا في نصل أو حافر » ثم زاد من عنده « أو جناح » ویتهاون المهدي في تأديب ذلكم الكاذب ويمنحه عشرة آلاف درهم ، ثم يقول بعد أن ولى : أشهد أن قفاك قفاً كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أمر بذبح الحمام .

ولو أنه شج رأسه ، وأدخله السجن وعززه بالضرب لكان أصون للدين وأجود للتهذيب وأنكى للغير ، ولكنها خلة الملك تهوى التسكع من المتسكعين حول البلاط وزوايا القصور .

تلك هي البواعث والعلاقات التي دفعت فريقاً من الخزيين ، والجاهلين ، والمتعصبين ، والزاهدين ، والمتسكعين لخلط كلامهم بالسنة ، ولسوف يهيه الله لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم من ينقيها من الدنس ، وهوى الزندقة ، وكذب الاستشراق ، وافتراء الساسة .

فالله خير حافظاً وهو على ما يشاء قدير .

## الرجال الوضاعون والكتب الخاصة بهم

لئن كان الشيطان يملك قوة يضلل بها ويفسد ، ولئن كان له من الجنود ما تشبه ضلالتة ، فإن الله له جنود السموات والأرض أكثر عدداً ، وأقوى عدة ، وأنفذ إرادة ، وما يعلم جنود ربك إلا هو ، وفي نهاية المعارك دائماً تستقر الحقائق ، وتعلو كلمة الله ، وبعض الظالم على يديه ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً ، « وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلمونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى » (١) .

فقد منح الله تاريخ السنة أفذاذاً عباقرة أولياء صفوها من شوائب المتنطعين والمتشدقين ، ولئن كانت جبات الملح التى ذوبت فى الماء قد وجد الناس لها طريقاً للحصول عليها مرة أخرى عن طريق عملية الترشيح الكيماوى ، فإن ما ألصقه — بل ما حاول إلصاقه — جماعات الزنادقة والشعوبيين ، وكلاب البلاط الملكى ، كانت كبجات الخرز الأسود فى صندوق اللؤلؤ الحر الأصيل . وبرادة الحديد وسط كتل الماس ، فالتقطها العلماء وأخرجوها من السنة وبوبوا لها ولرجالها حتى صارت للسنة الإسلامية كتبها النقية ، وصار للملتصقات المكذوبة ورقاتها وللوضاعين مثلها ، وعلى قدر الجهد الممنوح لنا هنا من الله وما تملكه من المراجع تقدم إليكم طرفاً من :

الرجال الذين اقتصروا إثم الوضع ، والتخريف .  
والكتب التى اشتملت على كلامهم ، وسيرتهم ، وأحصت مفترياتهم .

## ( ١ ) الرجال الوضاعون :

فما تتبعه العلماء الثقات وعثروا عليه من الكذابين :

١ - بيان بن جعفر التميمي : وضع على أبي حنيفة ٣٠٠ حديث لم يحدث الإمام بواحد منها .

٢ - إبراهيم بن زيد الأسلمي : كذب على مالك فروى كذباً أحاديث لا أصل لها .

٣ - أحمد بن عبد الله الجوياري : وضع آلفاً مؤلفة من الأحاديث للكرامية ، وفرق علم الكلام .

٤ - جابر بن يزيد الجعفي : حاك ثلاثين ألف حديث . يقول فيه سفيان : سمعت جابراً يحدث بنحو : ثلاثين ألف حديث ما أستحل أن أذكر منها شيئاً .

٥ - محمد بن شجاع الليثي : وضع أحاديث التشبيه ، ورفعها كذباً إلى رجال الحديث الأمناء .

٦ - نوح بن أبي مريم : وضع أحاديث فضائل سور القرآن سورة سورة .

٧ - مقاتل بن سليمان ٨ - محمد بن سعيد المصلوب .

٩ - الحارث بن عبد الله الأعور ١٠ - وهب بن وهب القاضي .

١١ - محمد بن السائب الكلبي ١٢ - أبو داود النخعي .

١٥ - مأمون بن أحمد الهروي . ١٦ - محمد بن عكاشة الكرمانى .

١٧ - محمد بن القاسم الطيلكاني .

## ( ب ) الكتب :

أفرد العلماء الأحاديث المشكوك فيها ، والأحاديث المختلفة ، وصنفوا لها الكتب الخاصة ، وإليكم طرفاً من هذه الكتب :

١ - الموضوعات : للحافظ أبي الفرج الجوزى ٩٥٧ هـ ، ذكر فيه كل الأحاديث التي لم ترق إلى مرتبة السنة الصحيحة .

٢ - المغني عن الحفظ والكتاب : لأبي عمر بن بدر الموصلي المتوفى سنة ٦٢٣ هـ ذكر فيه الأبواب التي ليس فيها حديث صحيح من الروايات .

٣ - الدر الملتقط في تبين الغلط : لرضي الله أبي الفضل حسن بن محمد ابن حسين المتوفى سنة ٦٥٠ هـ .

٤ - تذكرة الموضوعات : لابن طاهر المقدسي .

٥ - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة : للحافظ السيوطي .

ذكر فيه مختصراً لكتاب الموضوعات ، لابن الجوزى ، وزاد عليه مسائل أخرى .

٦ - تذكرة الموضوعات : لمحمد بن طاهر بن علي المتوفى سنة ٩٨٦ هـ ، وقد ألحق به رسالتين عن : الضعاف في الرواية والوضاعين الكذابين .

٧ - الموضوعات : للشيخ علي القاري الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤ هـ .

٨ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : للإمام الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ .

٩ - اللؤلؤ المرصوع فيما لا أصل له أو بأصله موضوع : للشيخ محمد بن أبي المحاسن القاوقجي الأزهرى المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ .

ومع هذا الجهد في إبراز الأحاديث الضعيفة والموضوعة فقد ألف العلماء مصنفات خاصة بالأحاديث الدائرة على السنة الناس ، وكثر التحدث بها ، ووضحوها وصحيفها وموضوعها . إلخ ومن تلك الكثير :

١ - تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث : لابن الديبع الشيباني المتوفى سنة ٩٤٤ هـ .

٢ - حسن الأثر فيما فيه ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر :  
للشيخ محمد الحوت البيروني .

وإلى هنا نكون قد انتهينا من الحديث عن السنة في مرحلتين من مراحلها :

١ - مرحلتها قبل الوضع : والدين يسوس العقول والمشاعر والحياة .

٢ - مرحلتها بعد الوضع : وقد وقرت السنة في صدور العلماء  
الثقات في وقت ازدهت فيه الحياة الاجتماعية باللفظ السياسي ، ويسيئ الدين  
بالدنيا والشهوات . ولكنهم حافظوا عليها من الدخيل والشوائب .

وهذا نكون قد وقفنا على عتبة باب المرحلة الثالثة للسنة : وهي  
مرحلة التدوين والصقل ، وتخليصها من هوى الأفاكين ، وهي مرحلة  
يستردها فيها المسلم ثقته بعلماء الدين ، ويسترد شرفه الثقافي الذي حاول  
المنتطعون عبثاً أن يلوثوه ، ويقدم المسلم للتاريخ والحياة جهود علماء الإسلام  
التي بذلها خالصة لله ولرسوله وللإسلام ، حفاظاً على سنة رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فيتين للتاريخ الفرق بين موقفين :

١ - موقف الذين تبرعوا بتغيير الحق بالباطل ليشتروا به ثمناً قليلاً .

٢ - وموقف الذين جاهدوا لإبراز الحق من الباطل الذي شاء أن  
يقضي على ثروة الأمة فجابهوه بالقوة والعزم الصادق الأمين ، ولسوف  
يجد الدارسون المنصفون أن الأمة الإسلامية وحدها هي التي امتازت بالسند  
المتصل في تحمل السنة النبوية ، وأن رجال الدين فيها أمناء : في عفة ،  
منبعها الحياء الديني والخلق الإسلامي ، وأن ليس لأمة غير أمة الإسلام  
سند متصل ولا كتاب يحمل له التاريخ ثقة في ذاته وفي ناقله .

وإلى الغد لنحيا مع العلماء الثقات فيما قدموه لنا من قواعد لضبط السنة  
وتمييز الحشو الذي اقترأه الماجنون لنقف على جهاد ثقافي رائد لندفع به  
في الحاضر كيد المعتدين ، والله المستعان . وبه الحول والطول للعاملين  
المخلصين .

علامات الوضع :  
وضع العلماء الثقات علامات يعرف بها الحديث المذسوس على السنة الإسلامية ، وهذه العلامات :

إما خاصة بالسند : وهم الرجال الراون .

وإما خاصة بالمتن : وهو الكلمات المروية .

### ( ١ ) علامات الوضع في السند :

أما فيما يختص بالطريق والسند والرجال الراوين للحديث فقد وضع العلماء لهم علامات منها :

١ - أن يكون الرجل معروفاً بالكذب ، وأن لا يكون الحديث قد رواه ثقة غيره .

٢ - أو يعترف الراوى نفسه بأنه وضع الحديث ، وأدخله على السنة. مثل اعتراف عبد الكريم بن أبي العرجاء بوضعه أربعة آلاف حديث .

٣ - أن يدعى الرواية عن شيخ :

لم يثبت تاريخياً لقاءه به أو لم يسمح عمره بالتلقى عنه أو لقائه به أو لم تسمح الحادثة المذكورة بدخوله المكان الذى يروى عنه مثل ادعاء المأمون بن أحمد الهروى أنه سمع من هشام بن عمار ، وهشام يسكن الشام ، فلما سئل مأمون متى دخلت الشام ؟ قال : سنة ٢٥٠ هـ ، قال الحافظ بن حبان : وهو السائل : أن هشاماً الذى تروى عنه مات سنة ٢٤٥ هـ ، فالحادثة والتاريخ لا يسمحان بقاء مأمون بهشام ، فادعاه اللقاء كذب .

ومثله : عبد الله بن إسحق الكرمانى حدث عن محمد بن أبي يعقوب ، مع أن محمد بن أبي يعقوب هذا مات قبل أن يولد عبد الله بن إسحق الكرمانى بتسع سنوات .

وهكذا من كل سند لا يمكن أن يتحقق فيه اللقاء لعدم إمكانه تاريخياً ، أو لمانع من حداثة السن ، أو موت المروى عنه قبلاً ، أو تغاير الأمكنة . إلخ.

٤ - أن تكون نفسيته عصبية المزاج مثل رواية محمد بن الحجاج النخعي فقد روى كذباً : الهريسة تشد الظهر ، فقد كان يباعاً للهريسة .

ومثل رواية سعد بن طريف : معلمو صبيانكم شراركم ، أقلهم رحمة لليتيم ، وأغلظهم على المساكين : فقد وضعه عندما دخل عليه ولده يبكي ، فلما سأله : قال : ضربني المعلم .

ومثل هذين الرجلين : رجال الأهواء والبدع ، وأصحاب المذهب الخاص والرأى الشخصي .

يروى الجوزي في كتابه « الموضوعات » : عن أبي طيبة أنه قال : سمعت شيخاً من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول : إن هذه الأحاديث دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ، فلما كنا إذا هويتنا أمراً صيرناه حديثاً .

(ب) علامات الوضع في المتن :

١ - ركاكة اللفظ :

فقد امتازت ألفاظ النبوة بجرس خاص وصقل فريد ، وتركيب متين ، وتناسق ، مع أصول العقيدة وروح التشريع ، يقول ابن دقيق العيد : . . . وحاصله أنهم لكثرة ممارستهم لألفاظ الحديث حصلت لهم هيئة نفسية وملكة قوية يعرفون بها ما يجوز أن يكون من ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز - ومعناه :

أن الدارسين للسنة رواية ، يكسبهم الترس ذوقاً خاصاً لأسلوب النبوة ، وملكة خاصة بجرسها يتعرفون به على الحق ، ويفرقون به بين الصحيح والمريض ، والحق والفساد .

٢ - فساد المعنى : مخالفة الحديث :

- للبدييات من المعقولات .

- أو لقاعدة من قواعد العقيدة .



— أو لنص من نصوص الشريعة .

— أو يكون خارجاً على صفة من صفات الأمة .

— أو لحادثة من حوادث التاريخ .

مثل قولهم : « إن الله خلق الفرس فأجراها ففرقت فخلق نفسه منها »  
« الباذنجان شفاء من كل داء » ، — « ولا يولد بعد المائة مولود لله فيه حاجة »  
« النظر إلى الوجه الحسن يجلي البصر » ، « أن سفينة نوح طافت بالبيت سبعاً ،  
وصلت عند المقام ركعتين » ، « جور الترك ولا عدل العرب » . . . إلخ .  
فكل ذلك كذب لمخالفته بديهية العقل وحدود العقيدة والشريعة والتاريخ .

٣ — عدم الاتفاق مع نص القرآن :

مثل قولهم : « ولد الزنا لا يدخل الجنة إلى سبعة أبناء » ، فإنه غير  
متفق مع مبدأ المسئولية الفردية « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، ومثل  
قولهم : « آليت على نفسي ألا أدخل النار من اسمه محمد » ، لأنه مخالف  
لقوله : « كل نفس بما كسبت رهينة » .

ومثل قولهم : « من قضى صلوات من الفرائض في آخر جمعة من رمضان  
كان ذلك جابراً لكل صلاة أتته في عمره إلى سبعين سنة » فإنه مخالف للإجماع  
من أن الفائتة لا يقوم مقامها شيء من العبادة غير قضائها ، وقول الله  
« وأقيموا الصلاة » ، « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى »

٤ — عدم الاتفاق مع حقيقة الحوادث في عهد النبوة :

مثل حديث وضع الجزية عن أهل خيبر ، فإن الثابت في التاريخ  
أن الجزية لم تكن معروفة إلا بعد عام تبوك ، وأن سعد بن معاذ المندعي  
عليه أنه شهد كتابة معاوية حديث الجزية توفي في غزوة الحندق قبل خيبر ،  
وأن معاوية أسلم عام الفتح ، فالأحداث التاريخية تفند زعم القائلين بأن  
الجزية وضعت على أهل خيبر ، ورفع عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
السخرة والكلية ، مثل ذلك : دخلت الحمام فرأيت رسول الله صلى الله عليه

وسلم مؤثراً فهمت أن أكلمه فقال : يا أنس إنما حرمت دخول الحمام  
بغير مئزر من أجل هذا . إذ الثابت في التاريخ أن رسول الله صلى الله عليه  
وسلم لم يدخل الحمام قط لأنها لم تكن معروفة في ذلك العصر في الحجاز . .

٥ - أن يوافق الحديث مذهب الراوى : مثلما يرويه واحد من الشيعة  
أو الخوارج أو الزنادقة ، أو الجهمية من أصحاب الهوى والرأى الخاص .

يقول الزنادقة : إن الله اشتكت عيناه فعادته الملائكة ، رأيت ربي  
ليس بيني وبينه حجاب فرأيت كل شيء منه حتى رأيت تاجاً مخصوصاً  
من اللؤلؤ ، وينزل ربنا عشية على جمل أورق يصافح الركبان ويعانق  
المشاة ، خلق الله الملائكة من شعر ذراعيه وصدرة .

وكل هذا باطل وكذب ، ومثل الزنادقة ، الرافضة ، وبقية الشيعة  
والجهلاء المعتدين على السنة . فكل رواية فيها واحد من هؤلاء وأمثالهم  
فهي مردودة مكذوبة .

٦ - أن يدل افظ الحديث على تواتره ووجوب علمه ثم لا يكون  
كذلك ، مثل حديث غدير خم الذى ادعت الشيعة أن أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بعد عودتهم من الحج سمعوه جميعاً من النبي صلى الله عليه  
وسلم مع أن الحديث لم يظهر إلا بعد الفتنة بين معاوية وعلى رضى الله عنهما .

فلو كان الحديث صحيحاً لكان معلوماً لجميع الناس ، لأن كلمات  
الحديث تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلى وأمر  
الصحابة أن يسمعوا له ويطيعوا ، فلو كان هذا حقاً لما جحد كبار الصحابة  
وما تركوه ، لكن الصحابة جميعاً لم يسمعوا به حتى كانت الفتنة الضالة  
فصنع الحديث قوم مشايعون لعلى حبا في وأد الدين لا حبا في على وآل البيت .

يقول ابن حزم : ما وجدنا قط رواية عن أحد في هذا النص المدعى  
إلا رواية واهية عن مجهول يكفى أبا الحمراء لا نعرف من هو في الخلق ؟ .

٧ - اشتغال الحديث على إفراط في الثواب أو العقاب أكثر من

تجديد القرآن مثل : من صلى الضحى كذا وكذا ركعة أعطى ثواب سبعين نبياً ، من قال لا إله إلا الله خلق الله تعالى له طائراً له سبعون ألف لسان لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له .

تلكم هي أسس القواعد التي ضبطها العلماء لمعرفة الصحيح من الفاسد ومنها تعرفون على ملاحظات :

الأولى : أنهم وضعوا قواعد لنقد السند ، كما وضعوا قواعد لنقد المتن وبهذا تستطيعون الرد على مزاعم المستشرقين وتلاميذهم في الشرق والغرب القائلين بأن السنة كانت تطوراً لحياة المسلمين وأن العلماء صنعوها لا أعوزتهم الحياة السياسية .

الثانية : لتقدموا للعالم سبق الأمة الإسلامية إلى النقد الفنى كأساس لضبط السنة ، يقول ابن الجوزى : الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم ، وينفر منه قلبه في الغالب .

ويقول الربيع بن خيثم : «إن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار تعرفه به ، وإن من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل تعرفه بها » .

وهذا التذوق الفنى له أسس يعرفها في أنفسهم الصادقون في العقيدة والعاملون بالسنة والمدافعون عن دين الله .

الثالثة : ولتدمغوا جهل القائلين من المستشرقين : أساتذة وتلاميذ ، أن علماء الجرح والتعديل لم يعنوا بنقد السند ، ولتعلموا قاعات البحث العلمى أن الاستشراق ومنهجه وأعوانه وطلابه ، يقبلون الحقائق ويشوهون الحق ولا يبرأون من التعصب الأعمى ، الذى يستهدف التضليل ، ويعتدى على العلم وقواعده .

ولتعلموا أنتم أن ادعاء علماء الغرب الحيدة العلمية في البحث ، هي دعوة إلى التجرد من الخلق والدين واتباع هوى النفس « المرض القديم » الذى علمه السوفسطائيون في العصور الأولى بدء التاريخ الفلسفى ليسدوا

منافذ الحق ، ويغلقوا طريق البحث باسم دعوة الحيدة وما هم إلا خونة العلم وقواعد البحث الأمين ، ومن اضطلع بهذا الإفك :

١ - شيخ المستشرقين الكاذبين جولد تسهير .

٢ - وأحمد أمين في كتابه : فجر الإسلام ، وضحاها ، وهو كما تسمعون عنوان براق ولكن حوى في داخله إثماً ، فهو الجعبة التي ملئت بالسم الزعاف ، ثم قدمها بيد الصداقة الخائنة غذاء لمن شاء له صاحب الجعبة أن يموت .

٣ - وأبو رية في كتابه : أضواء على السنة الإسلامية ، وهو كتاب ماجن اعتمد على كتب المستشرقين والمؤرخين المسيحيين . ولم يعتمد في فكرته على سند من كتب السنة ولا من تاريخها ولكنه تأى بها إلى « بارات » الاستشراق وزمرة المسيحيين ، فخان بذلك الأمانة وتنكب جادة الطريق .

ولسوف تجدون في حديثنا ما يساعدكم على إدراك العلل النفسية التي ألبأت أولئك القوم إلى تنكب جادة الحق واتباع الهوى وتضليل الحقائق . لتساهموا بدوركم في الحفاظ على السنة كضريبة أساسية تدفعونها في إخلاص لله ولرسوله وللمؤمنين .

وفي الغد نخرج بكم على مرحلة حاسمة من مراحل السنة وهي مرحلة التدوين إن طالت لنا حياة وبالله التوفيق ؟

## منهج العلماء في تدوين السنة

في معالجتنا للموضوعات السابقة استوضحنا وجود ظاهرتين في حياة السنة ملخصهما :

١ - أن نقيبي العقيدة ، و طاهري الوجدان ، المخلصين لله ولدينه الخفيف الذين أجهدوا أنفسهم في الحفاظ على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت مظاهر ذلك :

١ - في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم الحرص على سماع الحديث منه حتى أن الغائب منهم لبعد الشقة يتناوب مع صاحبه حضور الحلقة ليخبر كل منهما صاحبه بما سمع من العلم . وكان الصالحون من المسلمين إذا حزبهم أمر فزعوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ديارهم البعيدة في سفر طويل ليسألوه عليه السلام عن حكم الحادثة ، وكان الضعاف في الحفاظ يسألون النبي صلى الله عليه وسلم إجازة كتابة الحديث لهم مثلما طلب أبو شاه أن يكتب له الحديث يوم غزوة الفتح ، كما كان المثقفون الكاتبون الحرصاء على تدوين السنة في صفحاتهم الخاصة ولما اعترض عليهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم مثلما حدث لعبد الله بن عمرو . إلخ .

٢ - أن الخبثاء الذين لوثوا بالكفر كرامتهم ، وقلوبهم وجعلوا على بصائرهم غشاوات متراكمة ، أرادوا أن يفسدوا السنة مما حاكوه من كلمات سوداء ظهرت لبصيرة المخلصين ظهور النكتة السوداء في الثوب الأبيض فجردوها منه بالقاعدة ، والأساس والدليل . إلخ .

ومعنى هاتين الظاهرتين : وحدة الفكر المعتدى على الإسلام . قديماً وحديثاً ، فليس في أسلوب المعتدين جديد بالرأى ولا جديد

بالمهيج ، ولكن الجدة فيه أن المسلمين ينسون القضايا القديمة التي حيكت  
ضد الدين ، فيرون التهم المستحدثة جديدة ، وفي مجابهة هؤلاء جميعاً  
كان العلماء المخلصون لله ولرسوله وللإسلام قد بدؤوا السنة الإسلامية ،  
ونقوها من الفضول ، وهذبوها من الدخيل . وأن جلد كتب السنة  
لصخرات تتحطم عليها رؤوس المعتدين ، وإن في جوفها لنورا ، لاستقبله  
العين الرمضاء ، وإنه لتسعد به وتقر أعين السالمين من الأمراض .

ونحن في هذا الشوط سنعالج قيمة السند من الناحية التاريخية بمفهومها  
التاريخي ومراحله لنضع بين أيديكم جهود العلماء في محافظتهم على الدين  
ومصادره ليبلغ الشاهد منكم الغائب عسى أن تنالوا من الحظ والشرف  
ما يقدره الله من مكافأة للأبرار المجاهدين .

## معنى تدوين السنة وأطواره

### ( ١ ) مفهوم تدوين السنة :

جمع الأحاديث التي صح ورودها عن النبي صلى الله عليه وسلم وتقرر حكماً أو تصف فعلاً ، أو توافق على تصرف متفق مع الإسلام : روحاً أو نصاً من فعل الصحابة ، ومعناه : استقراء جميع الأحاديث التي صحت نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وجمعها في صحف يكون لها طابع الكتاب ، والمرجع .

والتدوين بهذا المعنى لم يوجد إلا في الطور الثالث من تاريخ السنة بعد أن اكتملت الظروف التي تلح على جمع السنة بهذا المفهوم ، والتدوين بشكل عام :

١ - بشكله الشخصي ، والشعبي ، والفردى .

٢ - وبشكله الرسمي الحكوى .

٣ - وبشكله المكتمل للوسائل والطرق :

— الوسائل المادية .

— والطرق النفسية والفكرية

التدوين بهذا العموم ، أخذ ثلاثة أطوار :

### الطور الأول :

في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة وكبار التابعين من أول التاريخ الهجرى حتى عام ١٠٠ هـ .

### الطور الثانى :

في عهد صغار التابعين وتابعيهم من سنة ١٠٠ - ١٥٠ هـ

### الطور الثالث :

( ١ ) فى عهد الازدهار والحركة العلمية والمحدثين من سنة ١٥٠ هـ إلى أوائل القرن الرابع .

( ب ) ولقد صاحبت حركة التدوين للسنة حركة أخرى هى :

حركة تنقية السنة من الوضع : تكلم العلماء فيها عن قواعد قبول الحديث من الراوى وأحوال الرواة ، وصفاتهم . . . إلخ ، وعن درجة الحديث ونصيبه من : التواتر ، والصحة ، والحسن ، والضعف . . . إلخ .

( ج ) ولذلك فإن رأى عندى أن تدوين السنة له وجهتان :

١ - وجهة مادة الحديث المنسوب إلى رسول الله ( صلى الله عليه وسلم )

- المتن -

٢ - وجهة الضمانات التى تثبت صحة الحديث إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم .

وهو باختصار :

أصول السنة وتنقيتها من الدخيل .

وكل هذا يدرس على أنه من جهود العلماء المسلمين الذين نفروا خفافاً فى سبيل الله لحماية أحد مصدري الإسلام : وهو السنة الإسلامية .



## تدوين السنة في الطور الأول

عصر النبوة وكبار الصحابة ، والتابعين

١ - عصر النبوة :

١ - بحكم التجربة يوافق الناس جميعاً في كل وطن على أن أكثر الناس دراية بأصول العمل المكين في مجال بناء الدولة هم الكبار المتمرسون بأساليب الإدارة الواعون للخفي من أطراف العلاقات التي لا تلاحظها أفكار العاديين من الرعية .

فإذا انضم إلى هذا الترس العصمة - وهي خاصة بالأنبياء - أدركنا أن وظيفة أئمة الأحاديث التي نهت عن تدوين السنة ، والأحاديث التي أذنت بكتابتها في حالات فردية - وظيفة دقيقة عليها أن تتحسس أطراف العلاقات التي تربط بين النهي والإذن .

ومن بادى الأمر : فلما لا نوافق على آراء القائلين :

١ - أن النهي منسوخ بالإذن .

٢ - أو النهي باق والإذن كان لأفراد يوثق في ذمتهم فهو إذن خاص لا يمنع النهي المستمر ، لأن القضية ليست قضية حكم يتعلق بالتحليل والتحريم من حيث تكاليف الذمة الإنسانية، بل هو إدراك لقضية دستورية لأمة جديدة لم يزل قرآنها يترى به الوحي ، والنبوة كرياسة عليا للدولة الشابة ترى أن الدستور الذي ما زال غضاً طرياً في حاجة إلى عناية خاصة من الأمة الإسلامية بحيث يكتمل لهذا الدستور :

١ - انفراده بأهمية الفكر الإسلامى الجديد .

٢ - انتظار كماله الذي يحدد اتجاهات الدولة وسلوك الأفراد والجماعة ، وأطراف العلاقات في داخل الأمة وفي خارجها .

٢ - إبقاؤه ذاتياً متميزاً بالحفظ والكتابة .

فإذا ما كتبت السنة برأى الدولة وإذنها وموافقتها ، فكأنما أعطت فرصة للفكر يتشاغل بها عن القرآن ، وهو ما زال غصاً لم تستوعبه الصدور والقلوب ، وأعطت فرصة أخرى للزمن يسجل فيه التاريخ أهمية الأمة وتشاغلها عن القرآن ، وهو أمر لا يرغب فيه رئيس الدولة « النبي » صلى الله عليه وسلم ، فقد يوهم هذا الأمر :

١ - اختلاط الأحاديث بالآيات في صحف الكاتبين .

٢ - وقد يوهم كذلك : وحدة الدرجة في الحفظ ، زمناً وطريقاً .

٣ - وقد يعطى الحديث درجة القرآن في الحفظ فيفسد بذلك كثير من أمر العبادة ، وقد يقرأ الرجل الحديث في الصلاة على أنه قرآن إذا اشتبه الأمر عليه ، وهو أمر لا تقر به رئاسة الدولة الإسلامية كما تعترفون مقررأ في أبحاث الفقه الإسلامي .

وإنكم لتجدون هذا كله منصوفاً عليه في الأحاديث التي نهت عن تدوين السنة ، إنها لم تنه عن التدوين لذاته ، بل للعلل :

يروى عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً استأذنه في كتابة السنة التي يحدث بها عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أتريدون أن تجعلوها مصاحف ؟ إن نبيكم كان يحدثنا فنحفظ ، فاحفظوا كما كنا نحفظ .

ولو أنكم طالعتم معنا نصوص الأحاديث لوجدتموها ظاهرة في حرصها على صيانة القرآن ، يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن ، فمن كتب عني شيئاً سوى القرآن فليمححه .

فلما قاربت الظروف أن تهيب للناس القدرة على إدراك قصد النبوة أذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

١ - لضعاف الذاكرة الذين يحرسون على حديث رسول الله صلى

الله عليه وسلم ولا يمكنهم بعد الشقة من اللقاء بحضرة النبوة ، مثلما ذكرناه من حديث أبي شاه ، يوم فتح مكة .

٢ - كما أذن للمثقفين المدونين ، فقد كان عبد الله بن عمرو صحابياً حريصاً على تدوين السنة ، فكتب صحائف سماها الصادقة ، فأنكر نفر من الصحابة ذلك ، فبلغ ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له : اكتب عنى فوالذى نفسى بيده ما خرج من فى إلا حق .

ومع هذا الإذن : فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابة أحكام الزكاة ، ومقاديرها ، ونصابها ، كما ثبت تاريخياً أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوفد رسله إلى ملوك ورؤساء العصر يدعوهم إلى الإسلام .  
فالنهى والإذن ليسا متواردين على محل يتحمل تحليلاً أو تحريماً تتعلق به ذمة المكلفين ، ولكنه إدراك لأطراف قضية دستورية من جانب رئيس الدولة أعلم المتمرسين بشتون الأمة ، ورعاية مقوماتها .

وإنكم لترون أن إذن الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي شاه ، فى كتابة السنة كان يوم فتح مكة فى السنة الثامنة من الهجرة ، وأن عبد الله ابن عمرو استمر فى التدوين بعد إذن الرسول صلى الله عليه وسلم له مما يترك سره من حديث سيدنا أبي هريرة رضى الله عنه : ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منى إلا عبد الله بن عمرو فقد كان يكتب ولا أكتب ، وذلك عندما خفت الظروف الداعية للنهى ، وإلا لو كان النهى ذاتياً لما سمح الرسول صلى الله عليه وسلم بالكتابة لأحد مطلقاً .

ومن هنا تدركون أن الإذن الذى منحه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فردياً : أما الدولة نفسها فلم تتخذ قراراً رسمياً بتدوين السنة كما جهزت كل وسائلها لتدوين القرآن الكريم .

ومن هنا يمكن لكم أن تدركوا فقه المسألة :

مسألة النهى عن التدوين ؟

أنه حفاظ على القرآن الكريم : ذاتية ومنزلة وليس نهياً متعلقاً بشئ محلل أو محرم .

وعلى هذا : فليس فى المسألة نسخ ، ولا خصوص ولا عموم .

## ٢ - في عهد الصديق :

الحكومة الإسلامية الأولى بعد النبي صلى الله عليه وسلم كانت امتداداً للقيم التي تربي عليها المجتمع الإسلامي في عصر النبوة الكريمة ، وبالإضافة إلى كونها امتداداً لعصر النبوة فقد واجهت حكومة أبي بكر رضي الله عنه عدة مشكلات :

الأولى : مشكلة المرتدين ، وملخصها : أن من القيم التي ورثها المجتمع الإسلامي عن النبوة ديناً وخلقاً الرعاية الاجتماعية وعدالة التوزيع والكفاية والعدل ، ومن القوانين الإسلامية التي شرعت لتغطية هذه القيم الزكاة ، على هذه القيم خرجت جماعة ، ورفضت تسليم حقوق المحاويج من الزكاة فماذا يكون الرأي . . . ؟ رأي الحكومة الإسلامية ما يتلوه القرآن الكريم : « خذ من أموالهم صدقة » ، فالزكاة ليست سنة وجبابة ومنحة من الأغنياء ، بل إنها حق مفروض واجب للمستحقين في مال الله الذي وكل فيه الأغنياء بالعمل والتثنية والإنتاج .

وإذن فلا بد من تنفيذ حكم الله ، ولهذا توجهت الحكومة الإسلامية إلى إخضاع المرتدين للقانون الإسلامي .

الثانية : كان حول المدينة المنورة العاصمة الأم للحياة السياسية الإسلامية ، مجموعات من المتنبيين الذين يتربصون بالإسلام الشرور لا سيما بعد أن لحق رسوله الأمين بالرفيق الأعلى ، فكان لابد للحكومة الإسلامية من تأمين حدود الدولة ، وصد هجوم الملحدين ، لا سيما والبي صلى الله عليه وسلم كان قد جهز في الأيام الأخيرة جيشاً حدد قائده ، وميدان قتاله ، فكان لابد من تنفيذ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لابد من حماية حدود الدولة . فاتجهت الجيوش الإسلامية حسب الخطة العسكرية التي أمثلها الظروف القاسية لتؤدي رسالتها نحو الله والدين والوطن .

الثالثة : أن كل أمة تتحرك في حياتها بناء على دستور : يحدد أهداف القوانين وحقوق الأفراد والجماعات ويرسم طريق الدولة ورسالتها ووسائل حياتها لهدفها في الحياة ويوضح علاقتها داخلياً وخارجياً ، وقد امتازت الأمة الإسلامية بدستور معصوم هو القرآن الكريم وجدت فيه :

١ - كرامة الإنسان وحرية وإنسانيته وعزته .

٢ - واكتمل لها فيه تنظيمها كأمة كاملة : الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والسياسية .

٣ - واستوضحت فيه : العقيدة كأمثل ما يريده العقل من فكر وأرفع ما يريده من استدلال .

٤ - وأحست في تشريعه : اليسر ، والسماح ، والتخفيف ، وقبول المعذرة .

٥ - ثم رأت أنه في عمر قصير قد بنى أمة وأسس حضارة وأعز الكيان البشرى ، وأهدى الفكر الضال . وانتقلت البشرية به من الدرك الأسفل إلى الدرجات العليا : كرامة واعتقاداً .

فكان لابد لها بحكومة وشعباً أن تتحصن بالقرآن الكريم ، وكان من أول واجبات هذا التحصن الحفاظ عليه بالطريق الذي ورثه عن نبيها صلى الله عليه وسلم : حفظاً في الصدور ، وكتابة في الألواح ، وكانت الحروب الإسلامية قد اتسعت رقعتها ، واندمج فيها كثير من الحفاظ المجودين للقرآن ، وبطبيعة الحال كانت الشهادة أمراً محتوماً لمن جاء أجله من أولئك الرعيل المجاهد ، فرأت الدولة الإسلامية أنها مسئولة عن الحفاظ على القرآن الكريم فوجدت إمكانياتها الأمنية القوية للحفاظ على القرآن ، فكانت حكومة أبي بكر رضى الله عنه هي الحكومة التي شرفها الله بجمع القرآن الكريم ليصل السند بالإجماع المتواتر الذي يعلى احترامه على التاريخ والعلم كما شاء الله ليكون

القرآن وحده الدستور الديني المعصوم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

لهذا : لم تكن الظروف التي واجهتها الخلافة الإسلامية الأولى تساعد على أن تتجه الدولة لتدوين السنة تدويناً رسمياً ومع هذا فإن سيدنا أبا بكر رضى الله عنه يجمع ٥٠٠ خمسمائة حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الرجل تنهأ له المخاوف الأولى التي أحاطت بالسنة وقت نزول القرآن ، وأحس بالتشابه بين بدء حركة جمع القرآن وبدء نزوله ، لا سيما وقد دخل في الإسلام أقوام لا يحسنون الضاد وإعرابها . فينتهي عن إتمام مشروعه ، ويحرق الصحائف التي كتب فيها الحديث .

يقول صاحب تذكرة الحفاظ وهو يروى عن عائشة رضى الله عنها تقول : « جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت خمسمائة حديث فبات ليلة يتقلب كثيراً ، قالت : فغمنى ذلك ، فقلت : أتقلب لشكوى أو لشيء بلغك ؟ فلما أصبح قال : أى بنية : هلمى بالأحاديث التي عندنا ، فجئته بها فدعا بنار فحرقها ، فقلت : لم حرقها ؟ قال : خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمته ووثقت به ، ولم يكن كما حدثني ، فأكون قد نقلت ذلك .

فالرجل العظيم لم يمنعه من تدوين السنة إلا : إيهام أن يكون حال أحد الرواة في المستقبل قد يكون غير مأمون فإذا نسبت الرواية إلى سيدنا أبي بكر استوثقت الأمة من الرواية لما تعرفه من مكانته العليا عند النبوة ، وهم يحفظون أو يقرءون في السنة : لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان الأمة أرجح .

فالرواية عن الرجل لا تحتل أدنى شك فخاف أبو بكر على نفسه ومنزلته ودينه أن يروى حديثاً تنق في الأمة وربما يكون فيه أحد الرواة مجهول الحال أو مضعف الثقة ، فيتحمل معه سيدنا أبو بكر مسئولية

لا يرضاها له التاريخ والخلق والدين ، فأحجم الرجل بعد أن كتب صحائفه وحرقها .

وهنا أحب أن أوضح لكم : مع ما سلف أن هذا الموقف لا يرتبط بمنزلة السنة في مصدريتها للتشريع لأننا نجد سيدنا أبا بكر رضى الله عنه يعمل بالسنة ويأخذ بتشريعها على نحو ما سلف ، ومثلما يرويه ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجلدة جاءت إلى أبي بكر تلتبس أن تورث . . . إلخ الرواية .

إذ كونها مصدراً للتشريع يثبت عمل الصحابة بها ، وعدم تدوينها لا يتنافى مع ذلك للعلة التي شرحناها ووضحنا غايتها سالفاً (١) .

### ٣ - في عهد الفاروق :

الزعامة في مفهومها الواضح القدرة على تحقيق رسالة الأمة حسب أهدافها التي حددها الدستور . . . فليست الزعامة رأياً شخصياً تقدم له الفضائل قرباناً ، وليست الزعامة تسلطاً يبدد الأمن من قلوب أهل الشورى المتخصصين في العلم والسياسة ، والاجتماع . . . إلخ، إنما الزعامة قبول آراء المتخصصين حول تحقيق رسالة الأمة وتوجيهها حسب البصيرة ، وفقه الدستور المعصوم - القرآن الكريم - يقول الله تعالى : «وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله» (٢) ، بهذا الروح كان عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يحدد للسياسة مفهوم الزعامة في العمل البناء لخدمة الوطن بالدين .

وخدمة الوطن في المفهوم الديني الإسلامي ربط سلوك الأمة في التصرفات المستحدثه الجديدة ، بنظم القرآن : الدستور المعصوم المستمر على مثال سلوك الأوائل من الرعيل الإسلامي ، أيام الخلافة الإسلامية تنفيذاً للنص الدستوري

---

(١) راجع هذا الموضوع في أول الكتاب .

(٢) الآية ١٥٩ من سورة آل عمران .

« إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم » (١) ، وهي عملية شاقة ودقيقة تحتاج إلى :

- صيانة الدستور .
- وربط سلوك الأمة به .
- وسلامة التفكير والتفكير .
- ومراقبة العلاقات داخل المجتمع وخارجه .

ولم يعرف التاريخ السياسى مثل عمر بن الخطاب رجلاً استطاع أن يربط الأمة بدستورها ، ويراقب سلوك الشعب ، ويحافظ على سلامة التربية والتفكير ، ويتحسس كنه العلاقات بين الناس ، مع القدرة العسكرية على توسيع امبراطورية الإسلام ، شرقاً وغرباً ، حتى بلغت الدولة حدوداً بعيدة ، وهو أخذ بحجز الفرد والجماعة ، ينثيهم عن الخطأ ويمنعهم الانحراف ويحافى بينهم وبين المعاصى ، ويدلهم على الصراط المستقيم ، ويقيم العدل ، ويدربهم على الرحمة ، ويعلى عليهم الخنان ، ويجبرهم على الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

وأن الفاروق عمر بن الخطاب مع درجته فى العقيدة والدراية بأصول التشريع ، وإحساسه بحاجة المجتمع ، وقدرته على التصرف العادل ليحفظ له التاريخ موقفين :

الأول : تجاه القرآن .      الثانى : تجاه السنة .

أما موقفه تجاه القرآن فقد طالعه ما فى دراستنا لعلوم القرآن وفيها استوضحنا عزيمة الفاروق الصادقة وحجته التى شرح الله بها صدر أبى بكر ، فجمع القرآن الكريم ، وكان عمر المراقب العام لعملية الجمع وهى وظيفة لها خطورها فى عدم افتراض وجود رجل يطعن فى حفظه وعدالته إذ لا لا يقوى واحد من الناس أن يجرؤ ويدخل اللجنة وعمر أمام باب المسجد

---

(١) الآية ٩ من سورة الإسراء .



وهو ذو منهج معروف للقاصي والداني والبعيد والقريب ، لا تأخذه في الله لومة لأثم ، ولا يرحم في الدين مهوكاً أو منافقاً ، ولذلك فقد تواتر القرآن في سلسلة ماسية من الثقة والطهر والأمانة والإجماع المنقطع النظير .

وأما موقفه تجاه السنة : فيوضح خطوط العمل الزعامي ، الذي يستشير ويدقق في حرص على مصلحة الوطن بالدين ، وحماية الدين من العواطف العمياء :

١ - ذلك أن عمر بن الخطاب فيما يرويه السيوطي في كتابه تنوير الحوالك : أراد أن يكتب السنة فاستشار أصحابه ولكنه بعد الفحص شهراً يتردد ويرفض ، وقد أخرج الهروي ، قال : أخبرني عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة واستشار فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار عليه عامتهم بذلك فلبث شهراً . . يستخير الله في ذلك شاكاً فيه ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال : إني كنت ذكرت لكم من كتاب السنة ما قد علمتم ثم تذكرت فإذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً ، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء . .

ومن هنا تستوضحون أمرين :

أحدهما : أن السنة لم تدون لفهم عمر بن الخطاب أن التدوين منهى عنه ، كلا : بل لعلة أساسية هي : إبعاد الأمة الإسلامية عن الخطأ الأثيم الذي ارتكبه أهل الكتاب من قبل بتبديل كتاب الله : التوراة ، والإنجيل بوصيات الرسل وجعلوها هي الكتب المنزلة .

كذلك تمكيننا للدستور المعصوم - القرآن - في حياة المسلمين تمكيناً بالحفظ ، والعمل ، والاتباع .

وثانيهما : أن سيدنا عمر رضي الله عنه لم يتلذذ صواب الفكرة الأولى له وهي جمع القرآن فيعجب بنفسه ويستمر في خلق آراء وأفكار باسم

العمل الدينى ، ليجود لنفسه تاريخياً : لأنه يدرك أن الزعامة استخلاص رأى الشورى ، ونوجههم باسم الله ، والقرآن ، من أجل أن تحقق الأمة الإسلامية رسالتها وأهدافها ، وهو أمر من شأنه التبصر والتروى ، ومناقشة المضاعفات ، وما عسى أن يجد من مشكلات ، وهو لهذا خشى أن يدون السنة فيكتب عليها المسلمون ويتركوا القرآن فيتشبهون بأهل الكتاب مع وجود الفارق الأساسى أن المسلمين يفرقون بين القرآن والسنة ، ويدركون أسلوب القرآن من أسلوب السنة ، وأنهم يقرءون القرآن على أنه قرآن ، وقرءون السنة على أنها سنة ، وأنهم لم يرتكبوا فيها جناية مثلما ارتكب اليهود والنصارى ، تركوا كتاب الله ، وبدلوه بكلامهم ، ولكنه الحذر والاحتباس الذى يستبصره الرئيس الأمين دائماً .

أنه افتراض مع الفارق الذى يدركه سيدنا عمر ولكنه يخشى وقوع الأمة الإسلامية فى شبهة التشبه بأهل الكتاب إن هم تركوا القرآن لقراءة السنة فهو لهذا يمتنع بعد شهر من الاستشارة والاستخارة عن التأويل .

٢ - وتذكرون هذا النهى جلياً فى حرصه على التمكن للقرآن من حياة المسلمين فيما يوجهه من الأوامر إلى قرظة بن كعب عندما سيره إلى العراق ، قال عمر : أترون لم شيعتكم ؟ قالوا : نعم مكرمة لنا ، قال : ومع ذلك فإنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل ، فلا تصادوهم بالأحاديث فتشغلوهم ، جودوا القرآن ، وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم .

وبذلك تذكرون حرص الفاروق على استمرار العناية بالقرآن الكريم وربط حياة المسلمين به ، وتمييز السنة عن القرآن ، وخوف تشبه المسلمين بأهل الكتاب فى تركهم كتاب الله .

ولكن الله ادخر نية عمر فى ذريته فلن سوف تنال السنة من أحفاد ابن الخطاب مجهوداً أميناً فتشرف الأسرة بأنها الأمانة على القرآن والسنة .

#### ٤ - في عهد معاوية :

كان اغتيال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول حلقة من المخطط الإلحادى دبب ضياع الأمة الإسلامية كخطوة للقضاء على الإسلام ، ومن بعدها تلاحقت الأحداث ، وكانت الحلقة الثانية اغتيال الخليفة الورع ذى النورين سيدنا عثمان بن عفان ، فتلاحقت الأحداث فى سرعة مستعجلة ، وركب الشيطان القلوب ، والعقول ، ونسى الناس حرمة الدين ، والوطن ، والجماعة ، فنشبت حروب طاحنة بين على ومعاوية كان من نتائجها :

١ - اغتيال الخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه غدراً ، وظلماً ، وجهلاً ، وفجوراً .

٢ - وتفريق الأمة إلى أحزاب : لم تدخر وسعاً فى توسيع هوة الخلاف ، حتى ركب الصعب والفسوق فألفت لمبادئها من الكذب كلاماً ادعته شطراً من السنة الإسلامية .

وإذن فالمجتمع من الناحية السياسية : قد تشتت مبادئه وابتعد عن الدستور المعصوم واتبع كل صاحب رأى هواه .

ومن الناحية الثانية فقد أصبح للفكر الخاص مذهب :

١ - أصحاب الملك المتغلبون وهم الأمويون : لهم رأيهم فى الحكم .

٢ - الأحزاب : الخوارج والشيعة ، وكل المشتغلين بالعمل الحزبى والسياسى لهم آراء فاسدة أخرجهم من الاتزان إلى الاعتداء على السنة ، والتفسير ، والصحابة . والعلماء . . . إلخ .

٣ - العادلون من الصحابة الذين تفرقوا فى الأمصار يحدثون الناس بالحق من سنة النبى صلى الله عليه وسلم ويوجهون العقول والقلوب إلى الصدق ، والحق ، والدين السليم .

## ( أ ) أما الأمويون :

فقد شغلهم تمكين ملكهم ، واستتباب الأمن فوجهوا جهودهم إلى الإدارة وضبط الأمر ومحاربة الخصوم بالسلاح ، أو بالمال ، ولم تكن لهم صلة بالعمل في الحديث ، وإن كان كلاب البلاط قد تبرعوا بوضع أحاديث تدور حول البيت الأموي .

## ( ب ) أما الأحزاب :

فقد فككت عقال الذمة من الدين وركبوا جواد الكذب في مسابقة الهوى والضلال ، فأحدثوا من الكلام الكذب أساليب تنصر مذاهبهم ، وتؤيد باطلهم ، وأرادوا أن يلصقوها بالسنة ، وليس أدل على كذبها من وجودها بعد الفتنة وانقطاع سندها من أصحاب الأمر الذين يدعون التشيع أو التخريب أو النصرة لهم .

وقد أخذت العلاقات الثقافية بين الأحزاب شوطاً طويلاً من الضلالة والغى ، والاتهامات ، والأكاذيب ، والاعتداء ، ما أخلج التاريخ وأثقل المهم على الخلق .

ولم يكن للأمويين علاقة في هذا السباق لأن همهم متوجه إلى تثبيت الحكم ، وتملك زمام الأمور ، ولكن العلاقة بين الأمويين وهذه الأحزاب كانت معارك حرب وجلاد ، وقتال ، فشرذ الجيش الأموي الخوارج ، مثلما شردهم على نفسه ، وأذلوا جيش الشيعة .

وفي وسط هذه الظواهر ترون جهل المستشرق اليهودي جولدمان ، إذ يفهم العلاقات السياسية الحزبية بين الأمويين ، والأحزاب ، أن الدولة الأموية اضطهدت علماء الحديث ، وهو جهل فاضح :

— بحقيقة الوقائع التاريخية .

— وبين هم علماء السنة والحديث . كما ترون افتراءه إذ يدعى أن معاوية يضغط على العلماء لينصروا آراءه بوضع الحديث ، ويستدل على رأيه بزيادة معاوية في درجات المنبر ، وهو جهل كبير :

— بحقيقة الإسلام ، ونظمه ، وطبيعته ، لأن المنبر ليس جزءاً من الدين .  
— وكذب على التاريخ الذى يحمل حديثاً واحداً وضع لنصرة معاوية الذى اتخذ له منهجاً خاصاً فى معاملة الخصوم « إني لا أضع السيف حيث يجدى المال » و « إذا كان بينى وبين الناس شعرة ما انقطعت ، فإن هم شدوا أرخيت ، وإن هم أرخوا شددت » .

وليس أدل على جهل جولد واقرائه من واقعة معاوية مع زيد بن ثابت فقد دخل على معاوية يوماً : فسأله عن حديث ، ولما حدث به زيد أمر معاوية إنساناً أن يكتبه ، فقال له زيد : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ألا نكتب شيئاً من حديثه ، فحماه .  
ولهذا :

١ — لشغل معاوية بتثبيت أركان الدولة الجديدة التى ولدتها الحروب والحلافات .

٢ — لرخمة الفكر بالمجون من الجهلاء والماجنين .

لهذا لم يتمكن معاوية من جمع السنة ، بل : إنه لم يتوجه إلى فكرة تدوينها رسمياً لا سيما وقد أذعن لرأى زيد بن ثابت فى عدم تدوين الحديث .  
(ج) وأما العلماء الثقات :

من الصحابة فقد انتشروا فى البلاد والأمصار انتشار اللؤلؤ ، وتوزعوا فى المدن والأصقاع توزيع النجوم فى بساط السماء ، وكان ذلك من حكمة الله ، ومعونته ليبلغوا السنة الصحيحة للناس ليميزوا الحق الأبلج من الباطل اللجلج وليسمع الناس لسان السنة الفصيح ليتعرفوا على هراء الوضع الآخرس .  
فكانت هناك مدارس الحديث تنير الطريق وتهدى السبيل وتبين الحق وتنصره وترهق الباطل وتدمغه .

وقد امتازت مدارس الحديث فى هذه المرحلة الشاقة أن شيوخها هم المصادر الوثيقة الذين اكتمل فيهم الطهر والأمانة ، والإخلاص لأنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلاميذ أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم .

## مدارس الحديث

وقد كانت هذه المدارس موزعة كالاتي :

وقد كانت هذه المدارس موزعة كالاتي :

١ - مدرسة المدينة :

أشهر علمائها :

١ - أبو هريرة رضى الله عنه (١)

٢ - عبد الله بن عمرو رضى الله عنه .

٣ - أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه .

٤ - زيد بن ثابت رضى الله عنه .

ومن أشهر تلاميذها :

١ - عروة بن الزبير .

٢ - سعيد بن المسيب .

٣ - ابن شهاب الزهري رضى الله عنه .

٢ - مدرسة مكة :

ومن أشهر علمائها :

١ - عبد الله بن عباس رضى الله عنه .

وقد تخرج على يديه كثير من العلماء من أشهرهم :

(١) لما بعث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى أمير البحرين المنذر بن ساوى أرسل معه أبا هريرة وأوصاه به خيرا .  
يقول أبو هريرة : بعثنى الرسول صلى الله عليه وسلم مع العلاء بن الحضرمي وأوصاه بي خيرا فلما فصلنا قال لي : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أوصاني بك خيرا فأنظر ماذا تحب؟ قلت : تجملي أوذن لك ، والعلاء أخو الصعبة أم طلحة :

١ - مجاهد بن جبير :

٢ - عطاء بن أبي رياح .

٣ - مدرسة الكوفة :

ومن أشهر علمائها : عبد الله بن مسعود

وقد تخرج عليه جمهور غفير من التابعين ، منهم :

١ - الأسود بن يزيد النخعي .

٢ - شريح بن الحارث الكندي .

٤ - مدرسة البصرة :

ومن أجل علمائها : أنس بن مالك رضى الله عنه ، وعلى يديه تخرج  
وفد من التابعين منهم :

١ - الحسن البصري      ٢ - محمد بن سيرين .

٥ - مدرسة الشام :

وهي المدرسة التي لم يستقر لها شيخ خاص ، بل كانت ملتقى العلماء  
الثقات الغادين والرائحين لأنها وجدت في مدينة السلطة والحكم ، فكان  
يفد عليها أو يلتقى فيها شيوخ أجلاء منهم :

١ - معاذ بن جبل بعد أن رجع من اليمن .

٢ - عبادة بن الصامت .

٢ - شريح بن حسنة .

٤ - زيد بن ثابت .

ومن أشهر المتخرجين في هذه المدرسة :

١ - رجاء بن حيوة      (٢) مكحول بن أبي مسلم .

٣ - وأبو إدريس الخولاني .

## ٦ - مدرسة مصر :

وقد امتازت مدرسة مصر بأن شيوخها من ذوي النشاط السياسى ،  
وكان من أعلم علمائها :

١ - عبد الله بن عمرو بن العاص « صاحب الصادقة » وقد اجتمع  
فى هذه المدرسة أكثر من مائة وأربعين صحابياً : تخرج على أيديهم عدد  
كبير من التابعين ، من رؤسائهم :

١ - مرثد بن عبد الله . ٢ - يزيد بن أبى حبيب .

بهذا الانتشار المدرسى المعلم للسنة الحقة الصافية ينتهى الدور الأول من  
تدوين السنة ، بما عند الناس من سنة محفوظة فى الصدور أو تدوين خاص ،  
مثل الصادقة ، وصفحات أبى شاه ، ولم تحظ هذه الفترة ، كما أنها لم تساعد  
على أن تدون السنة تدويناً رسمياً مثلما دون القرآن الكريم .

وإن كنا نلاحظ فى هذه الفترة :

١ - أن التدوين للسنة أمر لا يتعلق بالتحليل ولا التحريم ، ولا  
بقيمتها التشريعية .

٢ - وأن التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جائز بشروطه .

٣ - وأن الوضع فى الحديث لم يظهر إلا بعد الفتنة والافتراق

٤ - وأن المدن والأمصار تشرفت بمدارس الصحابة الذين تفرقوا  
يعلمون الناس سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥ - وأن الأعمال السياسية والشعب المذهبى ألهى نظر الدولة الأموية  
عن فكرة تدوين السنة .

٦ - وأن المجتمع الإسلامى بات فى حياته الثقافية أحد رجلين :



( ١ ) تلميذ لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف الجنة الحققة السليمة .

( ب ) كاذب واضح مفتر متمذهب متهاون في رعاية حقوق الله .  
فأذنت نهاية هذا الشوط بحركة بعث يبتدىء بها فجر المرحلة الثانية من تاريخ السنة ، والله وحده الذي يقلد ويهتدى إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

## تدوين السنة في الطور الثاني

تابعو التابعين

التدوين الرسمي الأول :

في أخريات الحكم الأموي اتصفت الحياة بشيء من الهدوء السياسي ، والركود الحزبي ، وفتح الله بركاته على الناس فأرغدوا ، وامتألت الخزانات العامة بالخير ، وإذا امتألت البطون نامت العيون، وإذا عشق الناس الترف أحبوا الراحة والعافية والسلامة ، فلم يصخب المجتمع بالإفك السياسي الذي تولى كبره : الخوارج ، والشيعه ، ولا ضج بمقالات السوء التي باء بها الآثمون، ولكأنما كان رواد الفضيلة من الصحابة وتلاميذهم في الماضي أضواء الحياة في ذلك العصر ، لا سيما ورئيس الدولة شاب اكتملت عنده حسن العبادة مع هدوء الدولة ، ورخاء المعيشة ، ولكأنما الموارد الثيثة النعموية قد نقلت إلى عمر بن عبد العزيز الشاب الورع نية جده لأمه عمر بن الخطاب نحو تدوين السنة ، فأحس الخليفة العادل برغبة ملحة أن تتولى الدولة تدوين السنة رسمياً ، فأرسل إلى أبي بكر بن حزم عامله وقاضيه على المدينة يقول له : انظر بما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه ، فإني خفت درس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم ، ولتفشوا العلم ، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً ، ووجهه في خطابه إلى أن يدون الأحاديث التي عند :

— القاسم بن محمد بن أبي بكر .

— عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية .

ويقول العلماء : إن عمر بن عبد العزيز لم يكتف بهذا ، بل كتب إلى الآفاق كلها ، فيروي أبو نعيم في تاريخ أصبهان الحديث السالف بلفظ :

« كتب عمر إلى الآفاق : انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه ... الخ ».

ويميل إلى هذه الرواية الدكتور السباعي فيقول : « والذي يظهر أنه لم يخص ابن حزم بهذا الفعل الجليل بل أرسل إلى ولاته في الأمصار كلها ، وكبار العلماء فيها يطلب منهم مثل هذا » . هـ بتصرف في الأسلوب ، وكل الذي قام به أبو بكر بن حزم أنه دون ما عند القاسم بن أبي بكر ، وما عند عمرة الأنصارية ، ولكنه لم يستوعب كل ما عند أهل المدينة من أحاديث .

ويذكر فضيلة المرحوم الدكتور محمد يوسف موسى في كتابه : « تاريخ الفقه الإسلامي » أن الكتب التي دونها أبو بكر بن حزم لم يبعث بها إلى عمر بن عبد العزيز ، وقد توفي الخليفة ولما تصل إليه ، وكأنه يشير إلى ذلك الخلاف بين العلماء في أول من دون السنة ، بأمر عمر بن عبد العزيز ، هل هو : أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم أو : الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ؟

ابن حجر يرى أن أول من دون الحديث بأمر عمر بن عبد العزيز هو ابن شهاب الزهري فيما يتقله السيوطي في كتابه « تنوير الحوالك على موطأ مالك » ، وإلى هذا الرأي يميل الدكتور السباعي فيقول : « والذي يظهر أن ابن حزم كتب لعمر شيئاً من السنة فقد أنفذ إليه ما عند عمرة ، والقاسم ، ولكنه لم يدون كل ما في كتب المدينة من سنة وأثر ، وإنما فعل هذا الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الذي كان عالماً خفياً من أعلام السنة في عصره ، والذي كان عمر بن عبد العزيز يأمر جلساءه أن يذهبوا إليه لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد أعلم بالسنة منه .

وسواء لدينا كان أول من دون السنة بأمر عمر بن عبد العزيز هو ابن حزم أو ابن شهاب فإن المهم هو :

« أن الدولة الإسلامية توجهت إلى تدوين السنة رسمياً في ظل خليفة ورع ،

ووجهت لذلك كتاباً رسمياً يقول فيه : . . . . . والذي سن رسول الله صلى الله عليه وسلم من السنن التي لم تدع شيئاً من دينكم ولا من دنياكم نعمة عظيمة ، وحق واجب في شكر الله كما هداكم وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ، فليس لأحد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ولا رأي ، وأن الذي حرضني على أن أحملكم عليه من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم هو حجتي في الدنيا ، وبغيتي فيما بعد الموت ، فلا تلبسوا ذلك بغيره .

• أن الأثر الذي ظهر ، كان للإمام محمد بن مسلم الزهري ، وإن كان التاريخ يحفظ صورة الأمر الذي وجه لأبي بكر بن حزم ونشاطه في الجمع داخل المدينة . بيد أن العمل المحيط العام الذي ورثته الثقافة الإسلامية كان للإمام الزهري ، ولكليهما دعاء طاهر أن يجزل الله لهما العطاء بقدر ما خدما سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيا شطراً أصيلاً من مصدرى التشريع الإسلامي .

وهكذا شاء الله تعالى ، وهياً الظروف النفسية ، والعلمية ، والسياسية ، والأخلاقية لمولد تدوين السنة تدويناً رسمياً ترعاه الدولة الإسلامية وتحث عليه وتجنده له عساكرها ، وقواها .

ولئن كان هذا المولد قد جاء متأخراً فقد صادف ظرفه الهادي وطابق عمره عمر البارحة وشيخه أئمة الأمس فالخليفة ولد عمر بن الخطاب .

والزهري تلميذ مدرسة المدينة : شيوخها عبد الله بن عمر وزيد ابن ثابت ، وصحابة أفذاذ لهم باع طويل في العلم والحديث والورع ، وبهذا التدوين الرسمي أذن للدين في قلوبهم إيمان راسخ وعقيدة قوية أن يلجوا الباب ، وأن يدلوا بدلائهم ، وأن يقدموا لله ورسوله ما استطاعوا إليه سبيلاً فإن الجهاد بالقلم واللسان حق واجب على العلماء كما أن الجهاد بالسيف والمدفع واجب على الجنود في القوات المسلحة .

## التدوين الغام :

ثم انتقلت إلى الأمة شعبياً حماسة تدوين السنة بعد أن فتحت الدولة رسماً باب الإذن بالتدوين فحفل هذا الجزء من تلك المرحلة بكتيبة من العلماء الأفاضل : خلقاً ، وديناً ، وعلماً ، وغدت غدوتها في سبيل الله تجمع أحاديث النبوة الكريمة ، صافية من منابعها وطرقها ورجالها الأمناء ، وكان في مقدمة تلكم الطليعة :

- ١ - عبد الله بن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج م ١٥٠ هـ في مكة
- ٢ - ابن إسحاق م ١٥١ هـ في مكة
- ٣ - سفيان الثوري م ١٦١ هـ الكوفة
- ٤ - حماد بن سلمة م ١٧٦ هـ البصرة
- ٥ - شعبة بن أبي عزوة م ١٥٦ هـ البصرة والمدينة
- ٦ - عبد الرحمن أبو عمرو الأوزاعي م ١٥٦ هـ الشام
- ٧ - معمر بن راشد م ١٥٣ هـ اليمن
- ٨ - جرير بن عبد الحميد م ١٨٨ هـ الرى
- ٩ - هشيم بن بشير م ١٨٨ هـ واسط
- ١٠ - عبد الله بن المبارك م ١٨١ هـ خراسان
- ١١ - الربيع بن صبيح م ١٦٠ هـ -

## التدوين الرسمي الثاني :

وفي تلك المرحلة العلمية المتعاونة تدخلت الدولة وكاف أبو جعفر المنصور الإمام مالك بن أنس أن يكتب كتاباً يوظف للناس سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع الإمام كتاب الموطأ في أربعين عاماً وهو في مقدمة الآثار الباقية لنا من جهود هذه الحركة الميمونة المباركة .

## منهج التدوين في هذه المرحلة :

ويعتبر موطأ الإمام مالك صورة حية للطريقة التي اتبعها العلماء في هذه المرحلة من تدوين السنة فقد ألزموا بهذه الخطوات :

- ١ - تبويب الحديث حسب الموضوعات : الصلاة ، والزكاة . . إلخ
- ٢ - جمع الحديث مع أقوال الصحابة رضي الله عنه مع مآثورات التابعين
- ٣ - وضع مجموعة من الأبواب في مؤلف واحد .
- ٤ - وزاد الإمام مالك :

( أ ) اجتهاده الفقهي في أحكام بعض المسائل .  
 ( ب ) وشرحه لبعض المفردات ، أو الجمل .  
 ( ج ) النص على عمل أهل المدينة في الأبواب التي فيها أحاديث  
 الآحاد ، وبمقدار ما منح الله من الجهود ، وما أفاض من  
 الفتح لم يدخر العلماء في هذه المرحلة وسعاً لم يبذلوه في  
 خدمة السنة ، فقد شمروا عن سواعد الجهد ، والنية مخلصة ،  
 والعزم أكيد ، والحرص ملح على الدقة والجودة ، فقدموا  
 موارث السنة كلها في أمانة إلى أجيال المسلمين ليحفظوا  
 على رعيهم الأول :

- ١ - أحاديث النبي الكريم .
  - ٢ - آراء الصحابة الأجلاء .
  - ٣ - آثار التابعين الأئمة .
- فنقلوا بهذا خبرة أجيال وأصول علم عارم ، ومواثيق حضارة إنسانية  
 كانت لمن بعدهم ذخيرة ونورا وعلماً ، وحياة .

## تدوين السنة في الطور الثالث

### عصر الازدهار

ورث جيل القرن الثالث الهجري موارث الأجيال الماضية من مصادر أمينة ، ذات منهج وقواعد في أعمالها حسب الطاقة والقدرة ، فوجهها إيمانها أو شاء الله لها أن تقدم عملاً جليلاً تنفرد به السنة عن تفسيرات ومأثورات الصحابة والتابعين ، فوجهوا عقولهم وقلوبهم شطر السنة مخلصين جادين فوضعت اللوائح والأهداف ، حتى ورث تاريخ السنة في هذه المرحلة طاقات هائلة من العمل الذي ازدهرت فيه السنة :

١ - لها مقدمة : هي المسانيد .

٢ - وقفة : هي الجامع الصحيح .

٣ - وموسوعات : هي السنن .

### مقدمة الازدهار

#### عصر المسانيد :

وهكذا شاءت العناية الإلهية أن تيسر للسنة أجواء وآفاقاً عليها تظهر حقيقتها وتقطع لسان المتشككين بالتضليل والتأويل ، والكذب عمداً أو جهلاً ، أو ارتزاقاً .

والله يهيئ لدينه دائماً من يجاهد مخلصاً يهب حياته بقضها وقضيضها ، ونفيسها لدينه لا طلباً في مجد ولا ابتغاء مركز ، وإنما حسبة لله ولرسوله ومن يقرض الله قرضاً حسناً يضاعفه له والله ذو الفضل العظيم ، فقد تعامل مع الأجود الأكرم ، فأسمعوا الدنيا ، من قلب حلقات العلم :

١ - أصول البحث العلمي .

٢ - منطق العلم الهادف للخير :

٣ - وقواعد العمل البناء للدين والخلق والحياة .

مع : إنكار الذات ، وإخلاص النية ، ودقة العمل ، وتنازل عن المطالب .

ومع رغبة صادقة في الحق ، لذاته ، وعاطفة متزنة نحو حماية التراث الحضارى الأول للبشرية، وغاية ما يسعدهم من أمل أن يكونوا مع الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله : ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » فإنهم يدركون من دينهم : أن غاية ما يأمله المجاهدون من درجة هى أن ينالوا رضوان الله ورسوله ( صلى الله عليه وسلم ) : فلمهم يرددون حديث رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً في شئون دينها ودنياها بعث يوم القيامة أمة وحده »

وإذا كانت السمة الثقافية للمسلمين قد أراد أن يشوبها المجرمون بالكذب المفترى ، فإن جهود العلماء كانت أكبر من محاولات المنافقين وإنكم لو تعرفون الانفعالات النفسية للخونة ، والمجرمين قبل ارتكاب الجريمة وبعدها ، لأدركتم أن أوهن ما تكون القوة ضعفاً ، وأجهل ما يكون الفرزد غباء ، عندما يحصر عقله في مقومات فعله الإجرامى ، إن قوته لأوهى من احتمال الشجرة البيضاء في رأس العجوز الهرم بين أصبعي بطل مغوار عالمي يتزعجها في خفة النسيم الرقيق فلا يدري ما هيه ؟ كذلك أمر الآثمين المفترين ، بجابهة في صرامة قوية بالدكاء ، والمنهج والنية ، علمائنا الأفذاذ فيظهر للعلم والحق والتاريخ أن نتائج افترائهم ذرات صداً بين كتل الماس الأصيل .

ولقد وجد علماء القرن الثالث جهوداً مباركة من علماء القرون السابقة فيما دونوه من السنة وما حولها من شرح الصحابة ومأثورات التابعين فعملوا



النية على إبراز ذاتية السنة ، وجعلها وحدها في مكانها الكريم وكان من أول المتقدمين لهذا العمل :

١ - عبد الله بن موسى العيسى الكوفي .

٢ - مسدد البصري .

٣ - أسد بن موسى .

٤ - نعيم بن حماد الخزاعي .

وعلى أثر هذه الطليعة اقتفى الأثر :

١ - إسماعيل بن راهويه . ٢ - عثمان بن أبي شيبة .

٣ - الإمام أحمد حنبل : وهو وحده الذي وصلتنا آثاره في المسند .

منهج التدوين في هذه المرحلة :

كان عزم علماء هذه المرحلة متوجها إلى : إفراز السنة من كلام الصحابة والتابعين ، ولذلك فقط التزموا بتلك الخطوات :

١ - جمع الحديث بشروطهم الخاصة .

٢ - فصل الحديث عن كل ما عداه .

٣ - تقبل الحديث بدرجته مع عدم الفصل .

٤ - تدوين الأحاديث التي رواها صحابي معين في مسند خاص به

مثلا : الأحاديث التي رواها أبو بكر رضي الله عنه تجمع كلها في مسند

واحد ، ولا فرق بين أحاديث الصلاة والزكاة وغيرها كل المرويات . الخ

ولهذا سميت كتبهم مسانيد لأنها اتبعت في التدوين طريق الراوي

تسند إليه كل مروياته دون نظر للأبواب ، كما كان الأمر في الحلقة

الثانية السابقة .

والسبب في هذا : أن علماء العصر الثاني كانوا في حاجة إلى الأحكام

الفقهية فأثبتوها مع السنة لتطالع معها ، أما العصر الثالث فهو في حاجة إلى

تمييز السنة من فتاوى العلماء وتفسير الصحابة لاتساع مدارس الفقه ووجود

الفقهاء المجتهدين . فهو عمل طبيعي سيرته حوادث الحياة ، والعلم يخدم الحياة ويوجهها وعلماء الإسلام فطنون فالتزموا في عملهم بمقتضيات الزمن وحاجات العصر ، فنهجوا في التدوين الطريق الأمثل الذي يغذى الحياة مع الحفاظ على سلوك المجتمع في اتصاله بالسلوك الإسلامى الأول ، دون ما تغيير أو تبديل فى الحكم أو فى توجيه القضايا ، لأن الأمة المسلمة : ديناً ، يجب أن لا تخضع لغير القرآن . دستوراً وللسنة الإسلامية تفسيراً ، فيهما إذا أخذت الأمة فلن تضل من بعد نبيا أبداً .

## قمة الازدهار عصر الجامع الصحيح

قدم السابقون من أصحاب السنن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مدونة تدويناً شاملاً عاماً ، لم يتضح فيه الصحيح من غيره لغير المتخصصين من أئمة الشأن ، ولذلك وجه الله - وهو المستعان - فكر الشباب المتدين الطموح للعلا في الدين ، المجاهد في الدين بالحياة كلها - إلى تهذيب السنة وتنقيتها ، وتجريدها مما يظن عالقاً بها من آثار النقع الذي اصطلح فيه الجو الفكري في المرحلة التي منيت بها الأمة من أمراض سياسية وضعف في الدين ووهن في العقائد ، فشدوا عن سواعد الجد وهم في نعومة أظفارهم قبل أن يطر الشارب وخفوا سراعاً للجهاد في سبيل الله .

١ - وكان في مقدمة الركاب الصاعد المجاهد الشاب الأريب التقى محمد بن إسماعيل البخارى ، حدث في العاشرة من عمره يتوقد ذكاء ، وحصافة وطموحاً ، ومع هذا كله عزم مخلص لله ، ونية صافية نحو الدين ، وقدرة استعذبت الجهد في سبيل السنة الإسلامية فأخذ الشاب في فجر عمره بالمعينة الوقادة يفحص الحديث وينقب عن الإسناد ، ويفتش عن الرجال ، ليقدم للذمة العلمية والتاريخ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوبها الذاتي ، فنظر الرجل العالم وقدر ووضع المنهج الدقيق والشروط المتينة :

١ - معاصرة الراوى لمن يروى عنه .

٢ - ثبوت اللقاء به .

٣ - وثبوت التحدث والسماع منه .

٤ - عدالة الراوى وضبطه .

وفي عمر طويل أمضاه الشيخ الشاب في عبادة الله أتم جامعة الصحيح

للسنة ، وما زال حتى يومنا هذا وسوف يزال دائماً الكتاب الذى ارتضاه الله للمسلمين مصدراً أساسياً لسنة نبيهم الكريم وموثلاً أميناً للصحيح من الحديث النبوى الشريف .

٢ - ويرث عن البخارى صفة التقوى وخدمة الدين والتحمس للحفاظ على السنة تلميذ بار ذكى ألمعى واضح الفهم دقيق التعبير منظم الفكرة هو الإمام مسلم بن الحجاج النيسابورى الذى ألف جماعته الصحيح وأبدع فيه تنسيقاً وتبويماً احتل مكانة كبيرة عند العلماء وكان تلامذته فى المرتبة التى تلى الجامع الصحيح لشيخه البخارى . ولئن بدا بين الشيخ وتلميذه فارق فى المنهج من حيث الدقة والتساهل فيكتفى مسلم بالمعاصرة دون بقية الشروط التى قعدها شيخه ، فلإنما ذلك يرجع إلى علة نفسية هى أن الإمام البخارى كان إمام تراث عام لم يستوضح فيه العقل الحسن والصحيح من غيرهما ، وقديماً لج المجتمع بأهات الأكاذيب التى تحتاج إلى الكشف عن الحقائق والبصائر فشد وأكد الشرط وقوى العقدة ، أما الإمام مسلم فقد وجد فى جو استقرت فيه الثقة ووجد فيه المصدر الأمين « جامع البخارى » فأحس بالأمان والطمأنينة لا سيما وقد زالت أسباب الفتنة وملئت الأسماع بالتقعيد لحال الرجال ، وبثت السنة فى الأمصار انبثاث الماء المنهمر من المزن الثقال ، فسهل ، وقلل .

وإنكم لتلركون هذا من مقارنة حالين لتلميذين :

أحدهما : يثق فى شيخه ، ويتمسك به ثم يسمعه يقول : « لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » فيحس من أعماقه أن شيخه ما زال يرى للسنة مكاناً أرفع يجب أن تتبوأه فى التدوين بعيداً عن عبث الجاهلين وتعلم الكاذبين ، ذلكم أمر البخارى مع شيخه إسحاق بن راهويه ، فكان لا بد أن يتشدد .

وثانيهما : يتلمذ على يد شيخ مستقر قرير العين مطمئن إلى ما وصلت إليه السنة من رفعة وازدهار فيرى لنفسه مكاناً آخر هو التفقه فى التبويب

واختصار السند المكزّر وذلكم أمر الإمام مسلم مع شيخه البخارى ، فكان لابد لمسلم أن يتساهل وإنه لتساهل في كثرة الشروط ، وليس تساهلا في قبول الحديث مطلقاً ، لأن العدالة والضبط شرط أساسى عند العلماء .

وهذه الشيخين العظيمين المجاهدين ثبوت السنة مكانتها وازدهرت إلى قمّتها ولكن ما زال في الأمة شباب وحب للسنة ، خاصة وقد اكتملت الأصول ، والمراجع ، فأخذت العهود تتجه بالسنة نحو تدوين أحاديث السنن فقط فكانت الحلقة الثالثة التي ختمت بها هذه المجهودات والتي أتم الله بها تدوين سنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

فإن طليعة الشباب المؤمن تتجه نحو حماية الدين والحرص على أصوله وقواعده ، وتاريخه ، وإلى ذلك هيا الله ، وبه وحده التوفيق .

## الموسوعات الفقهية في الحديث

### عصر السنن

لكنما النزعة التي افتتح بها تدوين السنة في عمل الإمام الزهري والإمام مالك من المزاوجة بين السنة والاجتهاد الفقهي قد ورثها الفكر الإسلامي في أخريات القرن الثالث الهجري بعد أن تمم الله تدوين السنة تحت أضواء الأمانة والعدل ، والحفظ والثقة ، فاتجه الشيوخ بعد قمة ازدهار السنة إلى جمع الأحاديث الخاصة بالحكم الشرعي متجنبين أحاديث الآداب ، والفضائل ، فأفسحوا للقلم في كل قرطاس يبدون السنن التي تحيا في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأرخوا العنان في الجمع ليحصلوا على كثرة من أحاديث الأحكام .

ولذلك : فهم يقبلون الحديث الضعيف مع الحسن والصحيح ما دام يحمل حكماً شرعياً ، وهم بهذا قد ساهموا في تقديمهم السنة بكامل درجات الحديث ليجد أصحاب الزمة مأربهم ، وطلبتهم ، والمستوثقون لدينهم يتخبرون فإن الأحاديث كلها صحيحة في نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنها تختلف في الدرجة حسب السند ، والرجال .

وليس في الضعيف حديث مدسوس ، ولا موضوع ، فقد هذب الشيوخ بقواعد مصطلح الحديث ، وقوانين الجرح والتعديل ، فضول الملحدين وتدليس الخائنين .

وتطهرت السنة ، وبرئت ، وتمت هذه الجهود آخر مرحلة اتدوين السنة . والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .



## ٤

### العلماء والكتب

#### ١ - العلماء :

- ١ - الطلعة الورع ابن شهاب الزهري .
- ٢ - مفتي المدينة مالك بن أنس .
- ٣ - الصابر المحتسب أحمد بن حنبل .
- ٤ - المناقش الرحالة البخاري .
- ٦ - أصحاب السنن : النسائي ، أبو داود ، الترمذي ، ابن ماجه .

#### ٢ - الكتب :

- ١ - الموطأ .
- ٢ - المسند .
- ٣ - الجامع الصحيح الأول .
- ٤ - الجامع الصحيح الثاني .
- ٥ - المجتبى .
- ٦ - السنن ( أبو داود )
- ٧ - الجامع .
- ٨ - السنن ( ابن ماجه )





## الطلعة الورع ابن شهاب الزهري

( ١ ) حياته :

١ - هو : أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن الحرث ابن زهرة القرشي الزهري ، ولد على الأرجح سنة ٥١ هجرية ، تولاه اليتيم منذ الصغر لوفاة والده وهو حدث صغير بعد أن اشترك في حروب ضد الأمويين مع عبد الله بن الزبير ، فنشأ في حجر أخيه الأكبر .

٢ - ويكاد يتفق الكاتبون الثقات على أن الزهري كان عبقرى زمانه فقد حفظ القرآن في ثمانين ليلة وقد ولع لقوة عارضته بمعرفة الأنساب ، فجعل يتردد على عبد الله بن ثعلب حتى حذق الفن فطمحت نفسه إلى معرفة الحلال والحرام ، الذي يميز الإنسان في سلوكه السوى عن الترنح في الشهوات وتردى المنحرفين ، فطاف لأجل ذلك على كل من أسعده به الحظ ، ثم توجه نحو رواية الحديث ، فكان تلميذاً لجلة من الصحابة منهم : أنس ، وابن عمر ، وجابر ، وسهل بن سعد ، كما كان تلميذاً لثلة من التابعين الخالصين منهم : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبيد الله بن عتبة ، وأبي بكر بن عبد الرحمن . وكان أطول مدة تتلمذ فيها على شيخ هي حياته العلمية مع أستاذه سعيد بن المنسيب فقد جلس إليه في الدرس ثمانية أعوام متواصلة .

٣ - وقد ارتحل إلى كل مصر علمي ، وتردد على كل منهل عذب صاف : فسافر إلى مصر الكنانة ، وأكثر من التردد على الشام ، والعراق إلخ ، واتصل بالولاة ، والخلفاء اتصال الثقة بالأمير الأمين ، وكان من أبرز الخلفاء الذين أجلوا الزهري ووقروه الخليفة العادل : عمر بن عبد العزيز . يروي الدكتور السباعي : كان عمر بن عبد العزيز يأمر جلساءه أن

يذهبوا إليه لأنه لم يبق على وجه الأرض أحد أعلم بالسنة منه - أى الزهرى -

٤ - وقد وافته المنية الحتمية فى أداى بين الحجاز وفلسطين سنة ١٢٤ هـ على أرجح الأقوال وعمره ٧٢ سنة .

يقول الكاتبون : وقد أوصى الزهرى أن يدفن على قارعة الطريق ليدعو له كل من يمر بقبره . رحمه الله بقدر ما قدم للسنة من خدمات ، وصان للدين من حرمة وأسس للعلماء من كرامة .  
(ب) صفاته العادية :

٥ - وكان من أبرز صفات الزهرى الكرم والسخاء ، يقول الليث ابن سعد : كان ابن شهاب من أسخى من رأيت ، يعطى كل من جاء يسأله حتى إذا لم يبق شيء يستلف من أصحابه فيعطونه .

وكان يمد للناس موائده على الطريق ، ويسعف المحتاج ، ويعاون الضعيف ، يروى أنه نزل مرة على أهل ماء فشكوا إليه أن لهم ثمانى عشرة عجوزاً ليس لهن خادم . ولا معهن شيء ، فأجر لهن الزهرى خدماً لكل واحد منهن جارية .

وكان يحب البطحاء إلى الأعراب والأميين يعلمهم الدين وفقه الحديث ويقدم لهم الطعام .

وهذه الصفات ركز الزهرى قواعد الأخلاق للعلماء :

١ - بعد عن الشح إلى الكرم والسخاء .

٢ - وهجر للعزاة إلى الألفة والإخاء .

٣ - وترك للكسل إلى السعى للتربية والتثقيف .

٤ - وجهاد ابتغاء رضوان الله (١) .

---

(١) ليت شعري لو علم سلفنا الصالح ما يفعله الآن بعض علمائنا من شكاوى ركيذية وعرائض واقتراحات لتغيير القوانين والقوانين حقداً وحداً على نمط يسوقها الله لواحد من إخوانهم الذى سبق أن قدم لهم كثيرأ بن العون ١٩٧٧/٦/٨ م .

### (ج) صفاته العلمية :

٦ - وإذا تجاوزنا هذه الصفات العادية للإمام الزهري ، كإنسان فاضل في خلقه وعفيف في كرمه وزاهد في تصرفه ، ومسلم في سلوكه ، وفحصنا حياته العلمية وجدنا له ثلاثة آثار بارزة :

الأولى : عناؤه في طلب العلم .

الثانية : عبقريته .

الثالثة : جودة شخصيته .

أما عن صفته الأولى : عناؤه في طلب العلم :

فقد ورث الزهري بعد وفاة والده وهو طرى الأنامل حياة خشنة في ظل أخيه الأكبر ، ولكن هذا الميراث المادى قابله ميراث عقلي دفع الشاب إلى خلفات العلم في حرص دقيق فقد اشتهر الزهري في طلبه العلم بما يلي :

١ - حرصه على لقاء العلماء من الصحابة وكبار التابعين ، وقد تتلمذ على كثير من خاصتهم لا سيما سعيد بن المسيب الذي صاحبه ثمانى سنوات .

قال إبراهيم بن سعد : قلت لأبي : بم فاقكم ابن شهاب ؟ قال : كان يأتي المجالس من صندوقها ولا يلتقي في المجلس كهلاً ولا شاباً إلا سأل ، ثم يأتي الدار فلا يلتقي شاباً ولا كهلاً إلا سأل حتى يجادل ربات الحجال .

ويروى أنه كان يخدم عبيد الله بن عتبة بن مسعود ليأخذ عنه الحديث ، حتى كان يستقي الماء ثم يقف بالبواب فيقول عبد الله لجارتيته : من بالبواب ؟ فتقول له : غلامك .

٢ - قدوة لكل ما يسمعه :

يقول أبو الزناد : نكنا نكتب الحلال والحرام ، وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع ، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس .

### ٣ - حفظه باتقان كل ما سمع وكتب :

يروى أنه كان إذا رجع إلى بيته بعد الدرس أيقظ جاريته وقال لها : اسمعي : حدثني فلان بكذا ، حدثني فلان بكذا ، فتقول له : ما لي ولهذا الحديث؟ فيقول لها : قد علمت أنك لا تنتفعين به ولكني سمعته الآن فأردت أن أستذكره .

ويذكر عنه المشتغلون بالتأريخ لحياة العلماء : أنه إذا خلا إلى بيته وضع من حوله كل كبة واشتغل بها عن كل أمور الدنيا ، حتى ضاقت بها زوجته ذرعاً ، وقالت له : والله لهذه الكتب أشد على من ثلاث ضرائر .

### وأما عن صفته الثانية : عبقريته :

فقد روى ابن أخيه أنه حفظ القرآن في ثمانين ليلة ، ويروى الليث عن الزهري أنه قال : ما استودعت قلبي علماً فنسيته ، وروى عبد الرحمن ابن إسحاق عنه : ما استعدت حديثاً قط ، وما شككت في حديث إلا حديثاً واحداً ، فسألت صاحبي عنه فإذا هو كما حفظت .

يقول العلماء الثقات : أراد هشام بن عبد الملك أن يمتحن الزهري في حفظه ، فسأله أن يملأ على بعض أولاده ، فأملأ عليه (٤٠) حديثاً وبعد شهر قال له هشام : إن الكتاب قد ضاع ، فطلب إليه أن يملأه مرة أخرى ، فأملأه الزهري فراجع هشام على الكتاب الأول فوجده هو .

ويذكر المؤرخون أن عبد الملك بن مروان أرسل كتاباً إلى أهل المدينة يعاتبهم فيه ، وكان الكتاب في طومارين ( صفحتين ) فقريء الكتاب على الناس في المسجد ، وذكر أمره إلى سعيد بن المسيب فقال : ليتنا نعرف ما جاء فيه . . . ؟ فجعل كل من جلسائه الذين سمعوه يقول : كان فيه كذا وفيه كذا . . . فأحس الزهري أن ذلك لم يشف غله ولم يبل ظمناً شيخه فقال : أتحب يا أبا محمد أن تسمع كل ما فيه . . . ؟ قال

سعيد : نعم ، فقرأه الزهرى حتى جاء عليه كله ، لكأنما يقرؤه من كتاب  
بين يديه .

وأما عن صفته الثالثة : جودة شخصيته :

فقد عرف للزهرى منزله كعالم إسلامى ، نيط به أشرف عمل وأجل  
مسئولية ، فارتفع بشخصيته فوق المال والملك ، وألزم الأقرباء دين الله .

يروى صاحب العقد الفريد : أن الزهرى دخل يوماً على الوليد  
ابن عبد الملك - الخليفة - ورئيس الدولة فقال له : ما حديث يحدثنا به  
أهل الشام ؟ قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : يحدثونا أن الله إذا استرعى  
عبداً رعيته كتب له الحسنات ، ولم يكتب له السيئات ، قال الزهرى :  
باطل يا أمير المؤمنين . . . أنبى خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي ؟  
قال : نبي خليفة ، قال الزهرى : فإن الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام :  
« يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ، ولا تتبع  
الهُوى فىضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد  
بما نسوا يوم الحساب » (١) .

فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة ، فما ظنك بخليفة غير نبي ؟  
فقال الوليد : إن الناس ليغفوننا عن ديننا .

بهذه الشخصية القوية حدد الزهرى مركز العالم الإسلامى ومنزله  
مع الحكام ، إنها منزلة القائد للرعية كلها ومسئولية توصيل دين الله الحق  
إلى الناس كافة ، دون ماهوى متبع أو شح مطاع أو رجاء تافه أو عظيم  
إنه صوت الحق بالدين ، يعلو بالطبيعة على صوت سأل عن الحق بالدين .  
بل : إنه لصوت الدين الذى يجب أن يصل إلى كل الآذان حتى لا يكون  
للناس حجة بعد التبليغ .

---

(١) سورة ص ٢٦٣ .

- ولم تكن تلك الحادثة وحدها لتعبر عن شخصية الزهرى ، بل هناك من الأحداث ما يبرز جودة هذه الشخصية التي تعتبر في الأخلاق ميزان خلق العالم ، ومحور القطر الذي تدور فيه عملية الشيخ المبلغ دين الله .

يزوى ابن عساكر بسنده عن الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه أن هشام بن عبد الملك سأل سليمان بن يسار عن تفسير قوله تعالى : "والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم" فقال هشام : من الذي تولى كبره فيهم ؟ قال سليمان : هو عبد الله بن أبي بن سلول فقال هشام : كذبت إنما هو علي بن أبي طالب ، ( نوهي مقالة أراد هشام اختبار الشيوخ في شذوهم للحق وانتصارهم له ) فقال سليمان بن يسار : أمير المؤمنين أعلم بما يقول ، ثم وصل ابن شهاب الزهرى فتأله : من الذي تولى كبره فيهم ؟ فقال ابن شهاب الزهرى : هو عبد الله بن أبي بن سلول ، فقال له هشام : كذبت ، إنما علي بن أبي طالب . قال الزهرى : وقد امتلأ غيظاً ، وغضباً : أنا أكذب ؟ لا بأبالك ، فوالله لو ناداني مناد من السماء أن الله قد أجل الكذب ما كذبت ؟ حدثني فلان وفلان أن الذي تولى كبره منهم هو عبد الله بن أبي ابن سلول .

ذلك موقف شخصية جيدة لا تخضع العلم لهوى الحكيم ، ولا تتأثر برأي خاص ، ولا تخرج الحق عن دائرته لهوى الملوك واستجابة لرغباتهم .

ومن هنا نرى كيف غلبت عليه قلوبهم ، فاستجابوا له .

١- أن الطغمان التي يختلفها الاستشراق وتلاميذه يؤمنونها بجودة شخصية الزهرى التي لم يعرف طريقها في العصر الحديث لعلماء أوروبا وشيوخ المسيحية الذين أذلوا شعب أوروبا باسم الدين وجعلوه لقمة سائغة للملوك والحكام ، وقدموا عرضه هنيئاً مريئاً ، وقرّبوا مباحلاً من نفسه .

٢- وأن ميزان العلم والعالم هو منهج الدين : سلوكاً في حياته وتبليغاً أميناً كما تحمله كبار الخلق والضمير والشخصية الفذة . (١)

وأن اتباع الهوى الشخصى أو إخضاع الدين لهوى الدولة ، أو الملك أو الحكام ، انحراف حقيقى يذل الشخصية العلمية وينتفى العالم عن مكانته ومركزه ؟ .

٣ - أن الاعتداء على مكانة الزهري باعثها النفسى (إسقاط عيوب) المرضى على الأقوياء التى تتغذى بالحسد والحقد ، ويقويها كراهية للإسلام وحضارته فى عمق نفوسهم .

٤ - أن المالئين للاستشراق من الكافرين : (١) - أحمد أمين فى كتابه فجر الإسلام (١) .

(٢) - أبو رية فى كتابه أضواء على السنة الإسلامية (٢) .

٥ - الدكتور على حسن عيد القادر فى ترجمته لكتاب (دراسات إسلامية لجولد تسهر) متجاهلين الفرق بين كتاب الثقافة العامة وكتاب علمى دقيق ، ومتجاهلين الأسس النفسية والعلمية للبحث العلمى عند الاستشراق وتلاميذه . ومتجاهلين الفروق بين الحضارة الإسلامية التى شخ نورها فى أواسط القرن السابع الميلادى ، ففتح عيون الغربيين بعد تقاؤهم بالإسلام فى الحروب الصليبية التى خسروا فيها جيوشهم وسعهم وتاريخهم وهبوا فى ظلها علوم الإسلام وحضارته .

وجهاً بالواجب الدينى الذى يحتمه وجودهم كمسلمين أن يدافعوا عن الحق الذى يشاء الباطل أن يرمد أعينهم هم عنه حتى لا يرثوا به الأرض ومن عليها كما ورثها أجدادهم المسلمون فى الأندلس ، وقرصن وصقلية قدماً ، ومن هنا يبذو لكم وضوح :

٦ - القيم العلمية فى البحث الإسلامى .

- 
- (١) لفضيلة المرحوم الدكتور سيد أحمد المسير رئيس قديم الدعوة الأيوبى : مذكرة خاصة بالرد على المرحوم الأستاذ أحمد أمين فيما يتعلق بالسنة .
- (٢) فضيلة الدكتور محمد أبو عبيد الله كتاب اسمه : دفاع عن السنة ، رد فيه على ترهات (أبو رية) .



— واجب المسلمين .

— عظمة الإمام الزهري : كرائد طلعة حدد كل قيم العلماء وواجباتهم تجاه الله ورسوله ، والسنة : والشعب والحكام .

( د ) مكانته في السنة :

١ - درسه : على قدر المشقة التي عاناها الإمام الزهري في طلب العلم ، على قدر ما هيا الله له من المنزلة الكريمة في توصيل علمه الأمين إلى الجمع الغفير من التلاميذ ، فقد انتشرت سمعة الزهري علماً ووقاراً وخلقاً وكرماً ، وأمانة ، وعبقرية ، وشخصية ، انتشار الندى الشذى في لفائف الورود صباح اليوم النادى فأقبل عليه الشيوخ قبل الشباب . يقول الإمام مالك رضي الله عنه : كان الزهري إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحد من العلماء حتى يخرج منها ، وأدركت بالمدينة مشائخ أبناء سبعين وثمانين لا يؤخذ عنهم ويقدم ابن شهاب وهو دونهم في السن ، فيزدحم الناس عليه .

ومن هنا فقد رأت الدولة - احتراماً لمنزلة الزهري - أن توجه الوعي إلى حلقات العلم التي يعطرها أريج الزهري ، فيروى أن عمر بن عبد العزيز قال لجلسائه : هل تأتون ابن شهاب؟ قالوا : إنا لنفضل ، قال : فأتوه فإنه لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية منه .

٢ - أقوال العلماء فيه :

يقول الليث بن سعد : ما رأيت عالماً قط أجمع من الزهري ، يحدث في الترغيب فنقول لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثاً جامعاً .

ويقول عمرو بن دينار بعد أن اجتمع بالزهري طويلاً : والله ما رأيت قط مثل القرشي .

ويروى عن مالك رضي الله عنه أن ابن شهاب قدم المدينة فأخذ بيد ربيعة ودخلا إلى بيت الديوان ، فلما قرب وقت العصر خرج ابن شهاب

وهو يقول : ما ظننت بالمدينة مثل ربيعة ، وخرج ربيعة يقول ما ظننت أن أحداً بلغ من العلم ما بلغ ابن شهاب .

وعن مالك أيضاً يروى أنه قال : بقي ابن شهاب وماله في الدنيا نظير .

وعن الإمام أحمد بن حنبل : الزهري أحسن الناس حديثاً وأجودهم إسناداً .

وسئل أبو زرعة : أى الإسناد أصح ؟ قال أربعة : أولها الزهري عن سالم عن أبيه .

وقال عمرو بن دينار : ما رأيت أنص وأبصر بالحديث من الزهري .

وقال سفيان : لم يكن في الناس أحد أعلم بالسنة من الزهري .

وهكذا يجمع علماء العصر على جودة علم الزهري ودقة حديثه ، وعلو نفسه وكرم أخلاقه بما جعله أمة وحده لا يرقى إليه شك ولا يسعد بتأريخه إلا كل رجل مسلم أمين .

( هـ ) آثاره في السنة :

١ — عندما اتجهت الدولة إلى تدوين السنة تدويناً رسمياً كان ابن شهاب الزهري هو من أول الرجال الذين اعتمدت عليهم الدولة في حفظ السنة الإسلامية .

يقول الحافظ بن حجر في الفتح : أول من دون العلم ابن شهاب بأمر عمر بن عبد العزيز .

ويروى أبو نعيم ، من طريق محمد بن الحسين عن مالك قال : أول من دون العلم ابن شهاب .

٢ — أن الزهري رضى الله عنه وضع قواعد الأسانيد ، ومن قبله ما حفل عالم بإسناد الحديث . يقول مالك : أول من أسند الحديث ابن

شهاب، يزوي وابن عساكر عن الوليد بن مسلم أن الزهري قال : يا أهل الشام مالي أرى أحاديثكم ليس لها أزمة أو خطم .

وبهذا تنحطم على هذه الصخرة افتراءات الكاذبين من المستشرقين وأجنادهم ، فلم يكن الزهري جامعاً للسنة فقط ، أو محدثاً بها فقط بل كان ذا منهج في الأسانيد التي تنقل السنة ، فكيف يمكن على سبيل الفرض اتهامه بقاء الأمانة ؟ كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .

٣ - حفظه كثيراً من الأحاديث الصحيحة التي لولاه لضاقت واندثرت ، يقول مسلم : للزهري نحو (٩٠) جرفاً - حديثاً - يرويه ولا يشاركه فيه أحد بأسانيد جياد .

ولكن لسوء الطالع لم تشرف المكتبة الإسلامية بكتاب خاص للإمام الزهري ، وإن كانت مديونة له بالعلم والرواية والتلاميذ والتحديث .

الراون عنه : يقول فضيلة الدكتور السباعي : لا يخلو باب من أبواب الحديث إلا وللزهري فيه حديث أو أثر أو رأي . ويقول السيوطي في طبقات المحدثين : روى عنه خلق كثير ومن أشهرهم : مالك ، وأبو حنيفة ، وعطاء بن أبي رباح ، وعمر بن عبد العزيز ، وابن عيينة ، والليث ابن سعد ، والأوزاعي ، وابن جريج .

وروى الشيخان ( البخاري ومسلم ) وكتب السنن الأربعة ومالك في الموطأ ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل عن الزهري كثيراً من الأحاديث .

وهكذا يحمل الإمام الزهري في أول مرحلة رسمية لتدوين السنة الأمانة الدقيقة :

١ - ليجمع السنة ومحيطها من الضياع .  
٢ - لينتدب ولهذب الرجال ، والطرق ، والأسانيد ، وينقيها من الحشو .

لتنقل السنة من بعده كثرات مجموع قوى يأخذ طريقه الأصيل في بناء حضارة الإنسان .

و قد أتت به شلاله من

وفي أدامى سنة ١٢٤ هـ بالشام توفي الإمام الطلعة تحفه روائح السنة ، وتشيعه جلائل الأخلاق ، وفي مفترق الطريق دائماً يقترأ الله المارون الفاتحة ، ويدعون له بالغفران . ورحم الله ابن شهاب رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

و قد أتت به شلاله من

و قد أتت به شلاله من

و قد أتت به شلاله من

و قد أتت به شلاله من

## الإمام مالك وموطؤه

(أ) حياته :

هو أبو عبد الله بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي من خلفاء بني تميم بن مرة .

رحل أجداده من اليمن إلى المدينة ، وكان جده أبو عامر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شهد معه المغازي كلها عدا بدر .

ولد مالك بالمدينة ، ولكن السنة التي ولد فيها محل خلاف بين المعنيين بالتاريخ ، فيذكر الشيباني في مقدمة تفسير الأصول : أن ولادته كانت سنة ٩٥ هـ بينما يذكر غيره أنها كانت سنة ٩٣ هـ ، وعلى كل حال فإن عام وفاته محل اتفاق ١٩٨ هـ ولكن مولده محل اختلاف لعدم وجود التسجيل الميلادي آنذاك .

وقد عاش مالك حياته في المدينة بلد النبي صلى الله عليه وسلم فورث الهدوء والعلم والعفاف ، حفظ القرآن الكريم ثم شرع في حفظ السنة فانقطع إلى عبد الرحمن بن هرمز سبع سنين ، كما أخذ عن نافع مولى عبدالله بن عمر ، وإن العلماء ليجمعون على أن أصبح سلسلة ذهبيّة في الإسناد هي : مالك عن نافع عن ابن عمر ؓ

كذلك سمع كثيراً من الزهري : يروى أن من عادة مالك عند سماع الحديث أن يعقد عقداً في خيط بعدد ما يسمعه من الأحاديث التي يأخذها عن الزهري ، وفي مرة وعهاها كلها وكانت ثلاثين حديثاً فلما عاودها نسي واحداً منها فسارع إلى الزهري يسأله عن ذلكم الواحد الذي نسيه ، فقال له الزهري : ألم تكن في المجلس فأجاب مالك : بلى ، قال الزهري : فإلك لا تحفظ ؟ فأجابه مالك : إنها ثلاثون ، وإنما ذهب عني واحد ، فقال الزهري : لقد ذهب حفظ الناس .

ومن شيوخه الذين تعلم على أيديهم : يحيى بن سعيد الأنصارى ،  
وعبد الرحمن بن ذكوان ، وأبو حازم بن دينار ، ومحمد بن المنكدر .

( ب ) مكانته في السنة :

١ - درسه : بقدر تلمذة الطالب على الشيوخ وجودتهم وجلال  
قدرهم يكون علمه وإتقانه والثقة فيه ، فقد كان مالك رضى الله عنه تلميذاً  
لثلة من كبار التابعين الثقات العلماء ، لا سيما الطلعة الورع الإمام ابن شهاب  
الزهرى ، فإذا تصدر مالك بعد ذلك للتدريس فقد تصدى فارس الحلقة  
وابن البجدة وأمير الثقة حتى لقبه العلماء إمام الحجاز ، واشتهر في العرف  
العلمى أنه ( لا يفتى ومالك في المدينة ) كما أطلق عليه العلماء : عالم المدينة  
وإمام دار الهجرة .

وقد تميز مجلس سيدنا مالك رضى الله عنه بميزتين :

الأولى : أنه كان في المسجد النبوى بالمدينة المنورة ، وكان رضى  
الله عنه يتخير المكان الذى يجلس فيه عمر بن الخطاب ، وهو نفس المكان  
الذى كان يجلس فيه النبي صلى الله عليه وسلم .

الثانية : أن شيوخه الذين نهل منهم قد صاروا في حلقة درسه يستمعون  
إليه ، ومنهم : يحيى الأنصارى ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهرى .  
وكان رضى الله عنه لا يخرج لدرس الحديث إلا إذا توضأ ولبس أحسن  
ثيابه ، وتعطر ، وخرج خاشعاً متواضعاً ، وكان كثيراً ما يشير إلى قبر  
النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : كل أحد يؤخذ من قوله أو يترك إلا  
صاحب هذه الروضة .

وقد بلغ من احترامه وأدبه للرسول صلى الله عليه وسلم ومدينته :  
— أنه ما ركب دابة في المدينة ، وكان يقول : إني لأستحي أن أركب  
دابة تظأ بحافرها أرضاً يضم تراها جسد النبي صلى الله عليه وسلم .  
— وأنه ما خرج لدرس الحديث أو الفقه في مسجد المدينة إلا متوضئاً ،

فلما مرض من سلس البول نقل درسه إلى بيته وأخفى علته ، حتى دنا أجله فقال : كرهت أن آتى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغير وضوء ، وكرهت أن أذكر على فأشكوري .

## ٢ - أقوال العلماء فيه :

• يقول أبو حاتم الرازي : مالك ثقة إمام أهل الحجاز، وهو أثبت أصحاب الزهري وإذا اختلفوا فالحكم لمالك .

• ويقول الشافعي رحمه الله : إذا جاء الأثر فمالك النجم .

• ويقول محمد بن عبد الحكم : إذا انفرد مالك بقول لم يقله غيره فقول له حجة .

ويقول أيوب بن سويد : ما رأيت أحداً قط أجود حديثاً من مالك ابن أنس .

ويقول النووي : أجمعت طوائف العلماء على أمانته وجلالته وعظمته سيادته ، وتبجيله ، وتوقيره ، والإذعان له في الحفظ والتثبت ، وتعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

## ( ج ) آثاره في السنة :

١ - التدوين : احترمت الدولة وقار مالك في نفسه ، وعلمه ، وحديثه ، فكلفته بتدوين السنة . يروى أن أبا جعفر المنصور كتب إليه يقول : ضيع للناس كتاباً أحملهم عليه ، وتجنب فيه شدائد عبد الله بن عمر ورخص ابن عباس وشواذ عبد الله بن مسعود ، وأقصد إلى أوسط الأمور وما اجتمع عليه الأئمة والصحابة رضوان الله عليهم ، لنحمل الناس - إن شاء الله - على علمك وكتبك ونبئها في الأمصار ونعهد إليهم ألا يخالفوها ولا يقضوا بسواها .

فجمع مالك الموطأ في (٤٠) عاماً حتى مات المنصور قبل أن يتم مالك مراجعة الكتاب .

وقد اختار مالك الأحاديث المجمع عليها ، ونقد الرجال نقداً دقيقاً فاحصاً ، وإن المنهج العلمى لضبط السنة ليرث عنه مقالته : لا يؤخذ العلم من أربعة عن سواهم :

- ١ - لا يؤخذ من سفيه .
- ٢ - ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعة .
- ٣ - ولا يؤخذ من الكذاب يكذب فى أحاديث الناس .
- ٤ - ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحمل ويحدث به .

ولذا نجده يقبل فى الموطأ :

- الحديث النبوى الشريف .

- وأقوال أهل المدينة .

- وقد يتبع الحديث بفقه رأيه ، أو بتفسير كلمة ، أو توضيح جملة .
- ولم تكن تلك سنته وحده فقط ، بل كان ذلك منهجاً للصحابة من قبل ، فقد كان ابن مسعود رضى الله عنه يكتب فى مصحفه مع القرآن التفسير الذى كان يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كان فقهاء التابعين يجمعون بين الحديث والفقه الذى يستنبطونه منه .
- فلم يكن مالك بدعاً فى طريقته ، بل كانت منهجاً وأسلوباً موروثاً .

## ٢ - نقده الإسناد :

يروى أن مالك رضى الله عنه قال : أدركت فى هذه البلدة أقواماً لو استقى بهم المطر لسقوا ، قد سمعوا العلم والحديث كثيراً ، ما حدثت عن أحد منهم شيئاً ، لأنهم كانوا ألزموا أنفسهم خوف الله وهذا الشأن - تدوين السنة - يحتاج إلى رجل معه : تقى ، وورع ، وصيانة وإتقان ، وعلم وفهم ، فيعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه ، فأما رجل بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ، ولا هو حجة ، ولا يؤخذ عنه .



فيمهد مالك بهذا إلى علم جليل يضبط السنة ، ويهذب مقالات الحمقى ويقطع ألسنة السوء ، ذلكم هو علم أحوال الرجال أو علم الجرح والتعديل أو موازين ضبط السنة .

### ٣ - الراوون عنه :

لم يغادر مالك بن أنس المدينة المنورة فقد عشق المقام فيها لمجاورته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحكى أن بعض الخلفاء دعاه لكي يرحل إلى بغداد يحيا في ظل الخلافة ، وفي خمائل النعيم ، فأبى مالك وردد مقالة النبي صلى الله عليه وسلم « المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » فاكسب مالك بتلك الاستراتيجية المنزلية شهرة فائقة وسعت درسه لكل مقيم في جوار المنورة وروضتها ، أو كل زائر حاج ، أو معتمر متشوف لاستشرافات القبة الخضراء تزكي روحه ، وتنقى وجدانه .

فكان درس مالك للراحين ، والغادين ، والمقيمين ، والظاعنين ، والناس يقبلون ويهرعون ، فانتشر الدرس عرضاً بكثرة الشغوفين ، وانتشر طويلاً بما مد الله للمالك في أجله تسعين عاماً ( ٩٠ ) .

وقد روى عنه من شيوخه التابعين : الإمام الزهري ، ويحيى الأنصاري ، وكذا روى عنه أيوب السجستاني وأبو أسود ، وربيعة ، ويحيى بن سعيد ، وموسى بن عقبة ، وهشام بن عروة وهؤلاء من التابعين .

كما روى عنه : نافع بن أبي نعيم ، ومحمد بن عجلان ، وسالم بن أبي أمية ، وأبو النصر مولى عمر بن عبد الله ، وأولئك من غير التابعين .

كذلك روى عنه من أقرانه وأترابه : سفيان الثوري ، والليث بن سعد . وحمام بن سلمة ، وحمام بن زيد ، وسفيان بن عيينة ، وأبو يوسف القاضي ، وشريك ، وأبو لهيعة ، وإسماعيل بن أبي كثير .

ومن تلاميذه ، الذين رووا عنه : عبد الله بن وهب ، وعبد الرحمن

ابن القاسم ، وأشهب بن عبد العزيز ، وأسد بن الفرات ، وعبد الملك  
ابن المجشون ، وعبد الله بن عبد الحكم .

يروى أن محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة قال :

أقمت بباب مالك ثلاث سنين ، وسمعت نيفاً وسبعمئة حديث لفظاً .

. . . وهكذا ترون الجيش الثقافي الأمين المخلص يتحمل مسئولية  
الحفاظ على السنة وتنفيتها ، وصيانتها ، بحسبة لله ، لا من أجل الدنيا أو  
جاء ينال .

#### ( هـ ) شخصية مالك :

١ - بالعادة بين العلماء والحكم علاقة : يحددها صلابة العالم في  
الحق ، وتقبل الحاكم لدين الله : فهي طيبة إذا كان الحاكم متديناً . وهي سيئة  
إذا كان العالم صلباً والحاكم جائراً .

وهي دنيئة إذا كان العالم تاجراً ، والحاكم مشترياً للذمم أو سفاكاً للدماء .

وقد تعلم الإمام مالك على شيخه الطلعة الإمام الزهري وهو ذلكم  
الذي جابه انحراف الحكام في رغباتهم ، وقن للعلماء أسلوب جودة  
الشخصية ، حفاظاً على دين الله ، فكان مالك بهذا المنهج باراً فرفض  
دعوة الحاكم أن يعيش في بغداد تحت ظلال الحكم والعيش الرغيد .

بل إن مالكا جعل من نفسه داعية مهذباً للملوك والحكام ، فيروى  
أنه دخل على هارون الرشيد ووعظه وذكره بأن عمر بن الخطاب كان  
ينفخ على النار في عام المجاعة - عام الرمادة - وقد أوصى الخليفة المهدي  
فقال له : أوصيك بتقوى الله وحده والعطف على أهل بلد رسول الله صلى  
الله عليه وسلم وجيرانه ، فإنه بلغنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
قال : المدينة مهاجري ، وبها قبري ، وبها مبعثي وأهلها جيرانى ، وحقيق  
على أمتي حفظي في جبراني ، فمن حفظهم كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة .

ووعظ أحد الولاة فقال له : افتقد أمور الرعية فإنك مسئول عنهم ،  
فإن عمر بن الخطاب قال : والذي نفسى بيده لو هلك جمل بشاطئ الفرات

ضياءاً لظننت أن الله يسألني عنه يوم القيامة .

وقد حضر مجلس أحد الحكام فسمع من الحاشية من يثنى عليه فقال له :  
إياك أن يغرك هؤلاء بثنائهم عليك ، فإن من أثنى عليك وقال فيك من الخير  
ما ليس فيك أو شك أن يقول فيك من الشر ما ليس فيك فاتق الله من التزكية  
منك لنفسك ولا ترض بها من أحد يقوها لك في وجهك فإنك أنت أعرف  
بنفسك منهم ، فإنه بلغني أن رجلاً مدح عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال :  
قطعت ظهره ، أو عنقه ، لو سمعها ما أفلح ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم :  
احثوا التراب في وجوه المادحين (١) .

يروى أن الرشيد أرسل إلى مالك يطلب إليه أن يزوره حتى يسمع  
أولاده منه العلم ، فرد عليه مالك : العلم يؤتى ولا يأتي ، فقال له الرشيد :  
صدقت .

هكذا نتحمل نحن الأجيال الشابة هذه الموازيث من الشرف والرجولة  
والتدين ، لنضعها أدلة حديدية في مواجهته إفاك الجاهلين الذي يتمنون  
هدم رجال السنة طمعاً في شهوة الانتقام من الدين الحنيف الذي علم الدنيا  
سبل الحضارة في عمر قصير .

٢ - ومع تلك الشخصية السياسية الفذة التي وضحتها لنا سيدنا مالك  
رضي الله عنه كانت له شخصية علمية رائدة ذات منهج أمين تقدمه للدنيا  
لتعرف أن الإسلام من قبل أن تستيقظ المعمورة في حقها الغربي قد أقام  
لها منهجاً علمياً في الشرق يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم .

روى أن رجلاً جاء مالكا يسأله فقال : انصرف حتى أنظر ، فأبدى  
بعض الناس اعتراضاً على هذا المسلك لما يعرفونه عن مالك من سعة العلم ،

---

(١) رواد الترمذي عن أبي هريرة ، كما رواه أبو نعيم في الخلية ، وابن عدي في الكامل  
عن ابن عمر .

وشدة القرينة وحدة الذكاء ، وإخلاص النية ، فرد عليهم : بسريرته الطيبة المطيعة لله رب العالمين « إننى أخاف أن يكون لى من هذه المسائل يوم وأى يوم » .

ومن هنا يتأكد لدى البحث أن مالكا رضى الله عنه لم يغير بعلمه كما يغير الباحثون المعاصرون فى الجامعات والمعاهد العليا بمكانتهم العلمية وكتبهم ، وأبحاثهم ، لا سيما ومالك يضم له مجلس الدرس شيوخه الذين يجلبهم العلم والتاريخ والمجتمع ، ولكنه وضع سمة البحث العلمى : هى دقة الفحص والتحصيل ومعها الأمانة وتجنب الشبهات .

ومع استمرار دراسات حياة الإمام العظيم يطالع الناس استمرار هذا المنهج ، فيرون أن أحد الناس سأل مالكا فاستمهله الإمام ليفكر فى الإجابة على طريقته ، فقال له السائل : هذه مسألة خفيفة لا تحتاج إلى تأجيل أو تفكير ؟ فغضب مالك وقال له : ليس فى العلم شىء خفيف ، أما سمعت قول الله تعالى : إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا .

وتجدون كذلك تصريحاً له يقول فيه : ما من شىء أشد على من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام لأن هذا هو القطع فى حكم الله . يروى أن سائلا جاء مالكا من سفرة طويلة تقارب مسيرة ستة أشهر فسأله ، فقال مالك : لا أحسن ، فدهش الرجل لأنه يعتقد أن مالكا لا يجهل شيئا ، وقال للمالك : وأى شىء أقوله لأهل بلدى إذا رجعت ؟ فأجابه مالك : قل لهم : قال لى ابن أنس : لا أحسن .

ولهذا يقول مالك فى وصيته : ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول لا أدرى حتى يكون ذلك أصلا فى أيديهم يفرعون إليه ، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري قال : لا أدرى .

يمثل هذه الشخصية التى اعتلت فوق سلطان الحكم وحددت منهج البحث وعرفت حدود العلم وموقف العلماء . يمثل هذه الشخصية التى يرث

المسلمون عنها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أملى مالك بن أنس كتابه الموطأ، فكان أول كتاب رسمي للسنة الإسلامية استقى مالك مصادره وهو تلميذ من فطاحل العلماء الثقات الورعين وشيده بعلمه الغزير وأمانته الخالصة وشخصيته القوية وشفع الحديث بفقهه ، وتفسيرات لبعض العبارات ليقدمه للمسلمين مصدراً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم عسى الله أن يهدي به من يشاء من عباده إلى صراطه المستقيم .

## الموطأ

### أولاً - الموطأ :

هو أول كتاب رسمي قدمته الدولة الإسلامية ليحمل للناس سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أشار به على مالك بن أنس الخليفة أبو جعفر المنصور حينما طاف به عند الحج وطلب إليه أن يدون له كتاباً جامعاً في العلم يتجنب فيه شذائد بن عمر ، ورخص ابن عباس وأن يوطئه للناس .

ثانياً - يقول السيوطي : لهذه التسمية - الموطأ - سبب آخر فيما يرويه مالك قال : عرضت كتابي هذا على سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ .

ثالثاً : لما حج الخليفة المهدي مر على مالك فسمع منه الموطأ فكافأه تقديراً على جهده الأمين .

يروى أبو نعيم في الحلية : لما حج الرشيد وأولاده . وسمع الموطأ رغب أن يعلقه في الكعبة وأن يحمل الناس عليه ، فأجابه مالك رضي الله عنه : لا تفعل يا أمير المؤمنين ، فإن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في الفروع ، وتفرقوا في البلدان ، وكل مصيب ، فأنصاع الرشيد وعدل .

وهكذا تعلق نفوس العلماء فوق العنجهية التي يتلذذ بها قصار النظر

عند ما يلزمون الناس برأى واحد ، ويفأخرون أن الدولة أخذت برأيهم وحده دون غيره .

وفى هذا وحى للعالم ألا يستبد ، وألا يغلق باب العلم من بعده أو يدعى أنه قد أغلق به .

وفى هذا فسحة ليسر الدين وسماحته ، ورخصة عند الحاجة الملحة وتخفيف من الله ورحمة ، فالعلماء الذين يستبدون ، والعلماء الذين يحملون الناس على مذهب واحد والعلماء الذين يتجردون من مواريث العلم الإسلامى ، هؤلاء جميعاً ينقون عنهم صفة العلم . ويتجافون عما رسمه لنا أجدادنا من المنهج القويم الذى يوحد ولا يفرق ، ويسهل ولا يضعب ، ويسود ولا يستبد ، ويقوى ولا يضعف ، ويم شتات المسلمين تنفيذاً للميثاق العظيم ( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ) - ١٠٤ آل عمران .

رابعاً - منهج مالك فى تدوين الموطأ :

على المنهج العادى سلك سيدنا مالك رضى الله عنه . طريقة التدوين :

١ - بوبه على أبواب العلم المختلفة : الصلاة ، الزكاة ، الزواج . الخ .

٢ - يذكر فى كل باب ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

٣ - ثم آثار الصحابة .

٤ - ثم أقوال التابعين الثقات .

٥ - ثم عمل أهل المدينة الذين أجمعوا عليه ، وكان ينص عليه فى الأبواب

التي يختلف فيها عمل أهل المدينة مع أحاديث الآحاد .

٦ - وكان يشفع الحديث برأيه الفقهى ، جرياً على العادة القديمة

أو يفسر جملة أو يشرح لفظاً أو يبين المراد من بعض العبارات والجمل .

خامساً - درجة الموطأ من كتب السنة :

١ - جمهور المالكية وابن العربي يقدمونه على الجامع الصحيح للبخارى ومسلم ، للآتي :

( أ ) لمكانة مالك العلمية .

( ب ) لمنهجه الذى عرف بالدقة فى تقبل الحديث .

( ج ) لتمحيصه الموطأ فى أربعين عاماً .

٢ - وفى كلام الدهلوى فى كتاب حجة الله البالغة استواء منزلة الموطأ مع الجامعين الصحيحين للبخارى ومسلم .

٣ - وعند جمهور المحدثين ، وعند ابن حجر : البخارى أولاً ، ومسلم ثانياً ، والموطأ ثالثاً ، يقول : ابن حجر : « إن كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع ، وغيرهما » ٥١ .

وعلة جعل جمهور المحدثين الموطأ فى منزلة متأخرة من الصحيحين أن الموطأ يجمع الأحاديث المرسلة والمنقطعة ، وهى غير معتد بها فى نظر الجمهور .

ويجب أصحاب القولين عن وجود المرسل وغيره فى الموطأ بأنها متصلة السند من طرق أخرى فهى من هذه الوجهة صحيحة ، ومن جانبنا إذا كنا نعرف فى تاريخ سيدنا مالك رضى الله عنه أنه رجل دقيق النظر متفحص فى حال الرجال ، وأنه كما يرفض العالم المتعبد الذى لا يعي فهم ما يخرج من فيه ، أو يدخل فى رأسه من الأحاديث ، تأكد لنا أن المراسيل فى نظر المحدثين الذى يتكلمون عنها فى موطأ مالك لم تكن عنده إلا صحيحة قوية ، وإلا لما أثبتها فى موطئه ، وقد شهد الشافعى رضى الله عنه لمالك بقوله : إذا جاء الأثر فمالك النجم .

ويقول أيوب بن سويد : ما رأيت أحدا قط أجود حديثاً من مالك  
ابن أنس .

ويقول مالك نفسه : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه منه .  
ومن المشتغلين بوصل ما في الموطأ من مرسل : الحافظ بن عبد البر ،  
قال : جميع ما فيه من قوله : بلغني ، ومن قوله : « عن الثقة » واحد وستون  
حديثاً - ٦١ - كلها مسندة من غير طريق مالك إلا ٤ ( أربعة ) ولكن الشيخ  
الشنقيطي في كتابه : « إضاعة الخالك » ينقل عن ابن الصلاح أنه وصل  
هذه الأربعة ، وعلى أى حال فليس في الموطأ حديث موضوع مدسوس  
على السنة أو متقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في الموطأ  
ضعيف يفسد عقيدة أو يبذل معناه حكماً ، لا سيما ومالك قد اعتر بأهل  
المدينة وعملهم ولم يرح المدينة ولم يفارق جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فلم تهب له فرصة اللقاء بمن يشك فيهم لا سيما وشيوخه ثقاة عفاف ،  
وأهل المدينة أهل ود للجوار النبوي الكريم .

#### سادساً - نسخ الموطأ وتعداد أحاديثه :

يقول فضيلة الدكتور السباعي : وقد بلغت روايات الموطأ المتداولة  
- نسخه - نحواً من ثلاثين نسخة ( ٣٠ ) من أشهرها : موطأ ابن بكير ،  
وموطأ أبي مصعب ، وموطأ ابن وهب ، وموطأ الإمام محمد بن الحسن .  
وهذه النسخ تختلف فيما بينها تقديماً وتأخيراً ، وزيادة ونقصاً ،  
وعلة ذلك :

١ - إدامة النظر من سيدنا مالك رضي الله عنه في أحاديث الموطأ  
وإضافة أحاديث أو حذفها حسبما تراءى له .

٢ - اختلاف الزمن الذي رويت فيه الأحاديث عن مالك .  
ولهذا اختلفت الاحصائيات في عدد أحاديث الموطأ .

يقول أبو بكر الأبهري : جملة ما في الموطأ من الآثار عن النبي



صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين ١٧٢٠ حديثاً : المسند منها ٦٠٠ حديث، والمرسل ٢٢٠ حديثاً ، والموقوف ٦١٣ حديثاً ومن قول التابعين ٢٨٥ قولاً .

أما في موطأ الشيخ محمد بن الحسن - وهو من أشهر النسخ - وخاصة في الحرمين وبلاد الهند ، فقد بلغ جملة ما فيه من الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة على الصحابة ومن بعدهم مسندة ومرسلة ومنقطة ١١٨٠ حديثاً ، منها عن مالك ١٠٠٥ ، وعن أبي حنيفة ١٣ حديثاً ، وعن أبي يوسف ٤ أحاديث والباقي عن غيرهم .

سابعاً - عناية العلماء بالموطأ :

تلقى العلماء الثقات موطأ مالك كما يتلقى الوالد العجوز أول ولد له وحيد ، فأكبوا عليه بالعمر والشباب ، شرحاً ، وتخریجاً ، ومن أشهر شراح الموطأ :

- ١ - الحافظ ابن عبد البر م ٤٦٣ هـ فقد ألف فيه شرحين :  
( أ ) تمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : رتب فيه أسماء شيوخ مالك على حروف المجمع وقد قال فيه ابن حزم « لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثاله فكيف أحسن منه » .  
( ب ) الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار .
- ٢ - الحافظ أبو بكر بن محمد بن العربي م ٥٤٦ هـ
- ٣ - جلال الدين السيوطي م ٩١١ هـ
- ٤ - الزرقاني المصري م ١٠١٤ هـ
- ٥ - الدهلوي م ١١٧٦ هـ
- ٦ - الشيخ علي القازي المكي م ١١٢٢ هـ
- ٧ - الكنوني في كتابه (التعليق على موطأ الإمام محمد) وقد اختصره كثير من العلماء منهم :

- ٨ - أبو سليمان الخطابي م ٢٢٨ هـ  
 ٩ - وابن عبد البر م ٤٦٣ هـ  
 ١٠ - ابن رشيقي القيرواني م ٤٥٦ هـ

كذلك ألف فيه كثير من المشايخ كثيراً من الكتب : تشرح غريبه ، وشواهده ، ورجاله ، واختلافاته في النسخ بما يظهر كرم عناية الأمة والعلماء بهذا الكتاب الجليل .

### شبهة حول الموطأ :

الاعتداء على السنة في نظر المستشرقين وتلاميذهم طلاب الشهرة والمال أساسه الطعن في الأسس التي قامت عليها عملية تدوين السنة ، لذلك يتوجه الأعداء إلى الأئمة الأول للطعن فيهم :

فهم يتكلمون في الإمام الزهري ، بما يجرحه لأنه أول من دون السنة رسمياً ، وكذلك يطعنون في الإمام مالك لأنه الرجل الأمين الثاني الذي دون السنة رسمياً ، سر الدولة . ومن سوء الحظ أن الأرمد يتهم قوى البصر بالعيب ، ويصدقه جبلاء العقيدة ، بل يستعذب كلامهم فريق من المتشككين بالتزوين اللفظي المتأخرين بنسبة كلامهم إلى الاستشراق . ومثل ذلك الموطأ : فقد اعتدى عليه المستشرقون وأصدقاؤهم فاتهموه بأنه كتاب فقه لا كتاب حديث .

ولئن كان حديثنا السالف عن الإمام مالك ومنهجه ، وعن الموطأ وقيمه ، ودرجته ، وعناية العلماء به يكفي في التعرف على رد تلك الشبهة بيد أننا نريد أن نوقف الفكر الإسلامي في أندونيسيا على أمثلة من افتراء الاستشراق ، وأمثلة من التبعية العمياء لتلاميذه من المسلمين الذين اتبعوه بسوء ، أو من الشيوخ المسلمين الذين تكلموا بمثل كلامهم دون دراية بعظم ما يقولون ؟

١ - في كتاب الدكتور علي حسن عبد القادر ( نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ) يذكر في ص ٢٤٤ - ٢٥٢ : أنه لا يمكن أن

يعتبره — أى الموطأ — أول كتاب كبير فى الحديث رغم ما له والمؤلفه الإمام مالك من مكانة فى الإسلام ، لأنه لم يعتبر فى الأصل كتاباً فى الحديث ، إذ ليس غرضه الإتيان بالأحاديث الصحيحة فحسب بل غرضه النظر فى الفقه والقانون ، والعادة ، والعمل حسب الإجماع المندى المعترف به ، ومن هنا نرى : أن مالكاً لم يكن جامعاً للحديث بل كان شارحاً للأحاديث من وجهة النظر العلمية أ . هـ .

وملخص كلام السيد — الدكتور — أمران :

الأول : الموطأ كتاب فقه لا كتاب حديث .

الثانى : مالك فقيه وليس محدثاً .

ومن وجهة النظر العامة — مع الاحترام للسيد الدكتور — نقول :

إن هذا الكلام يتجاهل طبيعة المنهج والتدوين للسنة فى ذلك العصر فقد دأب الصحابة والتابعون على إرداف السنة والقرآن بالتفسير أو الرأى الفقهى الخاص .

كما أنه تغاضى عن إجماع الشيوخ الذين عرض عليهم مالك كتابه الموطأ فواظطوه على أنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما أنه إجحاف بقيمة حرص الدولة على الحفاظ على السنة عندما كاف أبو جعفر المنصور — بكتاب رسمى — الإمام مالك أن يجمع له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بعد هذا فإن الموطأ يرد على هذه الشبهة :

١ — إذ فيه الإسناد لأبى جنيقة ، وأبى يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وكلهم أئمة فقهاء مجتهدون ؟

٢ — والأوزاعى يزوى عن مالك ، وهو إمام معروف فى الفقه ، والإمام لا يروى عن الإمام مذهباً وإنما يروى حديثاً ؟

٣ - والشافعي يأخذ عن مالك ويقول : ما أعلم في الأرض كتاباً في العلم أكثر صواباً من كتاب مالك .

وأجاب ابن الصلاح بأن مقالة الشافعي قبل أن يظهر البخاري ، ففي المقالة دليل على أن الموطأ كتاب سنة لا كتاب فقه .

٤ - وعناية الأمة به تداولا ونسخاً متعددة تصل إلى الثلاثين (٣٠) وشرحاً وتوضيحاً : مطولا ، ومختصراً على نحو ما جفأت ، يدل بأثره وجهوده على أن الموطأ كتاب حديث خالص لا كتاب فقه ومذهب ، وما يتصوره السيد الدكتور أنه جاء ميبوياً على أصول الفقه فهو منهج في التدوين كما فعل البخاري من بعده ، وذلك لا يعد في أسلوب العلم والبحث دليلاً على أن الموطأ كتاب فقه . ومثل هذا الضنيع فعل الترمذي وكذلك أبو داود .

إنها المقالة غير واعية تريد أن تطيح بأصل السنة ليبقى التشريع في الإسلام مشطور الأساسين فيعود الشرق الإسلامي فقيراً كما عاش الغرب المسيحي حياته كلها مسكيناً حتى علمناه نحن الحياة !

وأما النقطة الثانية : أن مالكا كان فقيهاً ولم يكن محدثاً : فهذا هو إدراك النعامة تدس رأسها في الرمال حتى لا يراها الناس ، فمن ذا الذي يستطيع أن يطمس حقائق التاريخ ، وينكر أن مالكا كان علماً في التحديث بالمنهج والتقوى ؟ .

لم يكن مالك محدثاً في العراق ، أو مصر ، أو الكوفة ، أو الشام . . . ولكن كان مجلسه عند ملتقى قلوب المسلمين والحجيج في الروضة النبوية يسمع منه كل حاج ، وكل غاد ورائح ، ولم يكن كذلك فحسب بل كان لمجلس حديثه نظام خاص في لباس الإمام وتعطره . . . ولقد ضم مجلسه : الرفاق في العير ، قبل التلاميذ ، بل كان معهم الشيوخ ، جلسوا يستمعون منه الحديث .

وأما أنه أردف الحديث بالفقه فذلك عمل قام به من قبل عبد الله ابن مسعود ومثله خلق كثير من العلماء السابقين ؟

وأما أنه اعتمد على المراسيل فذلك لأن مذهبه صحة الاحتجاج بها مع الشهادة له بأنه كان شيخاً متيناً في نقد الرجال والإسناد ، وقد سمعتم آنفاً مقالته : ربما جلس إلينا الشيخ فيحدث جل نهاره ما نأخذ عنه حديثاً واحداً ، لا يؤخذ العلم عن أربعة . . . إلخ .

يقول سفيان بن عيينة : « كان مالك لا يبلغ من الحديث إلا صحيحاً ، ولا يحدث إلا عن ثقات الناس » .

وقال يحيى بن سعيد القطان : « كان مالك إماماً في الحديث » .

فلذا قبلنا طبعاً في مالك فقد قبلنا الطعن في السنة الإسلامية والشاهدين لها من كبار العلماء ، وكنا قد ساهمنا في تقبل كلام التجاهل على أنه علم ، فنذب في حق الدين ، بل وفي حق العلم ، بل في حق العقل ، بل في حق وجودنا نحن كمسلمين ، ومن هنا تدركون أمثلة ذلك اللون من تلاميذ المستشرقين الذين يودون بجمع الأنف تشويش الثقافة الإسلامية ، وهدم كيان مصادرها الأساسيين : القرآن ، والسنة .

فخذوا حذركم ، وجهزوا أسلحتكم ، أعد الله بكم للمعتدين على الإسلام : ثقافة ووطناً ، ومجتمعاً حراً عظيماً ، ونصركم نصراً مبيناً .

ومن الشيوخ الذين اتبعوا نهج تلك المقالة مع حسن القصد :

فضيلة الشيخ أحمد الشرباصي في كتابه ( الأئمة الأربعة ) ص ١١٧ يقول الشيخ « . . . وينبغي أن يلاحظ أن كتاب الموطأ ليس كتاب حديث بالمعنى المؤلف لكتب الحديث ، بل هو كتاب فقه فقد كان هم مالك فيه أن يبين إجماع أهل المدينة » اهـ .

في هذه الفقرة مسألتان :

الأولى : أن الموطأ ليس كتاب حديث .

الثانية : أن هم مالك تبين إجماع أهل المدينة .

أما النقطة الأولى : فهي خطأ تاريخي ، وعلمي ، وقد ناقشناها سالفاً في حديثنا مع رأى السيد الدكتور .

وأما النقطة الثانية : فإن الشيخ الشرباصي نفسه لا يوافق عليها في ص ١٠١ إذ يقول : وقد يظن ظان أن مالكا بسبب تقييده بالحديث ، وعدم خروجه عليه في الإفتاء كان يحجر واسعاً في مصادر الفقه الإسلامي ، وهذا الظن يقع في غير موضعه ، لأن مالكا يأخذ في اعتباره مصادر كثيرة لفقه : ١ - القرآن في الطليعة .

٢ - ثم هو يعتبر السنة النبوية المصدر الثاني في التشريع .

٣ - ثم يأخذ مالك بفتوى الصحابة لأنهم السابقون .

٤ - وكان يأخذ بالإجماع ، ويقصد به ما أجمع عليه أهل الفقه والعلم .

٥ - وكان يأخذ بعمل أهل المدينة لأن الناس تبع لأهل المدينة الأوائل ص ١١٠٢ هـ .

فيشهد على نفسه أن مالكا قدم على عمل أهل المدينة : القرآن والسنة ، وفتوى الصحابة وإجماع العلماء .

فما هو معنى «هم مالك إظهار إجماع أهل المدينة في الموطأ؟» على أن الشيخ يقول ص ١١٦ وهي المقابلة للصفحة التي يذكر فيها أن هم مالك إظهار إجماع أهل المدينة يقول : « وكان مالك يختار المجمع عليه ، وينقد الرجال نقداً دقيقاً عميقاً فهو مثلاً يقول : لا يؤخذ العلم من أربعة . . . »

بل إن الشيخ ليقول في نفس الصفحة أسفل الدعوى : « وبعد مالك في موطئه شارحاً للأحاديث من وجهة النظر العلمية . ولم يخل الموطأ من استخدام مالك للرأى عندما لا يجد الحديث » .

فهو يعترف بأن الموطأ كتاب حديث وأن مالكا لم يخله من رأى فقهي ، ومعنى لم يخله : أنه في بعض الأحيان كان يذكر رأيه الفقهي إثر الحديث ، وهو صنيع قديم متوارث عن الصحابة والتابعين .

وبعد : فلأني أعتقد أن مقالة الشيخ الشرباصي مقالة غير سيئة ولكنها اشتركت في اللفظ والمفهوم مع مقالة السوء من الاستشراقين ، فأردت أن أضع لكم مثالين :

١ - مثال مقالات المستشرقين ، وأحفادهم .

٢ - مثال الشيوخ الأبرياء الذين يتوسعون في العبارة فتضر الدين ، بله اصطدامها مع ما يذكرونه أولاً وأخيراً .

ولإني هنا فقد تسلمت أول حركة رسمية : للسنة : تدويناً ، وتحديثاً ، ووقفتم على جهود العلماء المختلفة لتحملوا من بعدهم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال عليه السلام : « نصر الله امرأ سمع مقالتي فحفظها ووعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع » .

وفي المدينة المنورة إلى جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم مالك روحه إلى بارئها في الرابع عشر من ربيع الأول عام تسع وسبعين ومائة ١٧٩ هـ ، ودفن بالبقيع بعد أن أدى الأمانة ، وصان السنة ، ونصح للناس أجمعين .

رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الإسلام والمسلمين رفيع الدرجات ٥

# الإمام أحمد بن حنبل

ومسنده

( أ ) حياته :

هو : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي وطناً، ولد في بغداد عام ١٦٤ هـ ، ومات والدته وهو صغير حتى أن الإمام لا يذكر أنه رآه ، وكانت شهرته باسم جده لأن جده كان والياً على سرخس ، وكان والده مجاهداً في جيوش الفتح الإسلامي أيام الأمويين ، وللناس صابة بالحكام أكثر من الجند، وللحكام شهرة بين الناس أكثر من غيرهم ..

وقد نشأ ابن حنبل في ظل حياة خشنة فقيرة : ولكنه مع هذا امتاز بثلاثة أمور :

الأول : أنه كان عفيف النفس ، على الهمة ، لا يقبل الهدايا مع حاجته ، ويرفض العطايا مع فقره ، وكان يتأني بنفسه على كل متعة فيها شبهة ، وهذا الفقر لم يدفعه إلى الكسل ، بل تطلب الرزق من إيزازه الحلال ، فعمل في ( الحياكة ) ، ( والتدوين للناس ) ، وطرق كل باب شريف في العمل، ورضى بما قسم الله له في حياته، دون ما نظر لما في أيدي الناس ، فكان سليم القلب ، نقي السريرة ، حامداً لله شاكراً لنعمه .

الثاني : أن فقره لم يمنعه من طلب العلم بل جاهد في تحصيله على قسوة الحياة وقلة الزاد ، وسوء الراحة ، فيروى أنه حج خمس مرات أدى ثلاثاً منها ماشياً على قدميه ، ويروى أنه لما رحل إلى الكوفة يطلب العلم فيها كان يتام في بيت وتحت رأسه حجر ، وفي سفره إلى اليمن لطلب العلم اشتغل مع الحماليين ليرتق حلالاً من عمله وعرقه ، ورفض أن يستام معونة من الناس :

الثالث : أنه ارتفع على القيم المادية وجابه الدولة العباسية التي أرادت أن تفرض عليه مسألة خلق القرآن ، وصبر على محنة العصية التي أثارها



الفارسيون ، بالجهل المتصعب أربعة عشر عاما ، وهو موقف فذ فريد لابن حنبل ، إذا درس ، بالإضافة إلى حياته الخشنة ، تقرر عند الباحثين أن أول ميزة في العالم الإسلامي احترامه لشخصيته واحتفاظه بها بعيداً عن القيم المادية وتمسكه بالحق مهما كان فقره ، ومهما كان الأذى الذي يناله ، وأن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسرا .

### (ب) مكانته في السنة :

#### ١ - الدرس :

لم يكن حظ الإمام المحتسب الجليل الورع الراضى أحمد بن حنبل مع الشيرخ قليلا ، فرغم قلة ما في اليد وبعد الشقة ، فقد رحل الشيخ إلى : مكة ، والمدينة والشام ، واليمن ، والكوفة ، والبصرة والحجاز . . يروى أن أحداً من أصدقائه العارفين أحواله تعجب من كثرة أسفاره مع قلة المال ، فقال له : مرة إلى الكوفة ، ومرة إلى البصرة . . إلى متى ؟

في هذه الأسفار التقى الإمام الجليل بشيوخ العلم الأئمة المحافظين على الدين سلوكاً ، في حياتهم الشخصية ، ونقلوا إلى الأمراء ، والحكام والرعية فأخذ عن :

هشيم بن بشير بن أبي حازم الواسطي طوال أربعة أعوام أو تزيد وكتب عنه أكثر من ثلاثة آلاف حديث ( ٣٠٠٠ ) وقد كان هشيم تقياً ورعاً ، وإماماً محدثاً ، أميناً . روى عنه الإمام مالك كما سمع هو من كثير من الأئمة .

كذلك أخذ ابن حنبل عن عمير بن عبد الله بن خالد ، وعبد الرحمن ابن المهدي ، وأبي بكر بن عياش .

ومن الأساتذة الأوائل الذين تلقى عنهم أحمد بن حنبل الشيخ صاحب أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي أحد أئمة الفقه الحنفي والتلميذ الأول للإمام المعظم أبي حنيفة النعمان ، تلقى عنه الفقه والحديث .

كذلك أخذ ابن حنبل عن : إبراهيم بن سعد ، ويحيى القطان ، ووكيع وسفيان بن عيينة صديق كريم للإمام مالك بن أنس ، وتلميذ من تلاميذه .  
وإن كان ابن حنبل لم يدرك الإمام مالك فقد عرّض بسفيان بن عيينة ،  
يروى أنه قال : فأنى مالك بن أنس ، فأخلف الله على سفيان ابن عيينة .  
كذلك أخلف الله عليه بالعارف الفقيه المحدث الورع الإمام الشافعي  
الذي يعتبره العلماء المتخصصون الأستاذ الثاني له بعد هشيم ، وقد التقى به  
الإمام أحمد بن حنبل مرتين :

- مرة في الحجاز عند الحج ، شهد مجلسه في المسجد الحرام .
- ومرة في بغداد .

فأخذ الفقه من تلك الكثرة الكثيرة من العلماء المخلصين ، وكذلك الحديث حتى صار لقبه : إمام الدنيا ، عالم السنة ، فقيه العراق ، وقد سن الإمام أحمد بن حنبل طريقة جديدة في الجلوس إلى التدريس فلم يشأ أن يعقد له مجلس وهو دون الأربعين : سن الاستواء ، والاتزان والهيبة ، وهو لكانما يتأسي في ذلك بسن النبوة عند البعث .  
وكان له درس خاص ودرس عام :

أما الدرس العام : فكان في المسجد الجامع ببغداد ، وقد ذكر المحنيون بالأحداث لأصحاب التراجم أن درس ابن حنبل كان واسع الأبعاد ، يحضره ما ينيف على خمسة آلاف ٥٠٠٠ ، منهم طالبو العلم ومنهم طالبو الموعظة ، ومنهم طالبو الخلق والتأدب . ومنهم طالبو الفقه والأحكام .  
وكان يسود مجلسه مع اتساعه الوقار والهدوء والسكينة ، والجد والاحترام .

وأما درسه الخاص فكان في منزله للخاصة الذين لهم مطالب معينة تجاه السنة والحديث .

## ٢ — أقوال العلماء فيه :

يقول أبو داود السجستاني : لقد لقيت مثني من مشايخ العلم فما رأيت مثل أحمد بن حنبل ولم يكن يخوض في شيء مما يخوض فيه الناس من أمر الدنيا ، فإذا ذكر العلم تكلم .

ويقول النووي : هو الإمام البارع المجمع على جلالته وإمامته وورعه وزهاده وحفظه ووفور علمه وسيادته .

ويقول أبو عبيد : انتهى العلم إلى أربعة : أحمد بن حنبل وهو أفتهم فيه ، وعلى بن المديني ، وهو أعلمهم به ، ويحيى بن معين وهو أكبرهم له ، وأبي بكر بن أبي شيبة وهو أحفظهم له .

ويقول إبراهيم الحربي : أحمد بن حنبل كأن الله عز وجل جمع له علم الأولين من كل صنف .

ويقول أبو زرعة : ما رأيت من المشايخ أحفظ من أحمد بن حنبل .

#### ( د ) آثاره في السنة :

١ - كان زمن الإمام ابن حنبل يحتاج إلى إرادة قوية تتمسك بالحق ، وتدافع عنه ، وقد كان الإمام بمنحة الله له هو الأمين على تراث السنة الإسلامية ، يقول الإمام معبراً عن ثقته ومنافحاً عن السنة . . .

وجعل الله رسوله الدال على ما أراد من ظاهره - أي القرآن - وباطنه ، وخاصه وعامه ، وناسخه ومنسوخه . . . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعبر عن كتاب الله الدال على معانيه ، وشاهده في ذلك أصحابه الذين ارتضاهم الله لنبيه واصطفاهم له ، وتقلوا ذلك عنه فكانوا أعلم الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما أراد الله من كتابه بمشاهدتهم ، وما قصد له الكتاب ، فكانوا هم المعبرون عن ذلك بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . . . إلخ .

ومن هذا النص ندرك :

١ - ثقة ابن حنبل في السنة ، وإيمانه بوظيفتها .

٢ - ثقته في حامل السنة من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولذلك شد ابن حنبل على يديه بالسنة وعرض عليها بالنواجد حتى أنه ليقبل الحديث الضعيف - غير الموضوع - إذا لم يتعارض مع قواعد العقيدة ، وأصول التشريع .

وهنا يُجدون نص المُهْج في عبارة الشيخ نفسه يقول :  
إذا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام  
والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد ، وإذا روينا عن النبي صلى الله  
عليه وسلم في فضائل الأعمال ، وفيما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا  
في الأسانيد .

ومفهوم هذا النص :

١ - أن الإمام في مجال التشريع لا يقبل الضعيف من الأحاديث  
ويتشدد في نقد الرجال وتمحيص الإسناد .

٢ - وأنه في مجال الأخلاق ، والوعظ والتهذيب يتساهل فيقبل  
الضعيف إذا كان لا يتعارض مع حقائق الدين .

وكان ابن حنبل يتجشم كثيراً من المتاعب والمشاق في تحصيل الحديث ،  
فقد اهتم بالحديث ثلاثي الإسناد فسمع عن حديث « من قطع رجاء من  
ارتجاه إليه قطع الله رجاءه يوم القيامة » ، وكان المحدث بالشام ، فسار  
إليه حتى وصله ، فأقرأه السلام فرد عليه المحدث ، ولكنه مضى في إطعام  
كلب أمامه ، وبعد أن انتهى قال : لعلك وجدت علي في نفسك ؟ فأجابه  
أحمد : نعم ، فقال المحدث : إن أرضنا ليس بها كلاب وقد قصدني هذا  
الكلب من بعيد ورجاني أن أطعمه وأسقيه فأجبت له رجاءه لأنني سمعت  
من أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال : من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة .

فابتسم ابن حنبل وقال : يكفيني هذا الحديث ، وعاد إلى بغداد .

وبمثل هذه الروح والعزيمة والإخلاص تحمل الإمام ابن حنبل المشاق  
ليجمع السنة ، وإنكم لتجدونه يصرح بأوصاف العالم الذي يحق أن يتحدث  
في شئون الحديث ، فيقول : من لم يجمع علم الأحاديث وكثرة طرقها ،  
واختلافها لا يحل له الحكم على الحديث ، ولا الفتيا به .

ومن هنا تدركون أن الأدعياء من حديثي التخرج الذين يتلهون بمتع  
الحياة التافهة ويفرحون بطعونهم في السنة كأراء جديدة جرياً وراء عمى

المستشرقين ، أولئك القوم حقراء في نظر الحقيقة العلمية ، وجهلاء في نظر البحث العلمي المقنن ، وأغبياء في نظر التاريخ الذي حفظ لسنة الإسلام وحدها :

١ - جودة مصادرها .

٢ - منهج التدوين العلمي لها .

٣ - انفرادها وحدها بأصول النقد العلمي الصحيح .

٤ - أمانة حاملها وعلمائها ، علماً وعملاً ، دون ما مال يراد أو جاه يرتجى .

ولعلكم بهذا ترفعون صوت الحق لتختفي همسات الباطل التي تشوش على الحق الأمين .

٥ - وأضاف ابن حنبل خطوة جديدة في منهاج التحديث وهي قيد العلم بالكتابة ، وعدم الاعتماد على الحفظ فقط ضماناً لصيانة السنة كما رويت ، وسمعت ، وحفظت .

يروى أن الإمام قال لتلميذه علي بن المديني : « لا تحدث إلا من كتاب » ، وهو أمر للتدريب على الأمانة والدقة في حفظ العلم والحديث ، كذلك يحدث عنه جلساؤه : أنه كان إذا أُملي حديثاً لا يعلمه إلا من كتاب وإن كان حافظاً ، وكان يقول : « الكتاب أحفظ شيء » .

وبهذه الأمانة والتثبت وصل إلينا كتابه « المسند » بعد حرص أمين دقيق من عالم مهذب ورع مؤدب غفيف مجاهد محتسب .

( هـ ) الراوون عنه :

من الحلقة الواسعة التي كان يعقدها الإمام ابن حنبل في المسجد الجامع ببغداد ، ومن حلقاته الخاصة في منزله تخرج علماء لهم دين متين وخلق قويم ، وعفاف طاهر ، ولسان صدق ، ويد نظيفة ، وجرأة مؤدبة من أجل الحق لله ، ومن تلك الطلائع جبهة الأفتاد الذين مكثوا من بعد أستاذهم الرائد للسنة المكان الرفيع ، وأولئك هم :

- ١ - الإمام الشاب محمد بن إسماعيل البخارى :
  - ٢ - الإمام مسلم .
  - ٣ - أبو بكر أحمد بن محمد بن هانى .
  - ٤ - أحمد بن محمد الحجاج المروزى .
  - ٥ - إسحق بن إبراهيم ( ابن راهويه ) .
  - ٦ - حنبل بن إسماعيل .
  - ٧ - عثمان بن سعيد الدارمى .
  - ٨ - أبو حاتم الرازى .
  - ٩ - أبو زرعة .
  - ١٠ - موسى بن هارون .
- وغيرهم كثير : لهم خلق وفضل ودين ، وباع طويل طويل . . . إلخ .
- ( و ) شخصيته :
- مجاهدة الباطل ، ومقاومة الإفك ، انتقلت من النقد الكلامى إلى التحدى والجلد ضد حقارة الجهلاء من الحاكمين الذين يرغمون العلماء بالسوط على تقبل أهوائهم فى الدين والعقيدة والشرع بما لم ينزل الله به من سلطان ، ولئن كانت وقفنا على مقالة الزهرى التى وجهها فى عنف إلى الخليفة هشام بن عبد الملك - لا أبالك - . . . إلخ ، فإن مقالة السوء التى ابتدعها وزير المأمون أحمد بن أبى داود المعتزلى ( خلق القرآن ) ، وأراد أن يحمل عليها العلماء حملاً يلغى عقولهم ، ويوهى عقيدتهم ، قد تصدى لهم الإمام أحمد بن حنبل الجلد القوى المتين فى الحق والدين من أول لحظة ولدت فيها تلك المقالة الآثمة عام ٢١٨ حتى عام ٢٢٣ هـ . حين تولى المتوكل وأزال عار المأمون والمعتصم والواثق الذين أرغموا العلماء بالسوط والسجن فى مسألة لا حيلة للعقل أن يفهمها أو يضع فيها حكماً ما دامت لا تتصل بقضية فى الشريعة أو فى العقيدة ، وليس لها فى الإسلام : قرآناً ، وسنة دليل على ذاتها بالقدم ، أو الحدوث ، ولم يسمع للصحابة كلام فى هذا الاختلاق ؛

وإنكم لتجدون صلابة الإمام لم تكن من قبيل التعصب للرأى أو مجابهة رأى شخصى برأى مثله ، بل كانت مجابهة الباطل بحقيقة الدين فيما تقرعونه من مساجلة بينه وبين المعتصم حين سأله : ما تقول فى القرآن ؟ فأجاب الإمام : هو كلام الله ، فسأله أخرى : أخلق هو أو قديم ؟ فإرد الإمام : هو كلام الله ، ويصر على أنه كلام الله ، فإمر المعتصم به فيضرب حتى يخر مغشياً عليه ، ثم يرمى فى السجن .

كلمة الإمام ابن حنبل « هو كلام الله » كلمة عالم منهجى دقيق فاحص نير العقيدة قوى الإيمان شديد التمسك بالأثر النبوى ، لأن المسألة جديدة وليس فى القرآن نفسه حكم بأنه قديم أو حادث مخلوق .

ولم يتعرض واحد من الصحابة ليسأل مثل هذا السؤال ، أو ليجيب على مثل هذا السؤال . ؟

والإجابة على القرآن بالقدم أو الحدوث تحتاج إلى دليل ، ولا دليل فيه ولا فى السنة على أحد الحكمين . وبهذا قدم ابن حنبل رداً علمياً شافياً ابن له عقل وبصيرة ، ولكن المعتصم ، ومن لف لفه من الخبثاء قابلو المنهج العلمى بالسياط وزحمة الحديد ، وهى مسألة تعطينا فكرة عن قيمة شخصية الإمام الذى استمسك بالحق الذى آمن به فى لحظة عجزت الدولة عن فهم إجابة العلماء ، فتهورت وثارَت أعصابها ، واستعانت بالحديد والنار ليغيروا من مسلك التلماء ، فتحداهم إيمان ابن حنبل ، وكان قلبه أقوى من الحديد ، وكان جلده أمتنع من الفولاذ . وإذا قيس هذا الموقف مع فقر الشيخ وحاجته أدركنا أن أحمد بن حنبل كان إماماً للعلماء يعطى الدليل على قيمة العالم :

أنه رائد ينبغى أن يقدم للحق أكثر مما يأخذ ، وأن يتحمل فى سبيله أذى الجلد ولذة الإيمان . لقد كان الإمام أحمد ابن حنبل رضى الله عنه قائداً للشخصية العلمية :

- فى المنهج .
- وحمل الرسالة .
- وطهارة اليد والضمير .
- والجلد والصبر على الأذى .

حتى كان عامل تركيز للشخصية العامة الإسلامية ، فقويت به قلوب الجماهير على بغض نظام الفسوق والاعتداء على الحق ، وزادته قيمة يعتز بها الإسلام على طول التاريخ ، ويزكيها الشافعي بقوله :

« خرجت من بغداد وما خلفت فيها رجلاً أفضل ولا أعلم ولا أروع ولا أتى من أحمد بن حنبل » .

فجزاه الله عن الإسلام والحق والقرآن والسنة والعلم والعقل الخير الكثير .

## المسند

١ - من الآثار الجليلة التي ورثها الإمام ابن حنبل للأمة الإسلامية كتابه ( المسند ) . فقد أجزل الفائدة والبركة على السنة الإسلامية من ناحية تطهيرها من تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وهو أول كتاب ، وثمره للنشاط الأهلي الشعبي تجاه خدمة السنة ، دفعت إليه البواعث الدينية المخلصة وحرصت عليه الذمة الأمانة الواعية ، ودونته الأخلاق العفيفة المتوثبة الزاهدة الورعة المتشددة في الحق التي لا تلين قناتها لحفاظ الغنى والسطو والظلمات .

ولكأنما الإمام ابن حنبل بهذا العمل الجليل قد دعا لكل نشاط أهلي يقدمه الأفاضل في الأمة الإسلامية إلى دينهم بالبركة والفلاح والنفع العميم .

فما زالت الحياة حتى وقتنا هذا تشهد جلائل الخدمات للدين من الجماعات التي قوى في دمها وضميرها وقلبها حقيقة الإسلام فقدمت أموالها تبني لأبناء الإسلام : المدارس والمعاهد والمصانع والمستشفيات ومدارس تحفيظ القرآن ، وسوف يبارك الله في هذه الجهود كما بارك بالمسند في السنة المطهرة .

٢ - وعلة تسميته بالمسند : أن الإمام ابن حنبل اتخذ له أسلوباً جديداً في جمع السنة وتلويها :

١ - تخليتها من آراء الصحابة ومأثورات التابعين .



٢ - نُجريدُها من الأحكام الفقهية والتفسيرات اللفظية .

٣ - إسناد كل أحاديث الراوى إليه جملة واحدة :

فهو مثلاً : يقسم المسند إلى : مسند أبى بكر ويذكر فيه كل ما ورد عن أبى بكر رضى الله عنه غير مراعى أبواب الفقه أو العلم ، فيذكر له على ما قاله العلماء ٨١ حديثاً .

ثم يذكر الأحاديث التى رواها عمر بن الخطاب فيسند إليه ٣١٠ ( ثلاثمائة وعشرة أحاديث ) .

ثم يذكر أحاديث عثمان بن عفان ويسند إليه ١٦٣ حديثاً . . . وهكذا يذكر الراوى ثم يسند إليه كل ما رواه من أحاديث ، فسمى ذلك ( المسند ) أى : الكتاب الذى أسندت فيه مرويات كل محدث إليه جملة واحدة .

٣ - درجته : يروى أبو موسى المدينى تلميذ الإمام المحتسب ابن حنبل أن المسند كله حجة وما فيه إلا صحيح مستدلاً بقول شيخه : « ما اختلفتم فيه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا إليه ، فإن وجدتموه وإلا فليس بحجة »

وقال قوم : فيه الصحيح ، والضعيف ، والموضوع ، ومن أولئك القوم الذين ذهبوا إلى هذا رأى ابن الجوزى فقد ذكر فى موضوعاته ٢٩ حديثاً .

ولكن الحق الذى يجب أن يتثبت منه العلماء هو : هل لمثل شخصية أحمد بن حنبل الورعة الأمانة الفاحصة أن يدخل عليها حديث موضوع ؟

١ - لقد كان الرجل زاهداً غاية الزهد حتى أنه ليرد المنع مع حاجته ليعمل ويكتسب لا من أجل أن يعيش بل من أجل أن يرتحل إلى طلب العلم .

٢ - وزاوج بين الحفظ والكتابة فيما رويناه أنه يقول : « لا تحدث إلا من كتاب » و « الكتاب أحفظ شئ » .

٣ - أنه ما كان يقبل الحديث إلا بعد التثبت وتمحيص الإسناد وقد سمعتموه يقول فيما رويناه: « من لم يجمع علم الأحاديث وكثرة طرقها واختلافها لا يحل له الحكم على الحديث ولا الفتيا به » .

٤ - إن الرجل لم يجلس للدرس وتبليغ الرسالة إلا بعد أن استأنس عمره برفقة الأربعين ، عندما صح العزم ، واستحصد العمر ، وقويت الهمة ، واكتملت المعارف وضوحاً ودقة .

٥ - وأنه رد حديث « لأن يؤدب الرجل ولده أو أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع » ، لأن في سنده ناصحاً ، وهو ضعيف في الحديث .

فكيف يتصور العقل العاقل وجود حديث موضوع في مسند المحتسب ابن حنبل ؟

إذا لابد من البحث عن حقيقة الأمر فيما يتفق مع الحق وجهود الشيخ ومنزلته .

وإنكم لترون الحقيقة : أن الحديث الذي وجد موضوعاً في المسند لم يكن من عمل الشيخ نفسه ، وإنما كان ذلك من عمل رجل آخر .

فروى أن الإمام أحمد بن حنبل قد توفى والمسند بعد لم يرتب فقد تركه أوراقاً منفردة . وأن ولده عبد الله ، وتلميذ الإمام أحمد بن حنبل أبا بكر القطيعي قد أضافا إلى المسند أحاديث لم يكن لها جودة التمحيص الذي جمع به الإمام المسند ، فلما فحصها العلماء وهاها قانون ضبط السنة بقواعده المتينة ، ونحن لا نستطيع أن نحمل الإمام تبعة هذه الفعلة ، كما أننا لا نغني ولد الشيخ عبد الله وتلميذه أبا بكر القطيعي من فحش ما فعلوه ، خاصة : وقد قدم الإمام نصيحته إلى أولاده الثلاثة : صالح وعبد الله وحنبل فيما يرويه حنبل عن أبيه الإمام : قال جمعنا أحمد بن حنبل ، أنا وصالح وعبد الله وقرأ علينا المسند وقال لنا : هذا الكتاب جمعته وانتقيته من أكثر

من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفاً ( ٧٥٠.٠٠٠ ) فما اختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا إليه فإن وجدتموه . . . وإلا فليس بحجة .

فالشيخ ألزم أولاده بما في المسند ، ولم يسمح لهم بالزيادة عليه ، وأخبرهم أنه انتقاه من ٧٥٠.٠٠٠ فما كان ينبغي لعبد الله أن يضيف حديثاً واحداً ، وإنما كان ينبغي أن يرجع إلى المسند إذا اختلف المسلمون في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا كان في المسند فهو صحيح ، وإلا فليس بحديث .

ومن هنا نترك أن المسند صحيح كما قال الشيخ ، وإنما زيادات ولده التي لم تتل قسط التحييص هي التي سببت ذلك الشك وهي ليست من المسند في شيء .

وكذلك أمر أبي بكر القطيعي ، فقد أدخل على المسند بغير إذن الشيخ أو منهجه ، مخالفاً أمره لطلابه : ( لا تحدث إلا من كتاب ) ، فالشيخ أجاز له التحديث بشرط أن يكون من كتاب لا من حفظ واستظهار ، وقد أمر بذلك وفعل ذلك تدريباً لهم ، ولكن القطيعي تجاوز الإجازة ، واستباح لنفسه الزيادة فعاد يأثم ما فعل ،

يقول ابن تيمية في منهاج السنة « لا يروى من المعروفين بالكذب عنده ، وإن كان في ذلك ما هو ضعيف ، ثم زاد عبد الله بن أحمد زيادات منكراً على المسند ضمت إليه ، كذلك زاد أبو بكر القطيعي ، وفي تلك الزيادات كثير من الأحاديث الموضوعة فظن من لا علم عنده أن ذلك من رواية أحمد في مسنده » .

ومن هنا تستوضحون أن الحكم على حديث في المسند بأنه موضوع رجماً بالغيب ، وخبط عشواء ، وبعداً عن المنهج العلمي الواعي الدقيق . ولذا فنحن لا نوافق على تفسيرات الحافظ العراقي لكلمة الإمام أحمد ابن حنبل . . « وإلا فليس بحجة » يعني أن ما ليس فيه ليس بحجة لا أن كل

كل ما فيه حجة ، لأن الإمام مع كونه محدثاً فهو فقيه محتاط مدقق وقد علمتموه يقول :

إذا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا في الأسانيد ، وإذا روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضائل الأعمال وفيما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا .

ومن هذا النص ترون :

١ - أن ليس في المسند حديث واحد موضوع .  
٢ - وأن الأحاديث المتعلقة بالتشريع قوية مبحوثة كل أسانيدها بدقة .

٣ - وأن أحاديث الوعظ والإرشاد وترقيق القلوب متساهل في بحثها لأنها لا تضر التشريع ولا تتعلق به ألبتة .  
وهذا إن أفاد وجود حديث ضعيف فإنه لا يقوى أن يكون دليلاً على وجود حديث موضوع .

ولذلك فنحن نميل إلى الذي قاله ابن تيمية ، والسيوطي والذهبي ، وابن حجر ، من أن المسند فيه الصحيح والضعيف والذي يقرب من الحسن . ومقصودنا من هذا المسند : الكتاب الذي انتقاه الإمام مجرداً من إضافات ولده عبد الله وتلميذه أبي بكر القطيعي .

وأن الصحيح في المسند خاص بإحكام التشريع .  
وأن الضعيف خاص بالأخلاق والآداب والمواعظ كما نص الإمام على ذلك في أقواله .

يقول الشافعي رضي الله عنه : خرجت من بغداد وما خلفت فيها رجلاً أفضل ، ولا أعلم ، ولا أروع ولا أتقى من أحمد بن حنبل . فكيف بواحد من بعد الشافعي يجرؤ وهو ساهم العقيدة مؤدب المشاعر فيهم ابن حنبل بتقبل الحديث الموضوع ؟

ولئلا هي قراعد البحث التي تجنب الإنسان الخطأ أو توقعه في الشبهات وما ينجو منها إلا المخلصون ، وقليل ما هم .

## عناية الأمة بالمسند وعدد أحاديثه :

### ( أ ) عدد الأحاديث :

١ - فيما ينقله لنا الشيخ الجليل محمد الطيب النجار عدد أحاديث المسند ثلاثون ألفاً منها ثلاثمائة حديث ثلاثية الإسناد بين راويها وبين النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة محدثين :

٢ - وفي رواية الدكتور السباعي أربعون ألف حديث منها عشرة مكررة تخبرها الإمام أحمد بن حنبل من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألفاً ، كان يحفظها .

رواية الدكتور السباعي لا تختلف مع رواية الشيخ الدجار لأن الزيادة كانت من تكرار الأحاديث التي اتفق رواها في المسانيد .

### ( ب ) اهتمام العلماء به :

وقد نال المسند حظاً وافراً جليلاً من اهتمام العلماء به :

١ - فقد تحدث عن خصائصه : الشيخ أبو موسى المديني تلميذ الشيخ ابن حنبل في كتابه خصائص المسند . ومما قاله : وهذا الكتاب أصل كبير ، ومرجع وثيق لأصحاب الحديث انتقى من حديث كثير وموسوعات وافرة فجعله صاحبه إماماً ومعتمداً ، وعند التنازع ملجأً ومستنداً .

ويقول أيضاً : ولم يخرج إلا عن ثبت عنده صدقه وأمانته دون من طعن في أمانته .

٢ - وقد جمع غريب المسند الشيخ أبو عمر محمد بن عبد الواحد وشهرته ( غلام ثعلب ) المتوفى عام ٣٤٥ هـ .

٣ - واختصره الشيخ سراج الدين المعروف بابن الملقن الشافعي المتوفى عام ٨٠٥ هـ .

٤ - وشرحه أبو الحسن بن عبد الهادي السندی المتوفى عام ١١٣٩ هـ . ويعتبره الشيوخ شرحاً وافياً كبيراً .

- ٥ - ورتب أبوابه على الموضوعات الحافظ ناصر الدين بن رزق .  
٦ - ورتبه على الحروف المبعجم الحافظ أبو بكر المقدسى .  
٧ - ورتبه على سبعة أقسام تتعلق بالعقيدة والتشريع والوعظ الشيخ  
أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا وشهرته الساعاتى فقد قسمه إلى سبعة  
أقسام :

- قسم التوحيد وأصول الدين - قسم الفقه .
- قسم التفسير . - قسم الترغيب .
- قسم الترهيب . - قسم التاريخ .
- قسم القيامة وأحوال الآخرة .

وسماه ( الفتح الربانى لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ) .

- ٨ - وقد قام المرحوم الشيخ أحمد شاكر بتحقيق وتخرىج عدة أجزاء  
من المسند، بين درجة الحديث ، وعلق على أحوال الرواة ، وقد حاول  
الدكتور الحسينى هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية تكملة عمل  
المرحوم الشيخ شاكر لكنه توجه إلى خدمة السنة بعمل آخر نسأل الله  
له التوفيق .

## الإمام البخارى

### وجامعه الصحيح

( ١ ) حياته :

هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزیه الجعفی ، إمام المحدثین ، وشيخ الحفاظین ، ولد في يوم الجمعة ١٣ من شوال ١٩٩ هـ ببخارى إحدى الجمهوريات الإسلامية في داخل الاتحاد السوفيتي حالياً وتسمى بخارستان .

توجه إلى حفظ الحديث وهو طرئ البنان غص الوحدان ، بعد أن حفلت روحه شغفاً بالحديث فدأب عليه ورحل إليه حتى طاف بأشهر الأبصار الإسلامية التي عرفت بإيوائها أفذاذ العلماء في الحديث .

يروى لنا البخارى عن نفسه فيقول : دخلت الشام ، ومصر ، والجزيرة مرتين ، وإلى البصرة أربع مرات وأقمت بالحجاز ستة أعوام ، ولا أحصى كم دخلت الكوفة ، وبغداد مع المحدثين . . .

١ - مائة علمه :

كان الزمن قد استدار فأنحرف الناس عن الجادة وانفلتت الشهوة من عقالمها تطفئ على القيم ودخل المرتزقة باسم الدين في أحضان الحياة يشترونها بالدين والخلق ، ومن كانت تلك خلته قلت همته عن البحث والعلم والمعرفة ، فلم يملك أولئك الأدعياء في نفوسهم تجاه العلماء المخلصين إلا أن يبتثوا في صدورهم حقداً وحسداً وكرهية وعداوة ، لأن العلماء يتبعون الحق والدين والخلق والشرف ، وهو أمر من شأنه أن يحقر الجهل والدناءة والانحراف والارتزاق ، وهو إلى جوار ذلك يفضح الجهل ويقصم التكبر ويفهم الكبرياء العبي ، وكان محمد بن إسماعيل البخارى عالم عصره ، وشيخ حفاظ زمانه وإمام البصرة في ضبط السنة ، واختبار الرجال والأسانيد ،

ومع ذلك فهو متين الحفظ جيد العارضة ، سريع الإدراك قوى البديهة  
واسع الحجة ، أمين السنة وسادن الحديث .

.. وكان الأدعياء المرتزقة باسم الحديث في بغداد وسمرقند قدما قد  
أزعجهم أمر البخارى الذى طبق ذكره الآفاق ، واستهوى الألباب ،  
واستحوذ على العقول والقلوب ، فاجتمعوا له في شكل مؤتمر عام  
للاختبار والامتحان ورووا له الأحاديث مضطربة الأسانيد ، فجعل  
رضى الله عنه يرد كل إسناد إلى حديثه ، ويصحح كل إسناد خلخله  
الحقد ، بسؤال الاختبار ، في رصانة العالم الوائق ، وهذوء المجرب المتمكن  
وثبات الخبير المدقق ، فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقباً ،  
فسلموا له بالفضل والشرف والرياسة والسبق والإجادة والأمانة .  
يقول محمود بن الناصر بن سهل الشافعى : دخلت البصرة والشام والحجاز  
والكوفة ، ورأيت علماءها ، كلما جرى ذكر محمد بن إسماعيل البخارى  
فضلوه على أنفسهم .

#### (ب) شخصيته :

كان البخارى رضى الله عنه شيخاً رحالة محبوب البلدان الإسلامية  
من أقصاها إلى أقصاها طلباً للحديث الذى دقق في قواعد تقبله ، فاتصل  
بالعلماء المخلصين وهم قليل ، وارتبطت صلته بحكم العمل ، بالأدعياء من  
المنتسبين للعلم ، كذلك اتصل بالولاة والحاكمين . وهذه العلاقات تقدم  
لنا مدلول شخصية الإمام البخارى ، إنها شخصية جديدة في عالم الحديث  
في عصر امتلاء بالبنفاق والمرتزقة والحكام الجاهلين ، أما العلماء القلة فقد  
وقروا البخارى ، واحتفظوا له بالسبق عليهم وشرف الأمانة ودقة التحيص ،  
وعلو القدر .

وأما الأدعياء فقد أوغروا عليه صدور الحكام ليخرجوه من بلادهم  
حتى لا يقطع عليهم شهوة الجهل التى تنلصص على حياة الناس فتسرق  
حاضر أعمارهم وتفسد مستقبل حياتهم ، وتوهي آمال ذريتهم .



١ - فعندما قهر علماء سمرقند أراد أن يتجه إلى بخارى مسقط الرأس ومنية الفؤاد ، فاستقبله شعبها المسلم بالحفاوة الجليلة وجيليل التقدير والاحترام ولما رأى الأدعياء المرتزقة اتساع درسه ، وانتشار علمه الذى يبدد الظلمات ويحيى الآمال ، ويصحح الأخطاء ، ويوقظ النيام ، ويستحث السكارى ، كرهوه وأبغضوه كما يبغض الظلم العدل والباطل الحق والفساد الإصلاح ، فوشوا به زوراً ومهتاناً عند خالد بن أحمد الزهلى فصدقهم ووقعت الوحشة بين الوالى والإمام ، فتعكر الماء لصائدى البود العاجزين على خوض النهر للرزق الحلال فضاق صدر الإمام فقال مستعيناً بالله : وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد (١) .

شخصية قوية تتحمل من أجل انفرادها بالتمسك بالحق كل أذى وتصبر لأنها تعتقد أن فساد الجيل يحتم وجود قيادة إسلامية أمينة تنفذاً للميثاق الإلهي ( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ) (٢)

٢ - وبينما هو في همه جاءه رسول من أهل سمرقند يدعوه ليرحل إليهم ، فاستجاب له ، وفي الطريق نزل على خالد بن جبريل في قرة خرنك على بعد فرسخين من سمرقند ، ولكنه يسمع أن اختلافاً شديداً قد وقع بين العلماء والأدعياء يكاد يأكل الباطل فيه الحق وتضطرم به الفتنة ، فضجر وتوجه إلى الله يدعوه : اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضني إليك ، ثم اضطجع ففاضت روحه الطاهرة إلى الله الذى استجاب دعاءه ، وكان ذلك في ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦ هـ ، ودفن بخرنك يوم العيد ، وعمره ٦٢ عاماً إلا أياماً قلائل ، فذهب إلى ربه يعطيه حتى يرضى ، وترك الحياة جيفة تلذذ بها أفواه الظالمين الأدعياء ، فلأكلوا كثيراً ولبضحكوا فسوف سيكون أكثر ، وما ألتناهم من عملهم من شيء ، وكل امرئ بما كسب رهين .

(١) غافر أو المؤمن : ٤٤ .

(٢) آل عمران : ١٠٤ .

## (ج) الجامع الصحيح : (١)

١ - من أجل ما قدمه المجاهدون في سبيل الله بالقلم والعلم كتاب الجامع الصحيح ( للإمام البخارى ) الذى شدد في شروط منهجه ، وأطال في سنى عمله فأتمه بعد ستة عشر عاماً ، أتم فيها الرحلة إلى كل مصر علمي مرة أو مرتين أو ثلاثاً من أجل البحث عن إسناد متين أو حديث صحيح .  
رحلة طوافه غايتها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ومهمتها الحفاظ على أصول الثقافة الإسلامية دون ما طلب لشهرة أو بحث عن رزق أو أمل في مركز أو وراء منصب ، وإنما حب للحق ، وصاحب الحق من أجل أمة الحق ، وجهاد في سبيل الله ، فليس في بصيرة المسلم غاية أسمى من رضوان الله ، والحديث يقول : من حفظ على أمتي أربعين حديثاً في شئون دينها ودنياها بعث يوم القيامة أمة وحده (٢) .

٢ - وقد شعر العلماء أن معركة الحق من المزورين والمشوهين والمشوشين ، والمشككين ، ما زالت قائمة وأن السنة لم تزل في حاجة إلى تصفية المعركة من الخصوم لتقدم في ثوبها الأصيل بريئة من تحريف الغالين نقية من انتحال المبطلين ، مهذبة من تأويل الجاهلين .

فسمع البخارى من شيخه هذه الرغبة وهو يقول ، فيما يرويه لنا الدكتور السباعي عن سبب اشتغال البخارى بجامعه الصحيح ، وكان قد سمع مرة من شيخه إسماعيل بن راهويه يقول لتلاميذه : لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال البخارى : فوقع ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح .

---

(١) للإمام البخارى كتب كثيرة منها : الأدب المفرد ، والتاريخ الكبير ، والصغير والأوسط ، والضعفاء ، وأسماء الصحابة ، والعلل ، والكنى ، والفوائد ، والمبسوط ، وأعمال العباد ، والقراءة خلف الإمام ... إلخ .

(٢) وفي رواية ابن النجار من حديث أبى سعيد صحيحاً « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من سنى أدخلته يوم القيامة في شفاعتي » . ولحديث ألقاظ وروايات أخرى من طريق ابن عباس .

## ٢ - منهج البخارى فى التدوين :

( ١ ) . طالع الإمام البخارى مناهج التدوين بفكرة جديدة ومسلک ورع وشروط دقيقة قاسية :

١ - فقسم كتابه إلى عدة أبواب : كتاب الصلاة ، الزكاة ، الصيام . . . إلخ .

٢ - ووضع فى كل باب الأحاديث التى وردت فيه ، وكان قبل كتابة الحديث يغتسل ويصلى ركعتين ويستخير الله تعالى فى تدوينه .

٣ - لم يقبل البخارى إلا الحديث الذى ثبت أنه صحيح واكتملت فيه شروطه .

( ب ) وجعل شروطه غاية فى الدقة :

١ - شروط فى الراوى :

( ١ ) العدالة : وهى ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة ، بمعنى اجتناب الأعمال السيئة من فسق وفجور ، والصيانة من الدنس ، والرفع عما يشين ، ويذهب الكرامة والهيبة فى نظر الناس .

( ب ) الضبط : وهو ضبط الفؤاد فيحفظ ما يسمع صحيحاً من الخطأ مع القدرة على استحضاره متى شاء ، وكذلك ضبط الكتابة مع السلامة من التحريف والخطأ .

( ج ) المعاصرة مع اللقاء : فلا بد للراوى أن يكون معاصراً للراوى عنه وقد ثبت لقائه معه .

( د ) والسماع منه : لا يكتفى اللقاء بل لابد من السماع منه ، سماعاً طويلاً فى السفر أو الحضر بقدر يحقق مسئولية التحديث .

٢ - شرط فى الحديث :

أن يكون الحديث صحيحاً غير ضعيف ، وحده فى عرف العلماء : ما رواه عدل تام الضبط متصل السند غير مغل ولا شاذ ، وتطبيقه عند البخارى ، ما رواه مالك عن نافع عن ابن عمر ، أو مثل هذا الطريق .

### (ج) درجة الجامع الصحيح :

تكاد الثقة العلمية تعم الفكر الإسلامى فى تقبل آراء الشيوخ القدامى الذين يعملون الجامع الصحيح للبخارى فى المرتبة الأولى على جميع كتب السنة :

- ١ - لما بذله الشيخ من كل الطاقات فى عملية الجمع .
  - ٢ - ولدقة الشروط وقسوتها .
  - ٣ - وللقلة القليلة التى أخذت على أحاديثه رغم أنها فى نظر العلماء غير مشينة لأنها من شيوخ البخارى وتعتبر له قولاً خاصاً .
- يروى أن البخارى لما أتم جماعه الصحيح عرضه على : أحمد ، وابن معين ، وابن المدينى وجلة من العلماء الثقة فشهدوا له بالصحة إلا فى أربعة أحاديث ، وقال فيها العقيلي : القول فيها قول البخارى فلا مأخذ عليه ، وابن الصلاح يجزم بصحة ما فى البخارى من الحديث ، والجمهور على أن الجامع الصحيح هو أصح كتاب فى السنة ويعتبرونه بعد القرآن عند البحث والاجتهاد .

### (د) عدد أحاديثه :

ذكر ابن حجر فى مقدمة فتح البارى أن عدد أحاديث صحيح البخارى ٧٣٩٧ حديثاً بالمكرر سوى المعلقات والموقوفات والمتابعات ، وبدون المكرر الأحاديث الموصولة فقط ٢٦٠٢ حديثاً .

وعلة التكرار : أن البخارى رحمه الله كان يذكر الحديث فى كل باب يتصل بجزء منه : مثل حديث بنى الإسلام على خمس يذكره فى باب التوحيد ، وفى باب الصلاة وفى باب الزكاة . . . إلخ لمطابقة كل جزء منه للترجمة التى عنوان بها لأقسام الجامع الصحيح .

### (هـ) عناية العلماء به :

احتل صحيح البخارى مكانة مرموقة بين العلماء فاعتنوا به عناية فائقة . أخذت المكانة الثانية بعد اعتنائهم بالقرآن الكريم : فشرحوه بكل قدر

حتى وصلت شروحه إلى اثنين وثمانين ما بين المطول والمختصر والمجمل والمفصل .

— فن الشرح المجمل : شرح الإمام الخطابي في مجلد واحد مات عام ٣٠٨ هـ .

— ومن الشرح المفصل : شرح محيي الدين بن محمد بن يعقوب الشيرازي مات ٧١٧ هـ ، وقد شرح قسم العبادات فقط في عشرين مجلداً .

— ومن الشرح المختصر : إرشاد الساري والقاري لبدر الدين الحلبي ٧٨٩ هـ .

— وكذلك شرح : الحسين بن المبارك الزبيدي م ٧٩٣ هـ المسمى التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح .

— ومن الشرح المتوسط : فتح الباري لشيخ الإسلام الحافظ أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني م ٨٥٢ هـ .

أشهر الشروح :

— ذكر صاحب كشف الظنون أن أشهر هذه الشروح التي زادت على الثمانين ، أربعة :

١ — التقيح للإمام بدر الدين الزركشي م ٩٧٤ هـ .

٢ — عمدة القاري : للعلامة العيني الحنفي م ٨٨٥ هـ .

٣ — الترشيح : للجلال السيوطي م ٩١١ هـ .

٤ — فتح الباري : لشيخ الإسلام ابن حجر م ٨٥٢ هـ وهو أجل الشروح وأوفاهها وأشهرها وأكثرها فائدة .

— ويذكر صاحب صفوة صحيح البخاري في مقدمة الجزء الأول أن أشهر المختصرات في شروح صحيح البخاري :

مختصر أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي م ٦٥٦ هـ .

وبعد حياة حافلة بالعلم والترحال والمناظرة والجلد والصبر على كيد المصلورين بالحق وكراهية الخير سعي البخاري إلى رحمة الله بعد أن

أدى الأمانة وبلغ الرسالة ، وقطع ألسنة المتشدين وضمن للسنة ثباتاً  
بجامعه ووقاراً بصحيحه ، وبعد أن دعا فاستجاب له الله فأكرمه ونعمه  
فأخذه إلى جواره في جنات الخلد مع الصديقين والشهداء .

رحم الله البخارى وجزاه عن الإسلام وسنته خير الجزاء ، وهدى  
الله الناس للسلوك القويم على المحجة البيضاء وبالله التوفيق والسداد .

## الإمام مسلم

### وجامعه الصحيح

( ١ ) حياته :

١ - هو الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، أحد الأعلام المحدثين الثقات المشاهير ولد في نيسابور سنة ٢٠٤ هـ .

٢ - طلب العلم منذ الصغرى ، ومن كثرة الشغف خف إلى الأمصار يتلمس الشيوخ ، فالتقى بشيوخه : البخارى ، المدينى ، وأحمد ، وجمع غير من المجاهدين الأتقياء ، كذلك أخذ عن البخارى وتلمذ عليه ، وقد كان مسلم النيسابورى شديد الحب للبخارى ، يحمل له عظيم التقدير والاحترام ، وقد تأسى به في تدوين صحيحه .

٣ - سافر إلى العراق ، والشام ، ومصر ، وتلقى العلم في كل مدينة ، على أذن إذ شيوخها ، وعاش مجاهداً مخلصاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياة هادئة مستقرة بعد أن استقر بالبخارى مستقبل السنة ، وثبتت أصولها . وقواعدها . فلم يجد أصدقاؤه ، وتلاميذه من بعده عناداً ولا جهداً ، واستمر مسلم في أداء الرسالة حتى قبضه الله إليه في عام ٢٦١ هـ ، بعد أن قدم مع المجاهدين كتابه الجامع الصحيح فأضاف به فناً يدرك به الخادقون أصول التأليف ، والتدوين ، كأساس للبحث ، والتقسيم ، والترجمات .

( ب ) شخصيته :

لم تكن انفعالات الأحداث في حياة مسلم على شاكلة ما كابده الشيوخ الأوائل فقد تغيرت ظروف الحياة وخف ضغط الجهلاء والأدعياء ، والسوقة ، ويات العلماء في بحبوحة من السعى والعمل ، لذلك : كانت شخصية الإمام الجليل مسلم هادئة وقورا ليس فيها ما يثير حميتها وغيرها ، فانطلقت في عباداتها لله تعالى وجهادها لله ولرسوله ، تردد الدليل والطريق : قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى .

### (ج) الجامع الصحيح الثاني : (١)

١ - على جانب من الطريق الذى رسمه البخارى يتأسى صديقه الشيخ الإمام مسلم فدون كتابه « صحيح مسلم » .

٢ - وحدد منهجه على الأخف مما اشترطه الإمام البخارى :

- فهو يشترط : العدالة ، والضبط فى الراوى .

- وأن يكون الحديث صحيحاً غير معل ولا شاذ .

- ويكفى المعاصرة وإمكان اللقيا بين المحدثين .

ولكنه أضاف إلى المنهج جديداً فى تدوين السنة :

١ - فهو لم يقطع الحديث ولم يكرر الإسناد بل جمع كل ما ورد فى

الحديث فى باب واحد من طرقه التى ارتضاها هو وأسانيده المتعددة ، وألفاظه المختلفة .

٢ - أنه فى تدوين الأسانيد ابتكر طريقة التحويل عند وصول

أحد الطريقين إلى المحدث الذى أخذ منه الطريق الآخر ، بمعنى : أنه إن كان

للهديث الواحد طريقان كلاهما أخذ من راو واحد : يذكر مسلم الطريق

الأول حتى الراوى الأساسى ، ثم يذكر عبارة التحويل ، ويذكر الطريق

الثانى ، ويستمر فى التسلسل حتى النبى صلى الله عليه وسلم وهى طريقة

مبتكرة فنية لم يسبقه إليها واحد من قبل .

(د) درجته :

يتفق العلماء على أن صحيح مسلم له منزلة الثانية بعد صحيح البخارى

لأسباب ذكرها الشيوخ منها :

١ - دقة شروط البخارى وتساهل شروط مسلم .

فالبخارى يشترط المعاصرة واللقيا والسماع الذى يحقق معنى التحديث .

ومسلم يشترط المعاصرة مع إمكان اللقيا ، وإن لم يتلاقيا .

(١) ولالإمام مسلم كتب كثيرة منها : الأسماء والكنى ، المستند الكبير ، أوهام المحدثين ،

التاريخ ، التميز ، أولاد الصحابة ، الوجدان ، المخضرمين ... إلخ .



- ٢ - دقة منهج البخارى فى استنباطات فقهية لا توجد فى صحيح مسلم .
- ٣ - دقة تخرى البخارى فى أحوال الرجال ، وقلة المتكلم فىهم عنده من الرجال الذين تكلم فىهم علماء الجرح والتعديل عند مسلم .
- ٤ - قلة الأحاديث الشاذة عند البخارى عن مسلم .
- ٥ - اعتراف مسلم للبخارى بالدقة والجودة والأخذ عنه .
- لهذا يكاد يكون الإجماع متفقاً عليه عند العلماء على ترجيح البخارى على مسلم .

وعلى أية حال : فالأحاديث التى اتفق عليها البخارى ومسلم يراها العلماء أولى من التى فى البخارى وحده .

والأحاديث التى فى البخارى فقط يقدمها العلماء على الأحاديث التى فى مسلم فقط . ومعناه :

أن مسلم يستوى مع البخارى فى كل الأحاديث المروية فى صحيحهما . ويقدم على كل كتاب ولكن الكلام فى الأحاديث التى رواها البخارى وحده ، أو رواها مسلم وحده : هنا يكون كلام العلماء ويكون ترجيح أحاديث البخارى على مسلم لما ذكروه آنفاً من الدقائق والاشتراطات .

ومن هنا تستوضحون أن الكلام فى تفضيل البخارى على مسلم على عمومه ليس من الدقة العلمية لاشتراكهما فى مجموعة من المرويات ، وجودها فى مسلم ووجودها فى البخارى يوجد المنزلة بينهما وإن اختلفت شروط الشيخين لكن المرويات غير المشتركة هى أضل الكلام فى التفاضل ؟

فمرويات البخارى تقدم لدقة شروطه ، وتعقبها مرويات مسلم لأنها الرديفة فى الدقة والشروط .

( هـ ) عدد أحاديثه ، وعناية العلماء به :

- ١ - عدد العلماء أحاديث صحيح مسلم قبلت بالمكرر ٧٢٧٥ حديثاً ، وبغير المكرر ٤٠٠٠ حديث .

٢ - وقد احتفل به كثير من العلماء فأولوه عناية فائقة . يقول صاحب كشف الظنون : وقد شرحه كثير من الأئمة الحفاظ ثم ذكر منها خمسة عشر شرحاً من أشهرها :

١ - شرح الإمام الحافظ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي م ٦٧٦ هـ .

٢ - ومختصر أحمد بن عمر القرطبي م ٦٥٦ هـ .

٣ - ومختصر : الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذرى م ٦٥٦ هـ .

٤ - وقد شرح جملة من أحاديث مسلم الأستاذ الشيخ الدكتور موسى لاشين في كتاب سماه : فتح المنعم في خمسة مجلدات .

وبعد هذه الحياة الفاضلة الهادئة المليئة بالعلم والصلاح لحق الشيخ إلى جوار ربه مع أصحابه مع المجاهدين في جنات عدن ، وكانت وفاته في عام ٢٦١ هـ ، رحمه الله رحمة واسعة . وأجزل له المثوبة وحسن العطاء .

## أصحاب السنن

تقديم :

المراد بالسنن : الكتب التي جمعت الأحاديث النبوية المتعلقة بالأحكام والأعمال دون الآداب والفضائل والأخلاق .

وهي لا تفرق بين الحديث : الصحيح والحسن ، والضعيف ، ولكنها لا تقبل ألبتة الحديث الموضوع لورع أصحابها وتقراهم وعلو هممهم .  
وكتب السنن في نظر العلماء في المرتبة الثالثة بعد البخاري ومسلم ، وهي في هذه المرتبة الثالثة على درجات : أولها النسائي ، لما رواه الحافظ ابن حجر : « كم من رجل أخرج له أبو داود والترمذي تجنب النسائي إخراج حديثه »

ولسوف نتوجه في دراستها - ولو بقدر - على نحو ما رتبها العلماء :

المجتبي	:	للنسائي .
السنن	:	لأبي داود
الجامع	:	لأبي عيسى الترمذي .
السنن	:	لابن ماجه .

أولاً - الإمام النسائي وسننه :

١ - حياته : هو أبو عبد الرحمن بن شعيب الخراساني النسائي ، إمام عصره ، وقدوة علماء الجرح والتعديل . ولد سنة ٢١٥ هـ في قرية تسمى « نساء » بخراسان .

٢ - تناول العلم من كبار الشيوخ في عصره ، فرحل من أجله إلى الحجاز ، والعراق ، ومصر ، والشام ، والجزيرة بعد أن أخذ عن علماء وطنه في خراسان .

٣ - كان رحمه الله ورعاً دقيقاً شديد الحفظ ، ذكياً حافظاً ، متقناً ، قال فيه الذهبي « كان أحفظ من الإمام مسلم » .

كتابه المجتبى :

١ - للنسائي كتابان :  
( ١ ) سننه الكبرى : جمعها أولاً مشتملة على الصحيح والمعلول ،  
لأن الاتجاه في هذا الدور كان يدور حول الحديث ذي الصيغة الحكيمة  
الذي يحمل حكماً واجباً أو مستحباً .  
( ب ) المجتبى : ثم اختصر النسائي كتابه الأول وأسماه المجتبى ومعناه

« المتقى » .

٢ - درجته :

بلى الصحيحين ، ويقدم على كل سنن أتت من بعده ، ذلك لما عرف  
عن الشيخ من تحريه للرجال حتى قال فيه ابن حجر « كم من رجل أخرج له  
أبو داود والترمذي تحجب النسائي إخراج حديثه » .

عناية العلماء به :

اجتنى العلماء بالمجتبى من السنن وتناوله كثير منهم بالشرح ومن أشهرهم :

١ - زهر الربى على المجتبى : جلال الدين السيوطي م ( ٩١١ هـ ) .

٢ - شرح المجتبى : للشيخ محمد عبد الهادي البيندي م ( ١٣٨١ هـ ) .

ولكنه اقتصر فيه على :

١ - ضبط اللفظ .

٢ - وإيضاح الغريب .

وبعد أن أدى الرسالة وخدم السنة ناداه ربه فاستجاب له ، وكانت  
وفاته بالرملة سنة ٣١٣ هـ أفسح الله له في جنته وألحقه بأصدقائه الذين  
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

-----

( ١ ) أوليت مؤيداً المذهب الحديث الذي يدعى رد هذا الكتاب ووقفن نسبه إلى النبط ،  
فن سبقنا كانوا أعلم منا وأتق وأظهر . . . فلهذا العالم كتب جمة منها : الكنى والأسماء ، الجرح  
والتعديل ، التمييز ، مناسك الحج ، خصائص غل ، للضعفاء . . . إلخ . فليس الرجل نكرة  
في باب الحديث ، بل علم من أعلامه الموقرين .

ثانيا : الإمام أبو داود وسننه :

١ - حياته : هو سليمان بن الأشعث بن إسحق الأسدي السجستاني

ولد عام ٢٠١ هـ .

٢ - رحل إلى طلب العلم ، فسافر إلى خراسان ، ومصر والشام ، والعراق

وسجل عن علمائها علمهم ومعارفهم ، كذلك أخذ عن مشايخ البخاري

ومسلم مثل : أحمد ، وابن شيبه ، وقتيبة بن سعيد . . . وغيرهم .

٣ - رضى عنه الشيوخ وأثنوا عليه بالحفظ وجودة الفهم ، وحسن

الدين والورع ، قال فيه الحاكم أبو عبد الله : « وكان أبو داود إمام أهل الحديث

في عصره بلا مدافعة » .

سننه : (١) .

١ - توجه الشيخ أبو داود إلى جمع أحاديث الأحكام فقط ، فكل

حديث يحمل حكماً فقهياً اعتنى به واحتفى . وقد جمع كتابه السنن من بين

خمسائة ألف حديث فبلغت متفاتها أربعة آلاف كلها التي استدل بها

فقهاء الأمصار وبنوا عليها فقههم وأحكامهم ، قال فيه سليمان الخطابي :

في معالم السنن « اعلمو رحمكم الله أن كتاب السنن لأبي داود كتاب شريف

لم يصنف في علم الدين كتاب مثله ، وقد رزق القبول من كافة الناس

فصار حكماً بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم »

٢ - درجته : يجعله العلماء بعد المجتبي للنسائي لما صرح هو بنفسه

قال : ذكرت فيه الصحيح وما أشبه وقاربه ، وما كان في كتابي من حديث

فيه وهم شديد فقد بيته ، وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح وبعضنا أصبح

من بعض ، وذلك اعتماداً على مسألتين :

الأولى : أنه يترك حال الرجال إلى الجرح والتعديل .

الثانية : أنه توجه إلى عمل جديد وهو أحاديث الأحكام فإذا صادفه

حكم ليس فيه إلا حديث ضعيف أخذ به لأنه أقوى عنده من رأى الرجال .

(١) - ولأبي داود كتب كثيرة منها : المراسيل ، مسائل الإمام أحمد ، التاسخ والمنسوخ ،

فضائل الأعمال ، الزهد ، البعث والنشر ، القدر ، إلخ .

### ٣ - عناية العلماء به :

وقد اهتم العلماء بسنن أبي داود اهتماماً كبيراً فشرحه كثير من الفضلاء الأجلاء ومنهم :

١ - الإمام أبو سليمان الخطابي م ٣٢٨ هـ في كتابه معالم السنن .  
ويقع في مجلدين كبيرين .

٢ - قطب الدين البغوي الشافعي م ٦٥٢ هـ ، شرجه في أربعة مجلدات .

٣ - شهاب الدين الرملي م ٨٤٨ هـ .

٤ - الحافظ المنذرى م ٦٥٦ اختصر بعض شروحه .

٥ - ابن القيم ( هذب هذا المختصر )

٦ - الشيخ محمود خطاب السبكي أخرجه في عصرنا الحديث بشرح واف مستفيض في كتابه « المنهل العذب المورود » .

وعلى الطريقة عندما قربت المنية ، وانتهت الوظيفة ، بعد بلوغ الأمان في ورع وإيمان وجهاد ، عاد الشيخ إلى دار الحق والبقاء في عام ٢٧٥ هـ ، ودفن بالبصرة ، أسكنه الله فسيح جناته ، وأسبغ عليه فيض رحماته إنه لا يضيع أجر المحسنين .

### ثالثاً - الترمذى وجامعه : (١)

١ - حياته : هو أبو عيسى بن السلمي الترمذى ، ولد عام ٢٠٩ هـ ، بترمذ .

٢ - أخذ الحديث عن جمع غفير منهم قتيبة بن سعيد ، وإسحاق ابن موسى ، وسفيان بن وكيع ، ومحمد بن إسماعيل البخارى ، وغيرهم ، ورحل إلى خراسان ، والعراق ، والحجاز ، يطلب الحديث . والعلم حتى غدا إماماً جافظاً ثقة .

---

(١) والترمذى كتب كثيرة منها : الملل ، الشامل النبوية ، أسماء الصحابة ، الأسماء والكنى ، الآثار الموقوفة ... إلخ .

٣ - يقول فيه أبو ليلى الخليلي : ثقة متفق عليه ، ويكفي في توثيقه أن أمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري كان يعتمد عليه ويأخذ عنه .

كتابه جامعه :

١ - ألف الترمذي جامعه على أبواب الفقه وغيره ، وجمع فيه الحديث الصحيح ، والحسن والضعيف .

وبين درجة كل حديث في موضعه ووجه الضعف فيه كذلك بين مذاهب الصحابة ، وعلماء الأمصار في كل المسائل التي أودعها جامعه ، وجعل لها أبواباً .

ومن مميزات جامعه :

أنه أفرد في مؤخرته فصلاً ذكر فيه قواعد هامة للعمل وفوائد للفقه والحديث .

كما كان يختصر طرق الحديث إذا تعددت ، يذكر منها واحداً ثم يشير إلى غيره ..

٢ - درجته : يعتبره العلماء في المنزلة التي تلي سنن أبي داود .

عناية العلماء به :

وقد اختصه العلماء بمزيد من العناية فتناوله جمع غفير بالشرح هم :

١ - أبو بكر بن العربي م ٥٤٦ هـ .

٢ - سراج الدين البلقيني م ٧١٥ هـ .

٣ - زين الدين الحنبلي م ٧٩٥ هـ .

٤ - جلال الدين السيوطي م ٩١١ هـ .

أما بعد : فيقول صاحب تهذيب الأسماء واللغات : توفي رحمه الله بترمذ سنة ٢٧٩ هـ ، فأسكنه الله جناته وجمعه مع أصحابه الذين أنعم الله عليهم ورفعهم إلى الدرجات العلى .

## رابعاً - الإمام ابن ماجه : وسننه :

١ - حياته : هو أبو عبد الله بن يزيد بن ماجه الحافظ ، ولد عام ٢٠٧ هـ ، ورحل في طلب العلم وارتحل إلى : الري ، والبصرة والكوفة والشام ، والحجاز ، ومصر ، وبغداد .

٢ - أخذ الحديث من علماء عصره : أبو بكر بن شيبة ، وأصحاب مالك بن أنس ، والليث بن سعد .

٣ - قال عنه أبو ليل الخليلي : وكان عالماً بهذا الشأن صاحب تصانيف منها التاريخ ، والسنن ، وارتحل إلى العراقيين ، ومصر والشام .  
وقال ابن كثير : صاحب السنن المشهورة وهي دالة على علمه ، وعمله وتبحره وإطلاعه ، واتباعه للسنن في الأصول والفروع .

سننه :

١ - جمع الشيخ أبو عبد الله كتابه السنن ، وهو كتاب جليل أشمله أربعة آلاف حديث ، قال فيها ابن كثير في كتابه البداية والنهاية . . . أربعة آلاف حديث كلها جياذ سوى اليسيرة .

٢ - درجته : كانت التقاليد العلمية عند المتقدمين والمتأخرين تجعل كتب الحديث خمسة : البخاري ومسلم والنسائي ، وأبو داود ، والترمذي فلما كان الشيخ الحافظ أبو الفضل طاهر المقدسي أضاف سنن ابن ماجه إلى كتب الحديث لما وجدته فيه من عظيم الفائدة خاصة في الفقه :

والعلة التي تمسك بها القدامى من الشيوخ أن قواعد نقد الحديث وضبطه قد وضحت أن ابن ماجه أخرج الأحاديث لرجال متهمين بالكذب وسرقة الحديث .

قال السيوطي : في شرح المجتبى : تفرد فيه - أي ابن ماجه في سننه - بإخراج أحاديث عن رجال متهمين بالكذب وسرقة الحديث .



ولهذا يرى بعض العلماء أن الكتاب السادس هو كتاب الدارمي وبعضهم يجعله الموطأ لصحته وجلالته .

### عناية العلماء به :

وقد نال كتاب ابن ماجه قسطاً كبيراً من العلماء فشرحه جماعة هم :

١ - السيوطي م ٩١١ هـ في كتابه مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجه .

٢ - محمد بن موسى الدميري م ٨٠٨ هـ .

٣ - إبراهيم بن موسى الخليلي م ٨٥١ هـ .

وبعد نهاية العمل يقرب الأجل ، ويفوز السعداء بما قدموا فهنيئاً لمن قدم دنياه لآخرته قرباناً ، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، وعلى الطريق الموصل إلى الله سار الشيخ ابن ماجه إلى ربه فكانت وفاته عام ٣٧٣ هـ ، أجزل الله له العطاء ، وأسكنه واسع الجنات وجمعه مع الأبرار الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه .

وإلى هنا : فقد قدمنا لكم السنة الإسلامية كما يفهمها العلماء الواعون ويرفضها المكابرون الجاهلون ، وإذا تبين الحق وسطع النور منه فليس لأرمد العين معذرة ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وأمرهم إلى الله فلا تبخع النفس عليهم حسرات ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى .

٥

## منهج العلماء في ضبط الرواية

أولاً :

• طرق التحمل .

• وصيغ الأداء .

ثانياً :

• ضبط الإسناد

ثالثاً :

• ضبط الرواة



رواية الحديث تعتمد على أصليين متلازمين هما :  
التحمل والأداء .

وقد أجهد العلماء أنفسهم في ضبط كل من هذين الأصلين فيما يتعلق  
بتحديد مفهومهما وطرق التحمل ، وصيغ الأداء . والشروط التي ينبغي  
توافرها في التحمل وفي الأداء .

وسوف نعرض لهذه الجهود المشكورة لنوضح للجيل المعاصر من  
أبناء المسلمين كيف أن السنة النبوية الشريفة قد وصلتنا وهي محفوفة بأدق  
الضمانات ، وأصح وأسلم الطرق .

**أولاً - التحمل :**

**مفهوم التحمل :**

هو أخذ الحديث عن الشيخ مباشرة أو بواسطة .  
( ١ ) فتحمل الحديث مباشرة مثل تحمل الصحابة رضوان الله عليهم  
الحديث المرفوع عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ومثل ذلك : تحمل التابعين الحديث الموقوف من الصحابة رضى الله عنهم .  
ومثل ذلك أيضاً تحمل أتباع التابعين الحديث المقطوع من التابعين .  
( ب ) وتحمل الحديث بواسطة مثل تحمل الطالب عن شيخه ما تحمله  
عن شيخه وهم جرا إلى أن يصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث  
المرفوع أو يصل إلى الصحابة عليهم رضوان الله في الحديث الموقوف  
أو يصل إلى التابعين في الحديث المقطوع .

**ثانياً - شروط التحمل :**

للعلماء في شروط التحمل مذاهب شتى ، وركيزة التحمل التي لا خلاف  
فيها غالباً هي : أن يعقل الحديث سواء كان بالغاً أو صبيهاً مميزاً لكنهم  
اختلفوا في تحمل الكافر ، وفي سن الصبي المميز .

## أولاً - رأى الجمهور :

أن الصبي المميز يصير أهلاً للتحمل إذا فرق بين البقرة والدابة .  
وقال الإمام أحمد : إذا عقل وضبط .  
وقال القاضي عياض : أقل سن للصبي المميز هو سن محمود بن الربيع  
وكان سنه بين خمس أو أربع .

والذى استقر عليه رأى - كما قال ابن الصلاح - التحديد بخمس  
سنين كما فعل أهل الحديث المتأخرين ، واستدلوا على ذلك بقبول رواية  
الحسن والحسين ، وابن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، والنعمان بن بشير ..  
وأما الكافر فيجوز تحمله للحديث إذا رواه بعد أن يدخل في الإسلام ،  
والجمهور يستند في هذا إلى الأحداث التي وقعت في حياة المسلمين في عصر  
النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قبل الصحابة والمسلمون رواية جبير بن  
مطعم للأحاديث التي تحملها قبل إسلامه فقد جاء في الصحيحين من حديث  
نجير بن مطعم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور .  
ثانياً : رأى غير الجمهور :

يرى أن تحمل الصغير ولو كان مميزاً ما لم يكن بالغاً غير جائز هو  
رأى مجحوج بقبول الصحابة روايات الحديث عن السائب بن يزيد ،  
والمسور بن مخرمة وغيرهم .

## ثالثاً - طرق التحمل :

حصر العلماء المعنيون بضبط الرواية طرق تحمل الحديث في ثمانية طرق :

- |                 |                         |
|-----------------|-------------------------|
| الطريق الأول :  | السمع .                 |
| الطريق الثاني : | القراءة .               |
| الطريق الثالث : | المناولة .              |
| الطريق الرابع : | الإجازة .               |
| الطريق الخامس : | المكاتبة ، أو الكتابة . |

الطريق السادس : الإعلام .  
الطريق السابع : الوصية .  
الطريق الثامن : الوجدادة .  
وسوف نعرض لبيان هذه الطرق إن شاء الله .

#### رابعاً - الأداء :

##### مفهومه :

رواية الحديث بعد تحمله بإحدى الطرق المذكورة آنفاً . إن أداء الحديث غير تحمله ، وتحمل الحديث هو تعلمه ، وطالب العلم فيه ذوقه سواء كان صغيراً أم كبيراً ، وسواء كان صالحاً أم طالحاً . . . فتلقى العلم حق إنساني لا يحرم منه صغير ولا يختص به صالح .

أما أداء الحديث وروايته فذلك مقام الشهادة على نسبة المتن إلى صاحب السنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا مقام عزيز يحتاج إلى شروط وملكات ومواصفات .

##### شروط الرواية :

وشروط صحة الأداء عند العلماء هي :

التكليف - والإسلام - والعدالة - والضبط .

أما التكليف : فهو محل الإلزام والالتزام ومدار ذلك على البلوغ والعقل ، وضابط العقل البلوغ من غير آفة ، فالمعتوه وهو من اختلط كلامه وفعله ودار أمره بين حال المجانين وحال العقلاء لا تقبل روايته .  
والصبي فيه خلاف :

- قيل تقبل روايته ، إن كان مميزاً ، ولم يجرب عليه كذب .
- وقيل ترد روايته لعدم البلوغ ، وإن صح له التحمل (١) .

---

(١) تدريب الراوى ، ج ١ ، ص ٣٠ .

وأما الإسلام : فلأن الانقياد لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم علامة صدق التحمل ، فلا تقبل رواية الكافر سواء كافراً أصلاً أو لعارض مثل المرتد .

ومن الكفرة ارتداداً : المبتدعة الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » ومن هؤلاء القاديانية ، والبهائية ، والنصيرية ، ويقاس عليهم كل من ذهب إلى رأى يخالف أو يعارض أو يؤول للهوى أمراً ضرورياً عرف من الدين بالضرورة .

وأما العدالة : فلأنها ملكة تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة ، وضبطوها لأنها خفية تعرف بأثر سلوكي وهو : ألا يرتكب كبيرة ، وألا يصر على صغيرة ، ولا يرتكب ما يخل بالمروءة ، وهو ما عبر عنه العلماء بقولهم ... سليماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة ، وذلك استجابة للحديث النبوي الشريف : « لا تأخذوا العلم إلا بمن تقبلون شهادته (١) » .

وفي مسلم : « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » . وروى البيهقي عن النخعي ، قال : كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته وإلى حاله ، ثم يأخذون عنه .

قال الشافعي ، وقال سعد بن إبراهيم : لا يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا الثقات .

### كيف تثبت ؟

وتثبت عدالة الراوى بطريق مما يلي :

— الاستفاضة : وهى اشتهاره بالخير والثناء عليه كما قال ابن الصلاح ومن أمثلة هذا النوع : مالك والسفيانين والأوزاعي ، والشافعي وأحمد ابن حنبل (٢) ، ويحيى بن معين ، وابن المديني (٣)

— أو بتعديل الأئمة : اثنين على الأقل في رأى واحد على الصحيح عند ابن الصلاح .

(١) رواه البيهقي في المدخل مرفوعاً مرة وموقوفاً مرة .

(٢) تدريب الراوى ، ج ١ ، ص ٣٠١ .

(٣) الباعث الحديث ، بتحقيق الأستاذ أحمد شاكر ، ص ١٠٢ .

أما ابن عبد البر فقد توسع فقال : كل حامل علم معروف العناية به فهو عدل محمول أمره على العدالة حتى يتبين جرمه لقوله عليه الصلاة والسلام : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله » واعترض ابن الصلاح باعتراضات ضعف رأيه وإلى ذلك جنح النووي وقال : قوله هذا غير مرضى (١) .

وأما الضبط فهو قسمان :

( أ ) ضبط حفظ . ( ب ) وضبط كتابة .

واشترط الضبط هو مدار الأمانة في النقل وهو علامة العدالة في النفس، فإذا راقب بكيته ما سيرويه سواء كان من حفظه أو من كتابته كان قد تثبت مما سيؤديه فكان ثقة عند الأداء لأنه متقن لما يرويه متيقظاً لما يروى ، غير مغفل ولا ساه، فهو حافظ إن روى من حفظه ضابط لكتابه إن روى من كتابه .

كيف يثبت الضبط ؟

ويعرف ضبط الراوى إذا وافقت روايته ما رواه الثقات المتقنون الضابطون ولا تضر المخالفة اليسيرة النادرة .

أما إذا ندرت الموافقة ، وكثرت المخالفة ، اختلت قيمة ضبطه .

ولم يحتج بحديثه .

وقد أوجز العلماء هذه الشروط المتفق عليها في قولهم : العدالة والضبط ، ثم فسروا العدالة بأن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سليماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة .

وفسروا الضبط بأن يكون متيقظاً غير مغفل ، حافظاً إن حدث من حفظه ، ضابطاً لكتابه من التبديل والتغيير إن حدث منه ، وأن يكون عالماً بما يحيل المعنى إن روى به (١) .

(١) راجع تدريب الراوى ، ج ١ ، ص ٣٠٢-٣٠٣ . والباعث الحديث ص ١٠٣ .

(٢) تدريب الراوى ، ج ١ ، ص ٣٠١ . الباعث الحديث ، ص ١٠١ .



## ملاحظة هامة :

الصحابه رضوان الله عليهم جميعاً عدول فلا يصح أن يدعى أحد أن هذه القواعد تنسحب عليهم .

### آداب الشيخ والطالب

إن تحمل الحديث وأدائه هما ركيزة الرواية التي هي أشرف ما يتحملة علماء الأمة الإسلامية ، وقد شرح العلماء طرق التحمل وصيغ الأداء وشروطه ، وبقي علينا أن نتدارك ما يلحق بهذه الأصول من فضائل الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها كل من الشيخ المتصدى لتحميل الحديث إلى تلاميذه ، والتلميذ الذي شرف قلبه وعقله بتحمل الحديث النبوي ليكون فيما بعد ممن يحملون هذا العلم الندى إلى الخلائق من بعدهم في الحديث الشريف : « نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره » « ونضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها عني » . و « نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها ثم أداها إلى من يسمعها » و « اللهم ارحم خلفائي » ، قيل : ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون من بعدي يروون أحاديثي وسنتي . ولهذا المنزلة وضع العلماء آداباً تجب مراعاتها من كل من الشيخ والمريد .

### ١ - آداب الشيخ

— تصحيح النية وإخلاصها وتطهير قلبه من أغراض الدنيا وأدناسها وليكن أكبر همه نشر الحديث والتبليغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « فأنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » وقد أثر عن العلماء ألا يحدثوا حتى تصدق النية : فقد قال سفيان الثوري : قلت لحبيب ابن أبي ثابت حدثنا : قال : حتى تجيء النية .

وقيل لأبي الأحوص سلام بن سليم حدثنا فقال ليس : لي نية . فقالوا له : أنت تؤجر فقال :

يمنونني الخير الكثير وليتني نجوت كفافاً لا على ولا ليا (١)

(١) الجامع لأدب الشيخ والسمع للخطيب البغدادي ، تنزيه الراوي ، ج ٢ ، ص ١٢٠ ، الباعث الحديث ، ص ١٢٠ .

وقال حماد بن زيد : أستغفر الله إن لذكر الإسناد في القلب خيلاء .

— أن يكون ذا سن راشدة ، ثم اختلفوا في كم تكون سنه ؟

قيل : أربعون عاماً ، فهي سن الاستواء وعندها ينتهي عزم الإنسان ويتوفر عقله ويجود رأيه ، غير أن واقع التحديث والرواية لا يساند هذا الرأي لأن مالك بن أنس جلس للناس يحدث وهو ابن نيف وعشرين عاماً وقيل كانت سنه سبع عشرة سنة وكان شيوخه أحياء وهم : ربيعة ، والزهرى ونافع ، وابن هرمز .

وقيل خمسون سنة ، فهي سن انتهاء الكهولة وفيها يجتمع الأشد وهو رأى محبوب بما سبق يضاف إلى هذا أن بندارا حدث وهو ابن ثمانى عشرة ، والهخارى حدث وما في وجهه شعرة .

— وأن يمسك عن التحديث إذا خشي التخليط ، وقد ضبط العلماء خشية التخليط بسن الثمانين غالباً اللهم إلا إذا كان ثابت العقل يجمع رأى ذلك أنه قد حدث قوم بعد هذه السن مثل أنس ، وسهل بن سعد ، وعبد الله بن أبي أوفى كما حدث كذلك في سن متأخرة مالك ، والليث وابن عيينة ، وأثر عن مالك قوله : إنما يخرف الكذابون .

— بل حدث بعد بلوغ المائة جمع من الصحابة منهم :

الصحابي الجليلي حكيم بن حزام .

— كذلك حدث من التابعين بعد سن المائة شريك النمرى .

— ومن بعدهم : الحسن بن عرفة ، وأبو القاسم البغوى ، والقاضى أبو الطيب الطبرى . . والأدق أن ضابط خشية التخليط : هو الهرم ، والتخريف ، والعمى . . وذلك يختلف حسب اختلاف الناس سواء بلغ الثمانين أو فوقها أو أسفل منها .

— ألا يحدث بحضرة من هو أولى منه سواء كان أولى منه لعلمه أو لسنه .

والأولوية هنا ملاحظة فيها : كبر السن ، علو الإسناد ، السماع المتصل مع الإجازة .

ولقد كان الشيوخ الأوائل يحترمون هذه الآداب فقد كان إبراهيم النخعي لا يتكلم بحضرة الشعبي .

وأكثر من هذا ذهب إليه العلماء فقالوا : يكره أن يحدث في بلد فيه من هو أولى منه ، ولقد سغه ابن معين من فعل ذلك فقد أثر عنه مقالته : إن من فعل ذلك فهو أحمق ، لكن الإمام السيوطي يرى : أن التحديث بحضرة الأولى ليس بمكروه ، وليس كذلك خلاف الأولى مستنداً لما أثر عن الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، أنهم كانوا يفتنون في عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بلده : المدينة المنورة (١) .

وقد عقد محمد بن سعد في كتاب الطبقات باباً لذلك فقال (٢) :

« ذكر من كان يفتي بالمدينة ويقتدى به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد ذلك وإلى من انتهى علمهم » .

ثم ذكر أثراً نصه : « أخبرنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربيع بن حراش عن حذيفة بن اليمان : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر . . . وروى البيهقي في المدخل بسند صحيح عن ابن عباس أنه قال لسعيد بن جبير : حدث . . . قال : أحدث وأنت شاهد ؟ قال : أو ليس من نعم الله عليك أن تحدث وأنا شاهد ، فإن أخطأت علمتك .

ومن آداب حضور مجلس التحديث أن يتطهر : بغسل ووضوء ، ويتطيب ، ويستاك ، ويسرح لحيته ، ويجلس في صدر المجلس متمكناً في جلوسه مع الوقار والهيبة .

ولقد كان السلف الكرم من الشيوخ الموقرين يفعل ذلك فقد أثر عن مالك أنه كان لا يخرج إلى مجلس الحديث إلا متطهراً متوضئاً متطيباً ،

(١) تدريب الراوي ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .

(٢) الطبقات الكبرى ، ج ٢ ، ص ٣٣٤ وما بعدها .

وكان يمشى خاشعاً فلما سئل قال : أحب أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحدث إلا على طهارة . . وكان رضى الله عنه يكره أن يحدث فى الطريق أو وهو قائم ، ويروى أنه قال : مجالس العلم تحتضر بالخشوع والسكينة والوقار ، ويكره أن يقوم لأحد .  
وأسند البيهقي عن قتادة قال : لقد كان يستحب أن لا يقرأ الأحاديث إلا على طهارة .

وعن ابن المسيب أنه سئل عن حديث وهو مضطجع فى مرضه فجلس وحديث به : فقيل له وددت لو أنك لم تتعن ، فقال : كرهت أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع .  
وعن بشر بن الحارث أن ابن المبارك سئل عن حديث وهو يمشى ، فقال : ليس هذا من توقير العلم .

ومن واجبات الشيخ التى ينبغى أن يرقبها فى مجلسه أن يزجر من رفع صوته فى المجلس ، ولقد كان مالك رضى الله عنه يفعل ذلك ويقول : قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » فمن رفع صوته عند حديثه فكأنما رفع صوته فوق صوته .

ومن الآداب التى ينبغى أن يلحظها الشيخ فى المجلس أن يقبل على الحاضرين كلهم وأن يفتح مجلسه ويختمه بتحميد الله تعالى والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ودعاء ينطبق على الحال .  
وأن يتقدم ذلك كله تلاوة للقرآن الكريم من قارئ حسن الصوت فقد روى الحاكم فى المستدرک عن أبى سعيد قال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا تذاكروا العلم وقرءوا سورة .

ومن آداب مجلس الحديث أن يتروى فى تلاوته على نحو ما جاء فى حديث البخارى : عن عروة قال : جلس أبو هريرة إلى جنب حجرة عائشة وهى تصلى فجعل يحدث فلما قضت صلاتها قالت : ألا تعجب إلى هذا وحديثه . . ؟ إن النبى صلى الله عليه وسلم إنما كان يحدث حديثاً لو عده العاد أحصاه .

وفي مسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم .

وعند البيهقي : إنما كان حديثه فصلا تفهمه القلوب .

مجلس الإملاء :

من واجبات الشيوخ أن يعقدوا مجلس إملاء للحديث ، فإن الإملاء أعلى مراتب الرواية والسماع ، وفيه أحسن وجوه التحمل وأقواها .

ويندب أن يتخذ الشيخ مستملياً ومن شروط اختياره :  
- أن يكون محصلاً .

- متيقظاً يبلغ عنه إذا كثر الجمع على عادة الحفاظ في ذلك .  
- وألا يكون بليداً .

ولذلك أصبح من السنة ، فقد روى أبو داود والنسائي من حديث رافع أن ابن عمرو قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحى على بغلة شهباء وعلى يعبر عنه .

وفي الصحيح عن أبي حمزة قال : كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس ، وإذا كثر التلاميذ حق له أن يندب كثيراً من المستملين ( سكرتارية ) فقد أُملي أبو مسلم الكجى في رحبة غسان وكان في مجلسه سبعة مستملون يبلغ كل واحد صاحبه الذى يليه فقد كان في مجلسه نيف وأربعون ألف محبرة سوى النظارة .

ما يجب على المستملى أن يفعله :

ويجب على المستملى أن يبلغ اللفظ الذى يقرؤه الشيخ على الوجه الذى سمعه من غير تغيير لأن وظيفة المستملى تفهم السامع لفظ الشيخ .

ويجب على المستملى أن يستنصت الناس في المجلس في الصحيحين من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : استنصت الناس . وعلى المستملى أن يرفع صوته باللفظ الذى يملئ .

وعليه إذا ذكر صحابيا ترضى عليه فإن كان ابن صحابي ترضى  
عنهما : عنه وعن أبيه ، كذلك يترحم عن الأئمة فقد روى الخطيب :  
أن الربيع بن سليمان قال له القارئ يوماً : حدثكم الشافعي - ولم يقل رضى  
الله عنه - فقال الربيع : ولا حرف حتى يقال : رضى الله عنه .

ويجمل به أن يثنى على شيخه حال الرواية عنه بالذى هو له أهل فذاك  
صنيع جماعات أهل الحديث من السلف الطيب ، فقد كان أبو مسلم  
الحولافى يقول : حدثنى الحبيب الأمين عوف بن مسلم .

وكان مسروق يقول : حدثنى الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب  
الله المبرأة .

وكان عطاء يقول : حدثنى سيد الفقهاء أيوب .

وكان وكيع يقول : حدثنا سفيان أمير المؤمنين فى الحديث .

وينبغى للشيخ أن لا يعمل فى الأسبوع إلا يوماً واحداً والأصل فى ذلك  
حديث الشيخين عن أبى وائل قال : كان ابن مسعود يذكر الناس فى كل  
يوم خميس ، فقال له رجل : لوددنا أنك ذكرتنا كل يوم فقال : أما إنه  
ما يمنعنى من ذلك إلا أنى أكره أن أملككم ، وإنى أتخولكم بالموعظة كما  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السأمة علينا (١) .

هذا ولعل قائل يقول : وما فائدة هذا فى العلم الحديث وقد ذاع مكبر  
الصوت وأشرطة التسجيل ؟ والجواب أن اتخاذ الشيخ للمستمل فى دور  
العلم ما زالت الحاجة إليه باقية لانقطاع الكهرباء أو عدم التمكن من استعمال  
الآلات المكبرة للصوت ، أو إذا كان ذلك موجوداً ، وكان صوت الشيخ  
ضعيفاً لا يقويه استخدام مكبر الصوت .

---

(١) تدريب الراوى ، ج ٢ ، ص ٤٠ .

## (ب) آداب الطالب :

### سن الطالب :

اختلف العلماء في سن الطالب لمن يريد أن يشتغل بدراسة الحديث النبوي الشريف .

فقال جماعة من العلماء : يستحب أن يبتدىء بسماع الحديث بعد ثلاثين سنة وهذا رأى علماء الشام القدامى .

وقال آخرون: بعد عشرين ، وهو رأى أهل الكوفة ، فقد أثر عن موسى ابن إسحق قوله : كان أهل الكوفة لا يخرجون أولادهم في طلب الحديث صغاراً حتى يستكملوا عشرين سنة .

وقال سفيان الثوري : كان الرجل إذا أراد أن يطلب الحديث تعبد قبل ذلك عشرين سنة .

وقال أبو عبد الله الزبيرى من علماء الشافعية : يستحب كسب الحديث في العشرين لأنها مجتمعة العقل ، وقال : أحب أن يشتغل دونها بحفظ القرآن الكريم والفرائض .

وأدنى سن يصح فيها السماع خمس سنوات قال ابن الصلاح: وعلى هذا استقر العمل بين أهل الحديث فكانوا يكتبون لابن خمس فصاعداً غير أنه وضع ضابطاً لصحة تعلم الصغير الحديث فقال : والصواب اعتبار التمييز فإن فهم الخطاب ورد الجواب كان مميزاً صحيح السماع وإن لم يبلغ خمساً .

والأليق علمياً أن تترك كتابة الحديث وضبطه للقدرة والاستعداد والتأهل (١) ويجب على طالب الحديث تصحيح النية والإخلاص لله تعالى في طلبه والحذر من التوصل به إلى أغراض الدنيا ، والأصل في ذلك ما رواه أبو داود ، وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى

---

(١) الباحث المنيث ، ص ١٢١ . تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر .

الله عليه وسلم : « من تعلم عاماً مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » (١) .

ومن أقرب الوجوه في إصلاح النية فيه ما روينا عن أبي عمرو بن نجيح أنه : سألت أبا جعفر بن حمدان - وكانا عبيد بن صالحين - فقال له : بأى نية أكتب الحديث ؟ فقال : ألتزم ترون أن عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ؟ قال : نعم ، قال : فرسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الصالحين . - وعليه أن يسأل الله تعالى التوفيق والسداد والتيسير والمعونة .

- وعليه أن يستعمل الأخلاق الجميلة والآداب الحميدة .

- وعليه أن يفرغ جهده في تحصيل الحديث ، ففي مسلم : احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز .

وقال يحيى بن أبي كثير : لا ينال العلم براحة الجسم .

وقال الشافعي : لا يطلب هذا العلم من يطلبه بالتملل وغنى النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذلة النفس ، وضيق العيش وخدمة العلم أفلح .

- وعلى طالب الحديث أن يبدأ بالسماع من أرجح شيوخ بلده إسناداً وعلماً وديناً وشهرة ، حتى إذا ما فرغ منهم رحل إلى سائر البلدان ، لأن القصد من الرحلة أمران :

١ - تحصيل علو الإسناد وقدم السماع .

٢ - لقاء الحفاظ والمذاكره لهم والاستفادة منهم .

والأصل في الرحلة في طلب الحديث ما رواه البيهقي في المدخل ، والخطيب في الجامع عن عبد الله بن محمد بن عجيل عن جابر بن عبد الله قال : بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمعه فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي ، وسرت شهراً حتى قدمت الشام فأتيت عبد الله ابن أنيس ، فقلت للبواب : قل له ، جابر على الباب ، فأتاه فقال له : جابر ابن عبد الله ؟ فأتاني فقال لى : فقلت : نعم : فرجع فأخبره فقام يطأطأ

(١) تدريب الراوى ج ٢ ص ١٤١ .



ثوبه حتى لقيني فاعتنقني واعتنقته ، فقلت : حديث بلغني عنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص لم أسمعه فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يحشر الله العباد - أو قال الناس - عراة غرلاً بهما ، قلنا : ما بهما ؟ قال ليس معهم شيء ، ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ، ولأحد من أهل النار عنده مظلمة حتى أقصه منه ، حتى اللطمة ، قلنا كيف وإنما تأتي الله عراة غرلاً بهما ؟ قال : بالחסنات والسيئات (١) .

قال إبراهيم بن أدهم : إن الله ليدفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث .

وينبغي لطالب الحديث أن يستعمل ما يسمعه من الحديث الشريف وبخاصة أحاديث العبادات وفضائل الأعمال ، فزكاة الحديث في تطبيقه وطريق حفظه تنفيذه ، فعن بشر الخافى : يا أصحاب الحديث أدوا زكاة هذا الحديث : اعملوا من كل مائتي حديث بخمسة أحاديث . وقال وكيع : إذا أردت أن تحفظ الحديث فاعمل به .

وقال أحمد بن حنبل : ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به حتى مر بي أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى الحجام ديناراً فاحتجمت وأعطيت الحجام ديناراً .

وعلى الطالب أن يعظم شيخه فقد قال المغيرة : كنا نهاب إبراهيم كما نهاب الأمير .

وقال البخاري : ما رأيت أحداً أوقر المحدثين من يحيى بن معين . وفي الحديث النبوي الشريف : تواضعوا لمن تعلمون منه (١) .

(١) راجع تدريب الراوى ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .  
(٢) رواه البيهقي مرفوعاً من حديث أبي هريرة .

وعن عبادة بن الصامت مرفوعاً : ليس منا من لم يحجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا (١) .

وينبغي أن يفيد غيره من إخوانه ، قال النووي : وينبغي للطلاب إذا ظفر بسماع أن يرشد غيره إليه ، فإن كتمان العلم عنهم لؤم يقع فيه جهالة الطلبة ، لأن من بركة الحديث إفادة الناس به ونشره .

وقال ابن معين : من يحجل بالحديث وكرم على الناس سماعه لم يفلح . وقال ابن المبارك : من يحجل بالعلم ابتلى بثلاث : إما أن يموت فيذهب علمه ، أو ينس ، أو يتبع السلطان .

وعلى طالب العلم أن يحذر من الكبر أو الحياء فيكونا أو أحدهما علة في عدم تحصيل الحديث ، فعن البخاري : لا ينال العلم مستحى ولا مستكبر . وقال عمر بن الخطاب : من رق وجهه دق علمه .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمتنعن الحياء أن يتفقهن في الدين .

وقال الأصمعي : من لم يحتمل ذل التعليم ساعة بقي في ذل الجهل أبداً :

وعن عمر بن الخطاب : لا تتعلم العلم لثلاث ، ولا تتركه لثلاث :

لا تتعلمه لتمازى به ، ولا ترأى به ، ولا تباهى به .

ولا تتركه ، حياء من طلبه ، ولا زهادة فيه ، ولا رضا بجهالة ؛

## بيان طرق التحمل

### الطريق الأول: السماع من الشيخ

مفهومه :

أن يروى الشيخ الحديث لمريديه وتلاميذه .

وقد يكون التحديث من الشيخ من غير إملاء أو مع إملاء .

وقد يكون في كليهما من حفظه ، أو من كتابته .

فهى صور أربع :

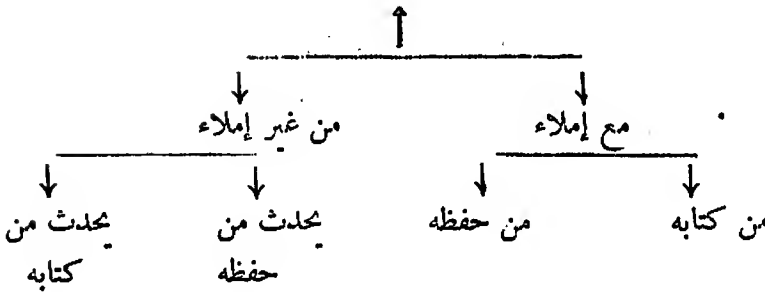
١ - يحدث ويعلى من حفظ .

٢ - يحدث ويعلى من كتاب .

٣ - يحدث ولا يعلى لأنه حافظ .

٤ - يحدث من كتاب ولا يعلى لأنه ليس حافظاً .

يحدث الشيخ تلاميذه



وهذا القسم هو أرفع الطرق في التحمل وأرفع درجات الرواية عند

الأكثرية من العلماء ، وذلك لما في هذا الطريق من شدة التحرى من كل

من : الشيخ والطالب لا سيما إذا كان التحديث مع الإملاء .

ومن آداب هذا الطريق : أن يترك الأستاذ أو الشيخ والطالب أو المريد كل ما يشغل عن السماع ، وقد صح عند العلماء أن كل سماع يصاحب بما يشغل عنه مما يمتنع معه الفهم لا يعد طريقاً للتخمل بالسماع .

ولاحتمال الانشغال ببعض الكلمات أو التقييد السريع من الطالب استحسن العلماء استحباب أن يميز الشيخ جميع السامعين روايته لجميع الجزء أو الكتاب الذي سمعوه ولذا فقد قالوا : لا غنى في السماع عن الإجازة وذلك تلافياً لما قد يقع من غفلة أو غلط أو انشغال بشيء يسير من الكلام أو التقييد :

### صنيع الأداء لهذا الطريق :

والصنيع المناسبة للراوى الذى أخذ من شيخه عن طريق ( السماع ) هى - كما يروىها الخطيب البغدادي على الترتيب :

سمعت ثم

حدثنا ثم

حدثني ثم

أخبرنا ، وهو كثير الاستعمال لمن أخذ الحديث بالسماع ويقال : أن عبد الله بن المبارك ، وحماد بن سلمة كانوا لا يكادون يعبرون عما سمعوه من لفظ ممن حدثهم به سماعاً إلا بقولهم : أخبرنا ، وهذا كله قبل أن يخصص لفظ ( أخبرنا ) بما قرئ على الشيخ .  
أنبأنا أو نبأنا غير أنهما قليلا الاستعمال .

والإمام الزركشى والقسطلاني يجنحان إلى أن ( حدثنا ) أرفع من ( سمعت ) وذلك إذا كان حديثه على العموم .

كما يذهبان إلى أن ( سمعت ) أرفع من ( حدثني ) إن كان حديثه على الخصوص .

## الطريق الثاني: القراءة على الشيخ

وصور هذا الطريق :

أن يقرأ الطالب على الشيخ من حفظه .

أن يقرأ الطالب على الشيخ من كتابه .

أو أن يقرأ غير الطالب على الشيخ من حفظه أو من كتابه والآخر يسمع .

فإن كان الشيخ في هذه الصور حافظاً لما يعرض أو يقرأ فلا بأس ،

أما إذا كان الشيخ غير حافظ لما يقرأ عليه فيشترط أن يكون مع الشيخ

الأصل الذى يقرأ منه الطالب وأن يمك به ، وتكون الرواية على هذا

صحيحة والتلق مقبول ( وتسمى هذه الطريقة بعرض القراءة ) .

واختلف العلماء في أفضلية الصورتين فقال قوم بأفضلية قراءة الطالب

وقال آخرون بأفضلية قراءة آخر وهو يسمع . . .

وصيغ الأداء لهذا الطريق هي :

أخبرنا . . قال صاحب كتاب الإنصاف : إنهم جعلوا ( أخبرنا )

علماً يقوم مقام قول قائله : ( أنا قرأته عليه ) .

### موازنة

#### بين طريق السماع وطريق القراءة

أى الطريقين أرجح من الآخر في تقديمه درجة على مقابله في قبول

رواية الحديث أطريق السماع أرجح أم طريق القراءة ؟

( أ ) جمهور العلماء من : علماء الحجاز ، والكوفة ، وأصحاب مالك

ابن أنس وشيوخه من علماء المدينة ، والإمام البخارى يذهب إلى التسوية

بين الطريقين .

ولكن الإمام السيوطي يعلل هذه التسوية بأنها ليست تسوية في الدرجة بل تسوية في صحة الطريقتين في مواجهة من أنكر طريق القراءة .

( ب ) وجمهور علماء المشرق ترجيح السماع من لفظ الشيخ ، وهو مذهب ابن الصلاح وصححه النووي والطبري ( ١ ) وقال : لعل الوجه فيه أن الشيخ حينئذ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسفيره إلى أمته ، والأخذ منه كالأخذ منه صلوات الله وسلامه عليه ( ٢ ) .

( ج ) ومذهب الإمام أبي حنيفة النعمان وابن أبي ذؤيب ترجيح القراءة على الشيخ .

( د ) وفصل ابن حجر المسألة :

فاختار ترجيح السماع في حالة استواء الشيخ والطالب في العلم أو إذا كان الطالب أعلم من الشيخ لأنه في هذه الحالة يكون أوعى لما يسمع .

أما إذا كان الطالب مفضولا فقراءته على الشيخ أولى لأن القراءة في هذه الحالة تكون أضبط له .

أما إذا كان السماع إملاء من الشيخ فهو أعلى درجات التحمل لما يلزمه من التحري الدقيق من الشيخ والطالب معا إذ الشيخ يتثبت في إملائه ، والطالب يتثبت في كتابته .

---

(١) راجع علوم الحديث ، ص ١٤١ .

(٢) راجع الكفاية ، ص ١٠٣ .

## الطريق الثالث : المناولة

مفهومها :

أن يدفع الشيخ سماعه أو فرعاً منه مقابلاً به للطالب .  
بمعنى أن يعطى الشيخ للطالب من مروياته بيده وأن يخبره أن هذا  
من مروياته .

أقسامها :

وتنقسم المناولة إلى قسمين :

القسم الأول : : المناولة المقرونة بالإجازة :

وهذه أعلى أنواع الإجازة على الإطلاق كما روى عن مالك .

وصورها أربع :

— أن يعطى الشيخ للطالب أصل سماعه أو فرعاً مقابلاً به ويقول :  
هذا سماعي ، أو هذه روايتي عن فلان فاروه غنى ، أو أجزت لك روايته  
غنى ، ثم يمسه . . بمعنى : يقيه في يده تملكياً ، أو إلى أن ينسخه .

— أن يأتي الطالب بكتاب أو جزء من حديثه فيعرضه على شيخه ،  
فيأمله الشيخ وهو في كمال يقظته ووضوح معرفته ، ثم يعيده إليه ويقول  
له : وقفت على ما فيه : وهو حديثي عن فلان ، أو هو روايتي عن شيوخي  
فيه ، فاروه غنى ، أو أجزت لك روايته غنى .

وتسمى هذه الصورة : عرض المناولة .

— أن يناول الشيخ الطالب كتابه ويجيز له روايته عنه ثم يمسه  
الشيخ عنده ، ولا يمكن الطالب منه (١) .

---

(١) هذه تساوى في الإجازة : الإجازة للشيء المعين .

— أن يقدم الطالب للشيخ كتاباً أو جزءاً قائلاً للشيخ :

هذا روايتك فناولنيه وأجز لي روايته ، فيجيبه إلى ذلك من غير أن ينظر فيه أو أن يتحقق من روايته وهذه الصورة لا تقبل إلا بشرط أن يكون الطالب موثقاً بخبره ومعرفته .

القسم الثاني :

المناولة بلا إجازة :

بمعنى أن الشيخ يناول تلميذه كتاباً أو فرعاً مقابلاً على سماعه ويقتصر على قوله له : هذا حديثي ، أو هذا سماعي ، ولا يقول له : اروه عني ، أو أجزت لك روايته عني . .

وقد اختلف في صحة هذه المناولة :

فعابها الأصوليون والفقهاء كما نقل ذلك عن ابن الصلاح :

وقال العراقي : قال جماعة من أهل الأصول منهم الرازي : إنه لا يشترط الإذن بل ولا المناولة ، بل إذا أشار إلى الكتاب وقال : هذا سماعي من فلان جاز لمن سمعه أن يرويه عنه .

صيح الأداء لهذا الطريق .

ناولني إجازة .

أنبأنا إجازة .

أخبرنا مناولة .

حدثنا مناولة .

أخبرنا إذنا .



## الطريق الرابع : الإجازة

مفهومها :

تسويغ الشيخ للطالب أن يروى عنه لفظاً أو خطأ :  
كأنما الطالب يستجيز شيخه رواية علمية فيجيزه ، أو هي طلب الإذن  
في رواية مسموعات الشيخ فيجيز له ذلك .

أقسامها :

والإجازة على ضروب كثيرة منها :

— إجازة معينة لمعين كأن يجيز الشيخ الطالب كتاب البخارى وهذا  
أعلى أنواع الإجازة المجردة عن المناولة .

— إجازة معين في غير معين كأن يجيز الشيخ لطالب معين أحاديث  
غير معينة وعبارتها : أجزتك جميع مسموعاتي أو مروياتي . . .

وهذه الإجازة محل خلاف بين العلماء . والجمهور من المحدثين  
والفقهاء على إجازتها ووجوب العمل بها .

الإجازة لغير معين بوصف العموم كقوله : أجزت المسلمين أو  
أجزت من أدرك زمانى أن يروى حديثي .

قال ابن الصلاح : ولم نر ولم نسمع عن أحد ممن يقتدى بهم أنه  
استعمل هذه الإجازة .

— الإجازة للمعدوم كقوله : أجزت لمن يولد لفلان ، وهي محل  
خلاف :

أما الخطيب فقد أجازها ومعه أبو يعلى بن الفراء الحنبلي .

وأما القاضى أبو الطيب الطبرى فقد أبطلها وردّها ومعه فى هذا ابن الصباغ ، وقاسوها على الإخبار عن المعلوم ، فكما لا يجوز الإخبار للمعلوم فكذلك لا يجوز ولا تصح الإجازة إليه ، وإلى هذا مال ابن الصلاح وقال : لو قدرنا أن الإجازة إذن فإن ذلك لا يصح للمعلوم كما لا يصح الإذن للمعلوم فى باب الوكالة لوقوع الإذن فى حالة لا يصح فيها المأذون فيه من المأذون له .

وفضيلة الشيخ محمد محمد السماحى أضاف إلى المسألة افتراضاً آخر هو : أن يجز للمعلوم تبعاً لموجود ، ثم قال : وهذا أقرب إلى الجواز (١) لكن ما هى صورة المعلوم التابع للموجود ؟ أليست هى الوصية لولد فلان وهى محط كلام العلماء ؟

### الإجازة على التعليق :

وللتعليق صور منها :

— أن يعلق على مشيئة فلان .

— أن يعلق على مشيئة من شاء الإجازة .

ورأى العلماء أن التعليق هنا أظهر فى فساد الإجازة لأنه مفض إلى الحالة وهو من قبيل التعليق بشرط وهو مفسد للإجازة . .

— أن يعلق على مشيئة من شاء الرواية عنه .

— أن يعلق لفلان إن شاء الرواية عن الشيخ .

ورأى العلماء أن التعليق هنا صورى لا يضر الإجازة والأظهر فيه صحة جوازه لأن مقتضى الإجازة تفويض الرواية إلى مشيئة المجاز له فالإجازة واضحة ، والتعليق صورى .

---

(١) غيث المستفيث ، ص ٢٠ - ١٢١ .

## الإجازة لمن ليس أهلاً للأداء :

مثل : الحمل ، الطفل ، والمجنون ، والكافر ، والفاسق ، والمبتدع .  
أما الحمل : فهو من قبيل الإجازة للمعلوم ، قال العراقي : لم أجد فيه نقلاً ولكنه أولى بالإجازة من المعلوم .

وأما الطفل : فإن كان غير مميز فهي غير صحيحة عند ابن الصلاح وأجازها البعض .

وأما المجنون : فالإجازة له صحيحة عند السيوطي .

وأما الكافر : فقد يصح سماعه من الشيخ لكن الإجازة له لم يوجد فيها نقل عن العلماء كما حكاه العراقي .

وأما الفاسق والمبتدع : فهما أولى بالإجازة من الكافر لكنهما لا يؤديان إلا إذا زال المانع .

وهنا نحب أن نفرق بين موقفين :

موقف الإجازة في تعلم العلم والوقوف عليه لمثل هؤلاء .

وموقف الرواية والتلقي عنهم .

الأول : حق إنساني أقره علماء الإسلام ولم يمنعوهم منه ، بل أفسحوا لهم في طلب العلم والتلقي عن الشيخ .

الثاني : حق الله ورسوله وأمانة الأداء للسنة ، ولا يؤدي هذا إلا من امثل ما حفظ من أوامر ونواهي وآداب ، فما لم يستسلم هؤلاء لقوانين الإسلام فلا مقام لهم في التلقي عنهم العلم والحديث .

وهذا رد على أصحاب مذهب العلمانية في بعض الجامعات الإسلامية الذين يجعلون البحث العلمي فوق احترام القيم الإسلامية مدعين أن باب العلم أوسع في التقدير من القيم الإسلامية ، وما فرقوا بين مقام التحمل ومقام

الأداء . إن مقام التحمل وطلب العلم حق إنسانى مرتبط بكرامة الإنسان ولهذا أجازته العلماء حسبما سلف من توضيح .

أما مقام الأداء فهو مقام التنشئة الاجتماعية وتوريث القيم الإسلامية إلى الأجيال القادمة، وهذا يحتاج إلى أمين على نقل الموارث بمستواها النقى الخالص؛ وذلك يتطلب أمانة في السلوك وأمثالا بالعمل ، وتحقيقاً بالأفعال . . وغير ذى المروءة والتقوى لا يكون أهلاً لذلك . ولهذا رد العلماء رواية الكافر والفاسق والمبتدع ومن كان على شاكلتهم . . .

إجازة من أجزى لغيره كلا أو بعضاً :

مثل أن يقول له : أجزتك مجازاتى أو جميع ما أجزى لى روايته أو بعضه؛ والرأى الذى يرتضيه العلماء أن هذه الإجازة صحيحة ، قال ابن الصلاح : الذى عليه العمل أن ذلك جائز .

وقال أبو نعيم الأصبهاني : الإجازة على الإجازة قوية جائزة .  
هكذا أجهده العلماء أنفسهم فى وضع ضوابط لحماية طريق الإجازة من التلوث بأهل البدع والأهواء والضعفاء . . . فانظر يارعاك الله كيف يتهم المعاصرون السنة بالأباطيل التى يرددها هواة الاستشراق اللدود ؟

صبيغ الأداء :

وصبيغ الأداء لمن تحمل الحديث بطريق الإجازة أن يقول : أجزانى فلان، أو يقول : أخبرنا على ما ذهب إليه أبو نعيم والأدق أن يقول : أخبرنا لإجازة . . .

وعند الأوازعى : خبرنا (بتشديد الباء) .

## الطريق الخامس : المكاتبة

مفهومها :

أن يكتب الشيخ مسموعه ، أو شيئاً من حديثه لطالب حاضر عنده أو غائب عنه سواء كتب بخطه أو كتب غيره بأمره (١) .

أقسامها :

وتنقسم المكاتبة إلى قسمين على المشهور :

( أ ) مكاتبة مع إجازة وذلك كأن يكتب له مسموعاته أو بعضاً منها ثم يقول له أجزت لنا روايتها .

وهذا القسم شبيه في صحته وقوته بالمناولة المقرونة بالإجازة .

( ب ) مكاتبة غير مقرونة بالإجازة كأن يكتب له الشيخ مسموعاته أو بعضاً منه دون أن يتلفظ بالإجازة له وحكمها عند الليث بن منصور وغير واحد من الشافعية الجواز والصحة .

( ج ) أقول : وهناك احتمال ثالث لم يذكره العلماء وهو : المكاتبة مع المناولة ، وذلك بالنسبة للطالب ما كتبه أو ما أمر غيره بأن يكتبه له ، والمكاتبة مع المناولة أقوى من المكاتبة مع الإجازة .

صيغ الأداء :

والصيغ التي يؤدي بها الرواية من تحمل الحديث بطريق المكاتبة أن يقول : حدثني فلان مكاتبة أو كتابة ، فقد جوز الليث بن منصور إطلاق ( حدثنا ، وأخبرنا ) في الرواية بالمكاتبة .

غير أن ابن الصلاح رفض ذلك . . . ومعه ذلك أيضاً أبو نعيم إذ يرى أن لفظ أخبرنا يكون في الإجازة وحدثنا في السماع والأدق أن يقول : كتب إلى فلان . . .

---

(١) الكفاية ، ص ٣٢٧ ، الإلماع ، ص ٨٣ .

## الطريق السادس : إعلام الشيخ

مفهومه :

أن يعلم الشيخ الطالب أن هذا الحديث أو هذا الكتاب سمعاه من فلان أو روايته دون أن يأذن للطالب في الرواية .

وقد اختلف العلماء كثيراً في حكم الرواية عن هذا الطريق إذ أن إعلام الشيخ هنا لا يكفي في الدلالة على تحمل الحديث ولهذا جزم الإمام الغزالي وكثير من المحدثين أن عدم تجاوز الرواية به هو الأليق، وعارض عدم الجواز هذا كثير من علماء الفقه والأصول وعلماء الظاهرية وغيرهم ، وبه أخذ القاضي عياض في الإلماع وعلل لذلك بقوله : لأن اعترافه به ويصححه له أنه مثل تحديثه له بلفظه وقراءته إياه وإن لم يجر الشيخ له (١) ولكن لا خلاف بين العلماء في وجوب العمل بالحديث المعلن عنه إن صح سنده (٢) .

صبيغ الأداء :

وصيغة الأداء على الرأي القائل بصحة التحمل هي أعلمني فلان .

(١) الإلماع ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٢) فتح المنيث للسخاوي على ألفية العراقي ، ج ٢ ، ص ١٠٠ - ١٠٣ .

## الطريق السابع : الوصية

مفهومها :

أن يوصي الشيخ عند موته أو عند سفره لشخص بكتاب كان يرويه ذلك الشيخ .

وقد اختلف العلماء في صحة التحمل عن هذا الطريق .

فجوزه فريق من السلف .

ومنعه النووي وقال : الصواب أنه لا يجوز .

وإلى هذا ذهب ابن الصلاح وقال : القول بجوازه بعيد جداً .

لكن بقي أن يقال : لم لم تكن الوصية من قبيل الإجازة ؟

غاية ما هنالك أنها إجازة معلقة على شرط الموت أو شرط السفر إن كانت الوصية بالرواية بعد الشرط . وهو شرط صوري أو تعليق صوري . ولذا فالرأي ما قاله السلف من صحة طريق التحمل بالوصية .

صنع الأداء :

وصنع الأداء لهذا الطريق لم أقف عليها .

## الطريق الثامن : الوجدادة

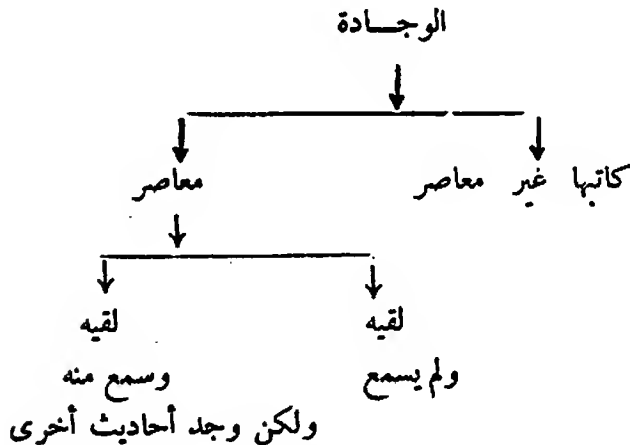
مفهومه :

أن يقف على أحاديث بخط راويها .

وللوجدادة عدة صور منها :

- أن يقف على أحاديث بخط راويها غير المعاصر له .
- أن يقف على أحاديث بخط راويها المعاصر له ولكنه لم يلقه .
- أن يقف على أحاديث بخط راويها المعاصر له وقد لقيه لكنه لم يسمع منه .

- أن يقف على أحاديث بخط راويها المعاصر له وقد لقيه وسمع منه ولكن لا يروى تلك الأحاديث الخاصة عنه بسماع ولا إجازة .  
والوجدادة ليست طريقاً صريحاً من طرق التحمل بل هي حكاية عما وجد من الكتب (١) .



(١) الباحث الحديث ، ص ١٤٢ . توضيح الأفكار ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ .



وقد اختلف العلماء في جواز الرواية عن طريق التحمل بالوجدادة :  
- فقال ابن كثير : الوجدادة ليست من باب الرواية بل هي حكاية عما وجدته في الكتاب .

- ونقل عن معظم المحدثين والفقهاء المالكيين أنه لا يجوز .  
أما عن حكم العمل بها ففيه خلاف :

- واختلف الشافعية بين من أجاز ومن أوجب العمل بالوجدادة عند حصول الثقة .

- والنبوي والطبري وابن الصلاح يذهبون إلى الجواز لعله هي أنه لو توقف العمل إلا بالرواية لانسد باب العمل بالتقول لتعذر شرط الرواية في هذه الأزمان (١) .

- والمالكية لا يرون العمل بها .

هذا وقد وجد في مسلم عدة أحاديث عن طريق الوجدادة عدها العلماء من قبيل المنقطع (٢) . وهي :

( ١ ) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : وجدت في كتابي عن أبي أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتفقد يقول : أين أنا اليوم ، أين أنا غدا ، استبطاء ليوم عائشة قالت : فلما كان يوم قبضه الله بين سحري ونحري . ( رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة رضي الله عنها ) .

---

(١) توضيح الأفكار للصنعاني ، ج ٢ ، ص ٣٤٨ . ( يراجع تدريب الراوي ، ج ٢ ، ص ٨ - ٦٣ . راجع الباعث الحثيث ، ص ١٢٠ - ١٤٦ . راجع توجيه النظر في أصول الأثر ، ص ٣٤٧ - ٣٤٨ ) .

(٢) الحديث المنقطع هو : ما سقط من رواته . راو واحد قبل الصحابي في الموضع الواحد أي موضع كان وإن تعددت المواضع بحيث لا يزيد الساقط في كل منها على واحد فخرج المعضل والمرسل وقيل : هو ما لم يتصل سنده ولو سقط منه أكثر من واحد فيدخل فيه المرسل والمعضل والمعلق .

(ب) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : وجدت في كتابي عن أبي أسامة حدثنا هشام ، وحدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا أبو هشام عن أبيه عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنى لأعلم إذا كنت على راضية وإذا كنت على غضبي ، قالت : فقلت ومن أين تعرف ذلك ؟ قال : أما إذا كنت على راضية فإنك تقولين : لا ورب محمد وإذا كنت غضبي قلت : لا ورب إبراهيم ، قالت : قلت : أجل والله يارسول الله ما أهرج إلا اسمك . ( رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضل عائشة رضي الله عنها ) .

(ج) حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة ، وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال : وجدت في كتابي عن أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : تزوجت رسول الله صلى الله عليه وسلم لست سنين وبنى بي وأنا بنت تسع سنين .  
( رواه مسلم في كتاب النكاح باب تزويج البكر الصغيرة ) .

### صيغ الأداء :

وصيغ الأداء لهذا الطريق من التحمل بالوجادة أن يقول :

وجدت بخط فلان أو

قرأت بخط فلان أو

في كتاب فلان بخطه أو

حدثنا فلان بن فلان ويذكر شيخه ، أو يقول :

قال فلان بشرط ألا يكون فيه تدليس .



## ثانيا : ضبط الاسناد

- الإسناد العالى .
- الإسناد النازل .
- أصح الأسانيد .

وكل ماقلت رجاله عـلا      وضده ذاك الذى قد نزلا  
( البيقونية )



## مفهوم الإسناد

الإسناد هو : الإخبار عن طريق المتن .

وقيل هو : رفع الحديث إلى قائله .

وضابط الأمر أن جو الحديث فيه عدة أمور :

• رجال رَوَوْا اللفظ المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابة الذين بلغوا عن النبي صفة من صفاته أو فعلا من أفعاله أو تقريراً لمسألة رضى عنها .

وهؤلاء يسمون بالطريق الموصلة بالمتن .

• ثم معنا بعد ذلك نسبة الحديث عن هؤلاء الرواة إلى قائله سواء كان القائل هو النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المرفوع أو هو الصحابة كما في الحديث الموقوف أو هو التابعي كما في الحديث المقطوع .

ونسبة الحديث إلى قائله هي إسناد الحديث ورفع إلى من قاله :

فالإخبار عن طريق المتن ، أو رفع الحديث ونسبته إلى قائله كلاهما يؤدي إلى غرض واحد هو نسبة الحديث إلى من قاله عن طريق الرجال الذين رَوَوْه (١) .

• ثم معنا متن الحديث وهو اللفظ المبلغ عن النبي صلى الله عليه وسلم .

الأمة الإسلامية هي وحدها المتميزة بشرف الإسناد :

الإسناد المتصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من ثقة عن ثقة وهكذا هو من منح الله التي اختصت بها الأمة الإسلامية ، فقد ورد عن الحاكم

---

(١) راجع قواعد التحديث ، ص ٢٠٢ .

عن مطر الوراق في تفسير قوله تعالى : « ايتوني بكتاب من قبل هذا ،  
أو أثارة من علم » قال الأثرارة من العلم هي الإسناد (١) .

فليست هناك أمة بمقتضى هذه الآية تملك سنداً من ثقة عن ثقة إلى  
نبيها عليه السلام الذي تؤمن به غير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن  
أمته هي التي تملك الإسناد المتصل الرجال .

وقد حافظ المسلمون من قبل على هذه الخاصية ، فعن سفيان بن  
عيينة : حدث الزهري يوماً بحديث ، فقلت : هاته بلا إسناد . فقال  
الزهري : أترقى السطح بلا سلم ؟ .

وقال الثوري : الإسناد سلاح المؤمن :

وقال أبو علي الجبائي : خص الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم  
يعطها من قبلها :

الإسناد - والأنساب - والإعراب :

قال ابن المبارك راوياً عن مسلم :

لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء (٢) :

ونقل عن ابن حزم قوله : نقل الثقة عن الثقة يبلغ من النبي صلى الله  
عليه وسلم مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل (٣) .

وفي العصر الحديث شهد رجل أوربي منصف للأمة الإسلامية بأنها  
وحدها المختصة بالإسناد المتصل .

فيقول العالم النمساوي الدكتور ليوبلد فاس :

---

(١) تدریب الراوی ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .

(٢) راجع تدریب الراوی ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .

(٣) راجع الفصل ، ج ٢ ، ص ٨١ - ٨٤ .

إنه لا يسعنا إلا أن نقول : إن الإسناد المتصل قرآنًا أو سنة عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم إنما هو خاص بالأمة المسلمة فقط .  
فإذا اعترض أحد اليوم على صحة حديث بعينه أو على الحديث جملة  
فإن عليه هو وحده أن يثبت ذلك وليس ثمة من يبرر مطلقاً من الناحية  
العلمية أن يجرح أحد صحة مصدر الحديث ... إلخ .



## أقسام الإسناد

ينقسم الإسناد إلى قسمين :

(أ) إسناد عال .

(ب) إسناد نازل .

(أ) الإسناد العالى :

مفهومه :

الإسناد العالى : هو الذى قلت رجال إسناده .

قال صاحب الیقونية :

وكل ما قلت رجاله علا وضده ذاك الذى قد نزلا

أقسام الإسناد العالى :

وينقسم الإسناد العالى إلى خمسة أقسام :

(أ) الإسناد العالى المطلق .

(ب) » » » بالقرب من الإمام .

(ج) » » » بالنسبة إلى رواية الصحيح من الكتب المعتمدة .

(د) » » » بالنسبة إلى تقدم وفاة الراوى .

(هـ) » » » بالنسبة لتقدم السماع .

أما الإسناد العالى المطلق : فهو ما كان أقربها طريقاً من النبى صلى الله عليه وسلم من حيث العدد وخلا من الكذابين وهم : ابن هدية ، ودينار ، وخراش ، ونعيم بن سالم ، ويعلى بن الأشدق ، وأبى الدنيا الأشج .

قال الذهبي : متى رأيت المحدث يفرح بعوالى هؤلاء فاعلم أنه عاى (١) .

ولهذا فقد أفتى العلماء بأن طلب الإسناد العالى سنة مؤكدة وقد خرج في رحلة علمية (٢) عدد من الصحابة يطلبون الإسناد، وقد خرج أبو أيوب إلى عقبة بن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد ممن سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير عقبة - والحديث في ستر المؤمن - ومن أجل هذا قال العلماء في الإسناد العالى المطلق أنه أجل الأقسام كلها .

وأما الإسناد العالى بالقرب من إمام من أئمة الحديث ، فمثل القرب من الأعمش ، وابن جريج ، والأوزاعي ، ومالك ، وشعبة مع الصحة وإن كثر بعده العدد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما الإسناد العالى بالنسبة إلى رواية الصحيح فقد سماه ابن دقيق العيد : علو التنزيل وله أربعة أحوال :

١ - الموافقة : وهي الوصول إلى شيخ البخارى ومسلم من طريقة مع علو درجته مثل حديث كتب الله القصاص، رواه البخارى عن محمد ابن عبد الله الأنصارى عن حميد عن أنس مرفوعاً، فإذا رواه الراوى عن محمد بن عبد الله الأنصارى فقد وقعت الموافقة للبخارى في شيخه .

٢ - البدل : وهو الوصول إلى شيخ البخارى أو مسلم كأن يقع الإسناد عن طريق آخر إلى راو مشترك بين الطريقين .

٣ - المساواة : استواء عدد الإسناد من الراوى إلى آخر الإسناد مع أحد أصحاب الكتب وذلك كأن يروى النسائي مثلاً حديثاً يقع بينه

---

(١) تدريب الراوى ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .

(٢) راجع في ذلك : توجيه النظر إلى أصول الأثر ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

وبين النبي صلى الله عليه وسلم فيه أحد عشر راوياً فيقع لنا ذلك الحديث بعينه بإسناد آخر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويكون بيننا في هذا الإسناد وبين النبي صلى الله عليه وسلم أحد عشر راوياً فيتساوى النسائي من حيث العدد مع الإسناد الذي وصلنا عن طريق آخر، وهذا الحال في غابر الزمان لا في عصرنا الحاضر ، فقد ورثنا الكتب الصحاح مطبوعة مأمونة ويكفيها أن الله تبارك وتعالى حفظها علينا حتى وصلت إلينا .

٤ - المصافحة : وهي مفقودة في هذا الزمان ومفهومها أن تقع المساواة لشيخك أنت مع مسلم ، فإذا أخذت عن شيخك المساوى لمسلم فكأنك صافحت مسلم وأخذت عن مسلم (١) .

أما الإسناد العالى بتقدم وفاة الراوى فمثاله .  
ما يروى عن ثلاثة عن البيهقي عن الحاكم أعلاها ما يروى عن أبي بكر ابن خليف عن الحاكم لأن البيهقي توفي قبل ابن خليف . وقد يكون بتقدم وفاة الشيخ واختلاف في الزمن الذي يعتبر فيه الإسناد عالياً فليل بمضى خمسين وقيل بمضى ثلاثين سنة على وفاته ، فقد روى عن أبي على الحافظ النيسابوري قال : سمعت أحمد بن عمر الدمشقي يقول : إسناد خمسين سنة من موت الشيخ إسناد علو .

كذلك روى عن أبي عبد الله بن مندة الحافظ : إذا مر على الإسناد ثلاثون سنة فهو عال .

وأما الإسناد العالى بتقدم السماع من الشيخ فنسمع منه قبلاً كان أعلى ممن سمع منه بعداً، وكذلك يتفاضلان في عدد سنوات السماع ، فأيهما كان

---

(١) راجع المنهج الحديث في علوم الحديث ، قم مصطلح الحديث ، ص ٢٩٩ . وكتاب غيث المستغيث ، ص ٢٠٦ لفضية الدكتور محمد السامح . راجع تدريب الراوى ، ج ٢ ، ص ١٦٥ - ١٦٨ . راجع الباحث الحديث ، ص ١٨١ - ١٨٤ .

أكثر كان أعلى . هذا وقد جعل بعض العلماء هذا القسم الخامس من أشكال القسم الرابع فهو تقدم إما : بوفاة الراوى ، أو الشيخ ، أو يتقدم السماع ، ويفرق بينهما فى نظرى أن القسم الرابع تقدم بالمفارقة وهذا تقدم بالمصاحبة فهما غيران لا قسيان .

تنبيهه :

اعلم أن الإسناد علم خاص بأحاديث الآحاد الصحيح منها والحسن والضعيف والمرفوع ، والموقوف والمقطوع ، والمرسل والمنقطع ، والمعضل ... إلخ ، لأن الإسناد يبحث عن صحة الحديث أو عن ضعفه من حيث صفات رواته وصيغ أدائهم .

أما المتواتر فلا يبحث عن رواته بل يجب العمل به من غير بحث لإفادته علم اليقين .

إذ المتواتر هو : ما رواه جمع عن جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب وهذا يفيد أنه لا يجوز البحث فى حالهم ، وإن جاز البحث فى عدد الجمع هذا(١) .

(ب) الإسناد النازل :

الإسناد النازل هو ما كثر عدد الرواة فيه ، وهو مشنوم كما قال ابن المدينى : النزول شؤم .

وقال ابن معين : الإسناد النازل قرحة فى الوجه .

هذا بينما ابن المبارك يرى أن العبرة بجودة الحديث لا قرب الإسناد وقال : ليس جودة قرب الإسناد بل جودة الحديث صحة الرجال ولكن

---

(١) توجيه النظر إلى أصول الأثر ، ص ٤٩ ، ٦٤ ، ٦٥ .

الإمام أحمد بن حنبل يرى أن طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف يقول ابن سيرين : أن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم . وهكذا يدور الحوار بين العلماء حول أى الإسنادين أفضل ؟ .  
أنه لا خلاف في أن الإسناد العالي أفضل .

ولكن الكلام في الإسناد النازل ، ففيه خلاف المذكور ، بعضهم يراه قرحة وشؤماً وبعضهم يراه لا بأس به ما دامت الضوابط سليمة في صحة الرجال . ولابن حبان تفصيل في هذا التفضيل قال فيه :

إن كان النظر في السند فالشيوخ أولى ، يعنى الإسناد العالي أفضل .  
وإن كان النظر في المتن فالفقهاء أولى ، يعنى سلامة الرجال (١) .  
قال الساف :

ليس حسن الحديث قرب رجال عند أرباب عامة النقاد  
بل علو الحديث عند أولى الحفاظ والإتقان صحة الإسناد (٢)

ويرى صاحب توجيه النظر إلى أصول الأثر : أن العلو والنزول ليس بالكثرة ولا بالقلة ، بل العلو والنزول بالنسبة إلى القرب من الإمام مع صحة الرواية ، وضرب لذلك مثلاً بحديث : أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر .

فقد روى هذا الحديث بإسناد بلغ رجاله سبعة كما جاء في رواية مسلم ، وقد روى بطريق آخر بإسناد عدد رجاله أربعة ولكن إسناد السبعة أعلى من إسناد الأربعة لأن في إسناد السبعة قرباً من إمام الحديث مع التأكد من صحة الإسناد (٣) .

(١) راجع تدريب الراوى ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .

(٢) المنهج الحديث في علوم الحديث ، ص ٣٠٤ .

(٣) راجع توجيه النظر ، ص ١٦٣ .

## (ج) أصح الأسانيد :

للعلماء في هذه القضية وجهتا نظر :

الوجهة الأولى : أن المختار ألا يجزم في إسناد من الأسانيد بأنه أصح الأسانيد مطلقاً وعللوا ذلك بما يلي :

(أ) لأن مراتب الصحة متفاوتة وتفاوت مراتب الصحة مرتب على تمكن الإسناد من شروط الصحة ، وتمكن الإسناد من شروط الصحة في سلسلة رجال السند يعز وجوده في ترجمة واحدة .

(ب) يحتاج الحكم بأن إسناداً ما أصح الأسانيد أن يكون هناك استقراء تام يتوصل به بعد تفتيش الأسانيد كلها إلى أن إسناداً من الأسانيد هو الأصح . . وهذا الاستقراء غير موجود فكل ما هو موجود تقوية طريق من الطرق لأنه معروف في بلد من البلدان فقد اشتهر عن وكيع قوله : لا نعدل بأهل بلدنا أحداً .

وتبعاً لهذا فإنه لا يجوز أن يقال : أن حديث كذا أصح الأحاديث على الإطلاق .

الوجهة الثانية : أن التفاوت في مراتب الصحة هو محل الحكم بالأغلب على أن إسناداً من الأسانيد أصح من غيره ، بمعنى : أن ترجمة من الترجمات كان أكثر رجالها متمكناً من شروط الصحة فهو إسناد أقوى وأصح مما هو بخلافه .

فالحكم ليس على الإطلاق عندهم حتى يحتاج إلى استقراء تام ، بل الحكم على الأغلب الذي تمكنت فيه شروط الصحة .

والحكم بأصح الأسانيد له زاويتان :

الزاوية الأولى : الحكم بأن الإسناد في أهل بلد يكون أصح من أهل بلد أخرى مثل ما قاله الخطيب : أصح السنة ما يرويه أهل الحرمين :

مكة ، والمدينة ، وعلة ذلك ، أن التدليس عنهم - لا فيهم - قليل ، وأن الكذب والوضع يكاد ينعدم في إسنادهم .

وقد قال ابن المبارك : حديث أهل المدينة أصح وإسنادهم أقرب .

وقد قال الشافعي رحمه الله تعالى : إذا لم يوجد للحديث من الحجاز أصل ذهب نخاعه .

وقد قال أيضاً : كل حديث جاء من العراق وليس له أصل في الحجاز فلا تقبله وإن كان صحيحاً .

وسئل حبيب بن أبي ثابت : أيهما أعلم بالسنة أهل الحجاز أم أهل العراق ؟ فقال : بل أهل الحجاز .

ولذا فقد قال الزهري : إذا سمعت بالحديث العراقي فأورد به ثم أورد به .

وقال طاوس : إذا حدثك العراقي مائة حديث فاطرح تسعة وتسعين .

وقال هشام بن عروة : إذا حدثك العراقي بألف حديث فأتق تسعمائة وتسعين وكن من الباقي في شك .

وقال الزهري : إن في حديث أهل الكوفة دغلاً كثيراً .

الزاوية الثانية : الحكم بصحة الإسناد في الطرق والرجال وهي كالآتي :

الإسناد عن أبي بكر : أضح الإسناد عن أبي بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه هو : إسناد إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر .

الإسناد عن علي بن أبي طالب : أضح الإسناد عنه أربعة طرق :

الأول : محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني عن علي .

الثاني : الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي .

الثالث : جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي .

الرابع : يحيى بن سعيد القطان عن سفيان الثوري عن سليمان التيمي  
عن الحارث بن سويد عن علي .

الإسناد عن عائشة أم المؤمنين : أصح الأسانيد عن أم المؤمنين عائشة  
بنت أبي بكر رضي الله عنها ستة طرق :

الأول : هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة .

الثاني : أفلح بن حميد عن القاسم عن عائشة .

الثالث : سفيان الثوري عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة هـ

الرابع : عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة :

الخامس : يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن عمر عن القاسم عن عائشة هـ

السادس : الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة .

الإسناد عن سعد بن أبي وقاص : أصح الإسناد عنه رضي الله عنه :

علي بن الحسين بن علي عن سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص .

الإسناد عن عبد الله بن مسعود : أصح الأسانيد عن عبد الله بن  
مسعود طريقان :

الأول : الأعمش عن إبراهيم عن علقمة بن مسعود .

الثاني : سفيان الثوري عن منصور بن إبراهيم عن علقمة عن  
ابن مسعود .

الإسناد عن عبد الله بن عمر : أصح الأسانيد عنه رضي الله تعالى  
عنه أربعة :

الأول : مالك عن نافع عن ابن عمر .

الثاني : الزهري عن سالم عن أبيه عن ابن عمر .

الثالث : أيوب عن نافع عن ابن عمر .



الرابع : يحيى بن سعيد القطان عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر .

الإسناد عن أبي هريرة : وأصح الأسانيد عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ستة :

الأول : يحيى بن كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة .

الثاني : الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة .

الثالث : مالك عن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان عن الأعرج عن أبي هريرة .

الرابع : حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة .

الخامس : إسماعيل بن أبي حكيم عن عبيدة بن سفيان الحضرمي عن أبي هريرة .

السادس : معمر بن همام عن أبي هريرة .

الإسناد عن أم سلمة رضى الله عنها : وأصح الأسانيد عن أم سلمة رضى الله عنها هو :

شعبة عن قتادة عن سعيد بن عامر أخى أم سلمة .

الإسناد عن عبد الله بن عمرو بن العاص : وأصح الأسانيد عن عبد الله ابن عمرو بن العاص هو :

عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

( وذلك على أصح الآراء عند الناقلين من العلماء ) .

الإسناد عن أبي موسى الأشعري : وأصح الأسانيد عن أبي موسى الأشعري هو :

شعبة عن عمرو بن مرة عن أبيه مرة عن أبي موسى .

الإسناد عن أنس بن مالك : وأصح الأسانيد عن سيدنا أنس بن مالك  
رضي الله تعالى عنه سبعة :

الأول : مالك عن الزهري عن أنس :

الثاني : سفیان بن عيينة عن الزهري عن أنس .

الثالث : معمر عن الزهري عن أنس .

الرابع : حماد بن زيد عن ثابت عن أنس .

الخامس : حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس .

السادس : شعبة عن قتادة عن أنس .

السابع : هشام الدستوائي عن قتادة عن أنس .

الإسناد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : وأصح الأسانيد عن  
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما هو :

الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس .

الإسناد عن جابر بن عامر : أصح الأسانيد عن جابر بن عامر هو :

الليث بن سعد عن يزيد بن عبد الله بن حبيب عن أبي الخير عن عتبة عن  
جابر بن عامر .

الإسناد عن أبي ذر : وأصح الأسانيد عن أبي ذر رضي الله عنه هو :

سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن  
أبي ذر .

الإسناد عن بريدة : أصح الأسانيد عن بريدة هو : الحسين بن واقد

عن عبد الله بن أبي بريدة .

أصح الأسانيد في أئمة التابعين : وأصح الأسانيد في التابعين طريقان :

الأول : شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن شيوخه من الصحابة :

الثاني : الأوزاعي عن حسان بن عطية عن شيوخه من الصحابة :

هذه هي الأسانيد التي يجب علينا احترامها والتسليم بمروياتها دون أدنى تردد لأنها في أعلى درجات الصحة والثبوت .

فهل لمسلم عاقل أن يجزؤ على الطعن في هذا الشرف العلمي النقي الطهور ؟  
أما ليوبولد فاس فقد قال :

إذا اعترض أحد اليوم على صحة حديث بعينه أو على الحديث جملة فإن عليه هو وحده أن يثبت ذلك وليس ثمة من يبرز مطلقاً من الناحية العلمية أن يجرح أحد صحة مصدر الحديث . أ.هـ.

فإذا ما قامت حثالة من أي جنس بشرى بقصد الطعن في السنة فلإنما هي حركات هائج فاقد العقل والشعور ... فأنى يستمع لصياحاته ؟ .

## ثالثاً: ضبط الرواة

( أ ) معنى الراوى .

( ب ) شروط فى الرواة .

( ج ) طبقات الرواة .



## (١) معنى الراوى

الراوى : هو من تحمل الحديث وأداه عن تحمله منه بصيغة من صيغ الأداء .

فالشخص الذى يتصدى لرواية الحديث عليه :

( أ ) أن يتحمل الحديث من شيخ معروف بأنه من علماء الحديث .

( ب ) أن يؤدى الرواية بصيغة الأداء التى تعبر عن صفة تحمله الحديث .

ومفهوم هذا : أنه لا يشتغل برواية الحديث ، ولا التكلم فى شىء من السنة إلا من كانت له دراية بعلم الحديث وله شيخ تحمل عنه العلم وأخذ عنه الرواية ، ولقد حذر السالفون من الأئمة من التحديث بالأسلوب الجزافى فقد روى فى مقدمة مسلم عن الإمام ابن سيرين أنه قال . : إن هذا العلم دين فانظروا عن تأخذون دينكم ( ١ - مسلم ، ج ١ ، ص ١٤ ) .

وقد حدثنا مسلم عن ابن أبى الزناد عن أبيه قال : أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون ما يؤخذ عنهم الحديث . يقال : ليس من أهله .

ولقد حذرنا النبى صلى الله عليه وسلم من اتباع هواة التحديث وليسوا من أهل الحديث ولا الرواية ، فى مسلم بسنده عن أبى عثمان مسلم بن يسار عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : سيكون فى آخر أمتى أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم ... ( ٢ - مسلم ، ج ١ ، ص ١٢ ) .

## (ب) شروط لا بد منها في الراوى

والراوى الذى تقبل روايته لا بد من تحقق شروط فيه وهى :

أن يكون ثقة ضابطاً لما يرويه .

ولتحقيق ذلك لا بد أن يكون :

— مسلماً .

— عاقلاً .

— بالغاً .

— سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة .

— وأن يكون متيقظاً غير مغفل .

— فاهماً إن حدث بالمعنى .

ويكون محل ثقة بعد هذه الشروط إذا ثبتت عدالته . وطريق إثباتها :

• الشهرة والاستفاضة والثناء عليه بالجميل .

• أو بشهادة الأئمة والشيوخ، وهذه الشهادة تثبت بشهادة عالم واحد ،

ويعرف ضبطه بموافقة للثقاة في الرواية لفظاً ومعنى .

ومن أجل التحقق من انضباط هذه الشروط كان علم الجرح والتعديل على نحو ما سيأتى إن شاء الله تعالى .

وأحب أن أنبه من أول الأمر إلى أن هذه الشروط خاصة بغير الصحابة،

أما الصحابة فكلهم عدول ، فمن علمهم فقد أخطأ ، ومن جرحهم فقد سفه نفسه .

والعدالة المقصودة هنا : هى محافظة دينية تحمل صاحبها على ملازمة

التقوى والمروءة ولا يكون معها بدعة .

وقد عرفها الإمام الغزالي رضى الله عنه بأنها : هيئة راسخة في النفس من الدين تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة جميعاً .

وسلامته من أسباب الفسق باجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر ، فإذا اكتملت الشروط قبلت الرواية .



## (ج) طبقات الرواة

وأشهر الكتب الخاصة بهم :

مفهوم الطبقة : الطبقة في اللغة : عبارة عن القوم المتشابهين .  
وعند علماء الحديث : قوم تقاربوا في السن والإسناد ، أو في الإسناد فقط بأن يكون شيوخ هذا هم شيوخ الآخر .

ولما اعتبر التشابه ضابطاً للطبقة فالصحابة بصحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم طبقة واحدة والذين شاهدوا الصحابة وتحملوا عنهم وهم التابعون طبقة كذلك ، وأتباع التابعين طبقة ثالثة وهم جرا .

وهذا لا يمنع أن تكون كل طبقة فيها مراتب ، ففي طبقة الصحابة ، رواية الكبار ، ورواية الصغار . وفي طبقة التابعين مراتب حسب كمال الشروط التي سقناها سالفاً .

وقد اختلف الكاتبون في تقسيم الطبقات اختلافاً لا يفسد للعلم قضية لأنه اختلاف في المناحي لا في الغايات والمقاصد .

ودليل هذا الاتجاه الحديث الصحيح :

« خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » (١) .

تقسيم الطبقات :

( ١ ) ابن سعد في الطبقات :

ذكر من كان يفتي بالمدينة ويقتدى به أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم علي بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ،

---

(١) رواه الشيخان من طريق عمران بن حصين .

وأبي بن كعب ، وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبو موسى الأشعري رضى الله عنهم جميعاً ( هذه طبقة ) .

ثم ذكر أهل العلم والفتوى من أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم : عبد الله بن سلام ، وأبو ذر ( وهذه طبقة ) .

والذين جمعوا القرآن على عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم : زيد بن ثابت ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وعمران بن حصين ، وعائشة أم المؤمنين رضى الله عنهم ( وهذه طبقة ) .

ثم ذكر من كان يفتى بالمدينة بعد أصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبناء المهاجرين وأبناء الأنصار وغيرهم ، ومنهم : سعيد ابن المسيب ، وسليمان بن يسار وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وعكرمة ، وعطاء بن أبي رباح ، وعمر بن عبد الرحمن ، وعروة بن الزبير ، وابن شهاب الزهري ( وهذه طبقة ) .

ثم ذكر طبقات البدرين ونوعها إلى :

البدرين من المهاجرين .

البدرين من الأنصار .

ثم ذكر النقباء ليلة العقبة الأخيرة وابتدأهم بأسيد بن حضير .

ثم ذكر الذين لم يشهدوا بدرأ من المهاجرين والأنصار .

ثم ذكر الذين أسلموا قبل الفتح ، ومنهم : خالد بن الوليد ومحسن ابن أبي قيس .

ثم ذكر التابعين من أهل المدينة وجعلهم مراتب .

(أ) الذين رووا عن عثمان بن عفان رضى الله عنه وبقيّة الصحابة من طبقته .

(ب) الذين رويوا عن أسامة بن زيد رضي الله عنه وبقيّة الصحابة من طبقته .

والحق بهذه الطبقة على بن الحسين وبعض الموالي إلى أن انتهى من عدة المراتب داخل هذه الطبقة وجعلها سبع مراتب أو طبقات بحسب صنيعه .

ثم ذكر طبقات المكين ، وجعلها خمس مراتب أو خمس طبقات .

ثم ذكر طبقات أهل الطائف .

ثم ذكر طبقات أهل اليمن وجعلها أربع طبقات .

ثم ذكر طبقات أهل الإمامة .

ثم ذكر طبقات أهل البحرين .

ثم ذكر طبقات الكوفيين ، وجعلها تسع طبقات .

ثم ذكر طبقات البصريين وجعلها ثمانى طبقات .

ثم ذكر طبقات أهل الشام ، وجعلها ثمانى طبقات .

ثم ذكر طبقات أهل مصر ، وجعلها ست طبقات .

ثم ذكر طبقات أيلة ، وعدّها ثمانية .

ثم ذكر طبقات أفريقيا .

ثم ذكر طبقات الأندلس ...

غير أن كتاب الطبقات لابن سعد لم يذكر الطبقات على النهج الذى يشقى غلة المحدثين . نعم هو كاف شاف فى مادة الرواة لكن التقسيم الذى نهجه اتبع فيه الجانب التاريخى ، فلا ملامة عليه من حيث هذا الاتجاه ، والذى أراه أن طبقاته ليست لأهل الحديث بالدرجة الأولى بقدر ما هى سجل للتاريخ الإسلامى .

(ب) شيخ الإسلام ابن حجر :

اتجه شيخ الإسلام ابن حجر في ذكر الطبقات إلى رواية الحديث فجعلها محور التقسيم ، فجعلها اثني عشرة طبقة .

الطبقة الأولى : الصحابة على اختلاف أعمارهم وأحوالهم فكلهم عدول .  
الطبقة الثانية : كبار التابعين كابن المسيب .

الطبقة الثالثة : الوسط من التابعين كالحسن وابن سيرين .

الطبقة الرابعة : من كانت روايته عن كبار التابعين مثل الزهري وقتادة .  
الطبقة الخامسة : الأصغر من التابعين ، الذين لم يثبت لهم سماع من الصحابة وإن رأوا واحداً أو اثنين مثل الأعمش .

الطبقة السادسة : من عاصر أهل الطبقة الخامسة دون أن يثبت لهم سماع أو لقاء مع أحد الصحابة مثل ابن جريج .

الطبقة السابعة : كبار أتباع التابعين ، مثل : مالك والليث .

الطبقة الثامنة : الوسط من أتباع التابعين ، مثل : ابن عينة وابن علبة .

الطبقة التاسعة : الأصغر من أتباع التابعين ، مثل : الشافعي وعبد الرزاق .

الطبقة العاشرة : من أخذ عن الطبقة التاسعة وهم كبار الآخذين عن تبع التابعين ولم يلق التابعين مثل أحمد بن حنبل .

الطبقة الحادية عشرة : الطبقة الوسطى بعد كبار الآخذين عن تبع التابعين مثل البخاري والذهلي .

الطبقة الثانية عشرة : صغار الآخذين عن تبع التابعين مثل الترمذي .

والذي أرجحه هو تقسيم ابن حجر لأنه جعل محور التقسيم رواية الحديث وهو المقصد الأجمل في هذا الباب .

## أشهر كتب الطبقات

من أجل ما كتب في الطبقات :

أولاً : الطبقات الكبرى لابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ ، وقد طبع في بيروت في ثمانية مجلدات وجعل المجلد التاسع للفهارس .

ثانياً : الاستيعاب لابن عبد البر ، جمع فيه ثلاثة آلاف وخمسة ترجمة . وذيّل عليه أبو بكر ابن فتحون ، ولكن الاستيعاب كما يقول ابن حجر : « وسمى كتابه الاستيعاب لظنه أنه استوعب ما في كتب من قبله ومع ذلك فاته شيء كثير فذيّل عليه ابن فتحون » .

ثالثاً : أسد الغابة لأبي الحسن علي بن محمد بن الأثير ، وهو مجموعة كتب شتى ، فقد جمع فيه كتاب : ابن منده ، وأبى نعيم ، وابن عبد البر ثم زاد عليها أسماء وضبط وحقق أشياء أخرى . ثم اختصره النووي لما فيه من التكرار بسبب الاختلاف في الكنى ، ثم اختصره الذهبي في كتاب سماه ( التجريد ) .

رابعاً : الإصابة في تمييز الصحابة ، لشيخ الإسلام ابن حجر . وهو أعظمها لأنه كتاب حافل مكث ابن حجر أربعين عاماً يكتبه بالتراخي ، ولذا يقول العلماء إن مسودات هذا الكتاب كتبت ثلاث مرات ، وبلغ مجموع ما فيه من التراجم ( ١٢٢٧٩ ) اثني عشر ألفاً ومائتين وتسعين نفساً . وقد رتبته ابن حجر على أربعة أقسام :

الأول : فيمن وردت صحبته بطريق الرواية عنه .

الثاني : فيمن ذكر من الصحابة من الأطفال .

الثالث : فيمن ذكر من المخضرمين .

الرابع : فيمن ذكر على سبيل الوهم .

خامسا: التاريخ لأبي عبد الله الذهبي رحمه الله ، وهو من الأعمال الجليلة  
التي كان يحرص على نشرها العارف بالله الإمام الأكبر الدكتور  
عبد الحلیم محمود رضى الله عنه وأرضاه . ويقوم الآن بنشره السيد :  
حسام الدين القدسي .

هذا ... وهناك كتب أخرى كثيرة يكفى ما ذكرته منها لمن شاء أن  
يتعرف على رجال الحديث .



أبنا : مخرج العمار في ضبط السند  
وتتسليم الحديث





٦ -

منهج العلماء في ضبط السند

وتفسييم الحديث

أو

مُصْلِحُ الْحَدِيثِ



## ثُمَّ ————— يَلْ

أحب في بادئ الأمر أن أنبه الى حقيقة قد نحتق على بعض المشتغلين بهذه الدراسة ، وهى أن تقسيم الحديث إلى عدة أقسام لايعنى انفصال الحديث بعضه عن بعض ، بحيث يتميز حديث بصفة خاصة عن حديث آخر تكون له صفة يتميز هو الآخر بها . .

بل . . إن الحديث الواحد قد يخل في عدة أوصاف أو تقسيمات باعتبارات مختلفة :

من حيث نهاية سنده .

ومن حيث كم الرواة .

ومن حيث حال الرواة .

فمن حيث نهاية السند : قد يكون مرفوعا ، أو موقوفا ، أو مقطوعا .

ومن حيث كم الرواة : يكون الحديث نفسه متواترا أو آحادا .

ويكون الحديث نفسه .

من حيث حال الرواة : مقبولا أو مردودا : يعنى صحيحا ، أو حسنا ،

أو ضعيفا . . . إلخ .

ولكن لضبط تقسيم الحديث سوف نقسمه من حيث هذه الاعتبارات إلى :

(أ) من حيث عدد الرواة أو كم الرواة .

(ب) من حيث نهاية السند الذى تنتهى عنده الرواية .

(ج) من حيث حال الرواة وتوافر واكتمال شروط الرواية فيهم أو

عدم توافرها .

ونستعين بالله ونستلهمه التوفيق والسداد ونبدأ بتقسيم الحديث على

هذه النواحي . وبالله التوفيق . . .

• • •



## ١- الحديث النبوي باعتبار كمّ الرواة

- \* الحديث المتواتر .
- \* الحديث غير المتواتر .
- الحديث المشهور :
- عند العلماء حسب تخصصهم
- عند عامة الناس
- الحديث غير المشهور :
- الحديث العزيز .
- الحديث الغريب .



## تقسيم الحديث باعتبار كم الرواة

حمل الصحابة رضوان الله عليهم الحديث النبوي الشريف مباشرة من النبي صلى الله عليه وسلم ، ونقلوه الى أترابهم وإخوانهم وأبنائهم وقت حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان هذا التحمل مباركا مصحوبا بالوحي الذي يرى بآيات القرآن الكريم والعلم اللدني لرسول الله صلى الله عليه وسلم يكشف له حالة المجتمع ويضع له على الدرب نورا تتكشف للنبي صلى الله عليه وسلم به الخبايا والخفايا، فكان التحمل وسط هذه الأنوار برهان صدق على عدالة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

ثم توارث التابعون وتابعوهم شرف هذا العلم وتدوينه وروايته والحفاظ عليه، فوضعوا الضوابط الدقيقة التي تحمي رواية الحديث من كل دخل أو تدليس أو تزوير ، فحفظت علوم الحديث وعلوم السنة بالقواعد والأمس التي تكفل الثقة في وصول الحديث الشريف إلى عصرنا وكل عصر سيأتي من بعده : ثقة في وصول الحديث الشريف متنا ، وثقة في وصول الحديث الشريف إسنادا ، وثقة في الحديث رواية ، وثقة في الحديث دراية .

ومن الجهد المبذول من العلماء لضبط السند ومحاولات المدارس الحديثة في تقسيم الحديث حسب وصوله إلينا .

ولا أحب أن أعرض لهذه المدارس بقدر ما أعرض للضبط الذي حاولته — ولعل أوفق فيه إن شاء الله تعالى وهو :

أن الحديث بالنظر إلى عدد الرواة ينقسم إلى :

(أ) متواتر .

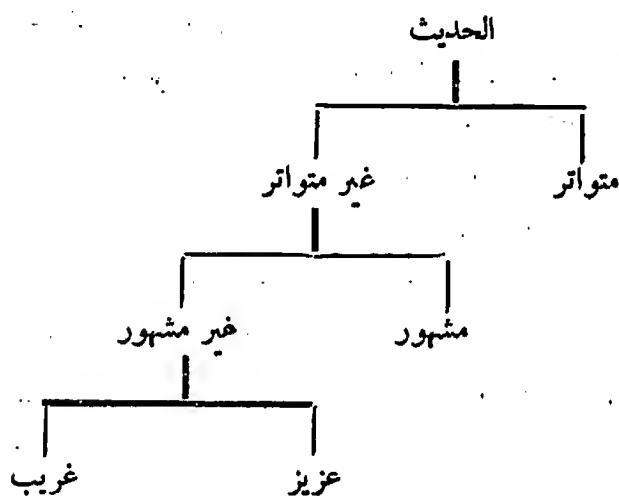
(ب) آحاد : مشهور ، عزيز ، غريب .

وبيان ذلك :

أن عدد الرواة إن كان كثيرا بحيث يؤمن تواطؤهم على الكذب أو وقوعه منهم اتفاقا بحكم العقل فهذا هو الحديث المتواتر .



وإن لم يكن الأمر فيهم كذلك فهو حديث آحاد .  
 وحديث الآحاد هذا :  
 إما أن يكون رواه ثلاثة أو أكثر في كل طبقة فيكون حديث  
 آحاد مشهور .  
 وإما أن يكون رواه في كل طبقة أو في أكثرها اثنين من الرواة فيكون  
 حديث آحاد عزيز .  
 وإما أن يكون تعدد الرواة في طبقة معدوما فيكون حديث آحاد غريب .



## الحديث المتواتر

### تعريفه :

هو ما رواه في كل طبقة من طبقاته جماعة يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

العدد المطلوب في رواية الحديث المتواتر :

الجمهور : لا يشترط عددا معينا في الكثرة بل وضعوا ضابطا عاما هو : توافر عدد يحصل معه اليقين بصدق المتقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويشترط في هذا العدد الاستواء في كل طبقة . والمراد بالاستواء استواء في الكثرة بشرطها ، أن يحكم العقل بعدم إمكان تواطئهم على الكذب . وهو المعول عليه .

واختلف المشترطون عددا فقال بعضهم أقله عشرة ، وقال آخرون : أربعون ، وقيل : سبعون . وقيل : ثلثمائة وبضعة عشر .

أقسام الحديث المتواتر :

والتواتر قد يكون في اللفظ والمعنى معا .

وقد يكون في المعنى فقط .

« والتواتر في اللفظ والمعنى جميعاً : اذا اتفق الرواة في كل طبقة على رواية الحديث جماعة عن جماعة تحيل العادة تواطؤهم على الكذب . ومثال ذلك :

ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده في النار » .

فقد روى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعون نفساً من الصحابة كما ذكر ذلك البزار في مسنده .

وقال ابن منده أن رواته من الصحابة سبعة وثمانون .

وقد اتفق البخاري ومسلم على إخراجه في الصحيحين ( راجع فتح الباري والنووي على مسلم ، وتدريب الراوي ) .

\* والتواتر في المعنى فقط : هو أن يختلف اللفظ من جماعة إلى جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب مع وجود معنى كلي متفق عليه بين الطبقات ، مثل حديث : « رفع اليدين عند الدعاء » .

فقد روى في هذا المعنى مائة حديث تختلف في اللفظ وتؤدي معنى واحداً هو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه عند الدعاء ( راجع تدريب الراوي ج ٢ ص ١٧٧ ، راجع : توجيه النظر ص ٩٠/٤٠ ) .

آراء العلماء في وجود الحديث المتواتر :

لعله من الخير أن نذكر أن الصلاة والحج والعمرة والزكاة والوضوء التي يتعبد بها المسلمون اليوم هي من آثار ما وصل إلينا متواتراً عن النبي صلى الله عليه وسلم حيث أمر الصحابة أن يصلوا كما يرونه عليه الصلاة والسلام يصل ، وأن يحجوا كما يرونه عليه الصلاة والسلام يحج فقال عليه الصلاة والسلام :

\* « صلوا كما رأيتموني أصلي » .

\* « خذوا عني مناسككم » .

فالحديث المتواتر موجود لكن للعلماء آراء حول كثرة التواتر :

فالإمام النووي يراه قليلاً لا يكاد يوجد . ومعه ابن الصلاح .

وقال شيخ الإسلام : إن هذا الرأي ناشئ عن قلة الإطلاع على كثرة الطرق وأحوال الرجال وصفاتهم المقتضية لإثبات التواتر ، ومثل لكثرة

التواتر بالكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقاً وغرباً المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مؤلفيها .

والإمام السيوطي : له كتاب في المتواتر اسمه : « الأزهار المتناثرة » وهو كتاب مجرد من كتاب قبله اسمه : « الفوائد المتكاثرة في الأخبار المتواترة » وقد استدرج على كتاب « الأزهار المتناثرة » الشيخ أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني في كتاب له اسمه : « نظم المتناثر من الحديث المتواتر » .

وزاد على هذا الأخير بعد أن لخصه الشيخ أبو الفضل عبد الله الصديق في كتابه : « تخاف ذوى الفضائل المشتهرة بما وقع من الريادات في نظم المتناثر على الأزهار المتناثرة » .

ولكن الإمام السيوطي يقوم بدوره بتلخيص كتابه : « الأزهار المتناثرة » في كتاب آخر اسمه : « قطف الأزهار » أورد فيه من المتواتر أحاديث كثيرة منها :

حديث الحوض ، وحديث المسح على الخفين ، وحديث رفع اليدين في الصلاة ، وحديث : « نصر الله امرأ سبيع مقالتي » ، وحديث : « نزل القرآن على سبعة أحرف » ، وحديث : « من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة » ، وحديث : « كل مسكر حرام » ، وحديث : « بدأ الإسلام غربياً » ، وحديث : منكر ونكير ، وحديث : « كل ميسر لما خلق له » ، وحديث : « المراء مع من أحب » ، وحديث : « إن أحدكم ليعمل عمل أهل الجنة » ، وحديث : « بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » .

هل يفيد الحديث المتواتر العلم ضرورة ؟

عرفنا أن الحديث المتواتر هو الذي اجتمعت فيه هذه الخصائص :

(أ) أن يكون عدد رواته في كل طبقة كثرة مستوية .

(ب) أن يحيل العقل تواطؤ هذه الكثرة على الكذب .

(ج) أن ترى الرواية من طبقة إلى مثلها .

(د) أن يكون المخبر عنه أمراً حسياً شاهدته الجماعة أو أدركته بأحدى

الحواس الظاهرة : اللمس ، الشم ، الذوق ، السماع ، البصر .

فإذا تحقق هذا في الحديث المتواتر فهو يفيد العلم ضرورة .

رأى الجمهور :

يرى جمهور العلماء أن الحديث المتواتر بهذه الصفة يفيد العلم ضرورة

بمعنى أن من ينكره يكون كافراً ، وأن الحكم الشرعى الذى يحمله الحديث

يكون قطعى الثبوت ولا يحتاج إلى بحث فى حال الرجال والسند والإسناد .

آراء أخرى :

(أ) لكن إمام الحرمين من علماء الشافعية ، وأبا الحسين من علماء

الكلام الاعترالين يريان أن المتواتر يفيد العلم نظراً . . بمعنى أنه يحتاج

إلى بحث .

(ب) والآمدى من الشافعية ، والمرضى من الرافضة « الشيعة »

يتوقفان فى إفادة المتواتر للعلم .

(ج) ويرى الإمام الغزالى أن المتواتر من قبيل القضايا التى قياسها

معها فليس أولياً لا يحتاج إلى برهان وليس كسبياً يحتاج إلى نظر وبحث .

والذى عليه رأى عند العلماء :

أن الحديث المتواتر يفيد العلم الضرورى .

## الحديث غير المتواتر

ينقسم الحديث المقابل للحديث المتواتر إلى قسمين :

- (أ) مشهور : وينقسم إلى صحيح ، وحسن ، وضعيف .  
(ب) وغير المشهور : وينقسم إلى قسمين : حديث عزيز ،  
وحديث غريب .

• • •

### الحديث المشهور :

تعريفه :

الحديث المشهور هو : ما رواه ثلاثة فأكثر عن ثلاثة فأكثر إلى منتهاه  
لا يمكن عادة تواطؤهم على الكذب أو بحصوله منهم اتفاقاً .  
أقسامه :

فهو من قبيل خبر الآحاد . وينقسم المشهور إلى ثلاثة أقسام :

- ( أ ) حديث مشهور صحيح : مثاله ما رواه عبد الله بن عمرو بن  
العاص رضى الله عنهما : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور  
العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء . . حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس  
رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » ( الحديث رواه  
البخارى ومسلم والترمذى ) ، ومثاله : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه  
ويده ، والمهاجر من هجر ما حرم الله » ( الحديث رواه البخارى ومسلم ) .  
( ب ) وحديث مشهور حسن : مثاله ما رواه أنس ابن مالك رضى الله  
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »  
( رواه بن ماجه ) .

(ج) حديث مشهور ضعيف : مثاله : ما يروى من حديث أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الأذنان من الرأس » ( رواه أبو داود والترمذى وضعفه ) .

### أنواع الشهرة :

والحديث المشهور له أنواع فى الشهرة منها :

١ - المشهور على ألسنة الناس : مثل : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

ومثل : « من دل على خير فله أجر فاعله » ( أخرجه مسلم ) .

ومثل : « يوم صومكم يوم نحركم » ( باطل لا أصل له ) .

ومثل : « العجلة من الشيطان » ( حسنه الترمذى ) .

٢ - والمشهور عند أهل الحديث خاصة مثاله : أن رسول الله صلى عليه وسلم قنت شهرا بعد الركوع يدعو على رعل وزكوان .

٣ - والمشهور عند الفقهاء : « أبفض الحلال إلى الله الطلاق » ( صححه الحاكم ) .

٤ - والمشهور عند علماء أصول الفقه : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ( صححه ابن حبان وعند الحاكم بلفظ : إن الله وضع ) .

٥ - والمشهور عند علماء النحو : « نعم العبد صهيب . . لو لم يخف الله لم يعصه » . قال العراقى : لا أصل لهذا الحديث ولا يوجد بهذا اللفظ شيء فى كتب الحديث .

\* \* \*

### ما يفيدته الحديث المشهور :

\* المشهور عند علماء الأحناف هو ما كان مشهوراً فى عصر الصحابة أو التابعين أو أتباع التابعين وإن صار بعد ذلك متواتراً أو آحاداً .

وفيد عندهم علم طمانينة بمعنى أنه يقوى اليقين فهو فوق حديث الآحاد ودون حديث المتواتر .

\* وقيل : أن الحديث المشهور يفيد اليقين بطريق الاستدلال بخلاف المتواتر الذى يفيد اليقين بطريق الضرورة .

الكتب الخاصة بالحديث المشهور :

— المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشهورة على الألسنة للحافظ السخاوى المتوفى عام ١٠٢٠ هـ .

— تميز الطيب من الخبيث لابن الديبع الشيبانى المتوفى عام ٩٤٤ هـ .

— كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للمحدث إسماعيل بن محمد العجلونى المتوفى عام ١١٦٢ هـ .

\* \* \*

الحديث غير المشهور :

وينقسم الى قسمين :

حديث عزيز .

وحديث غريب .

( أ ) الحديث العزيز :

تعريفه : هو ما تحقق فى رواته اثنان ولو فى طبقة واحدة ، ولا تقل الرواة عنهما فى كل طبقة . فاذا روى الحديث فى طبقة أربعة وفى طبقة أخرى اثنان وفى طبقة ثلاثة ثلاثة أو أربعة أو خمسة فهو حديث عزيز وليس مشهورا .

ومثاله : ما رواه الشيخان من حديث أنس عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » .



فقد رواه عن أنس كل من قتادة وعبد العزيز بن صهيب، ثم رواه عن قتادة شعبة وسعيد، ثم رواه عن عبد العزيز وإسماعيل ابن عليّ وعبد الوارث .  
ويتبع الحديث العزيز شاهد أو تابع :

فالتابع : هو الحديث الذي يروى بلفظ الحديث الأول لإصلاح لفظ الحديث الأول ( غالباً ) .

والشاهد : هو الحديث الذي يروى بمعنى الحديث الأول ( غالباً ) .

\* \* \*

### (ب) الحديث الغريب :

تعريفه : هو ما انفرد به راو واحد .

أقسامه : وينقسم الحديث الغريب الى قسمين :

( أ ) غريب مطلق .

(ب) غريب نسبي .

### الغريب المطلق :

ذلك لأن التفرد إن كان في أصل السند يعنى في طرفه الذى فيه الصحابي بأن يرويه راو واحد فقط عن الصحابي فنهر حديث غريب مطلق .

ومثاله : «الولاء لحمه كلحمه النسب لا يباع ولا يوهب ولا يورث»  
فقد تفرد به عبد الله بن دينار عن ابن عمر .

\* \* \*

### الغريب النسبي :

وإن كان التفرد في أثناء التحمل بمعنى أن يروى في طبقة من الطبقات عن راو واحد بعد أن يرويه عن الصحابة أكثر من راو واحد

فهو الحديث الغريب النسبي . وسمى غريباً نسبياً بالنسبة لأن التفرد وقع في راو واحد في طبقة واحدة أو لكون الثقة من الرواة كان واحداً .

ومثاله حديث : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الأضحى والفطر بـ ( ق ) و ( اقتربت الساعة ) فقد تفرد به ضمرة بن سعيد عن عبيد الله بن عبد الله عن أبي واقد الليثي ، ولم يروه أحد من الثقات غير ضمرة لكن رواه من غير الثقات ابن لهيعة — وهو ضعيف عند الجمهور — رواه عن طريق خالد بن يزيد عن الزهري عن عروة عن عائشة .

• • •



## ب - الحديث النبوى باعتبار الطرف الذى تنسب اليه نسبة الحديث

\* الحديث المرفوع .

\* الحديث الموقوف .

\* الحديث المقطوع .



## تقسيم الحديث باعتبار الطرف الذى تنهى إليه نسبة الحديث

سواء كان الحديث صحيحاً لذاته ، أو صحيحاً لغيره ، وسواء كان الحديث حسناً لذاته أو حسناً لغيره ، وسواء كان ضعيفاً ، فإن الطرف الذى تنهى إليه رواية الحديث بأى من هذه الأنواع . . . هو :

إما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيكون الحديث مرفوعاً .  
أو إلى الصحابي رضوان الله عليهم أجمعين فيكون الحديث موقوفاً .  
أو إلى التابعين رضى الله عنهم وأرضاهم فيكون الحديث مقطوعاً .  
وعلى هذا فالحديث سواء كان صحيحاً أو حسناً أو ضعيفاً من حيث ضوابط الرواة قد يكون من حيث نهاية السند :

مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم .  
أو موقوفاً على الصحابي .  
أو مقطوعاً إلى التابعي .  
وهذه هي أقسام الحديث باعتبار المنتهى الذى تصل إليه الرواية .

\* \* \*

## (١) الحديث المرفوع

تعريفه : هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة .

وذلك بغض النظر عن كونه متصل الإسناد أو غير متصل ، لأن المأخوذ في الاعتبار هو أن تكون إضافة التحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

### أقسام الحديث المرفوع :

وينقسم الحديث المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلى ثمانية أقسام وهي :

المرفوع من القول : صريحاً ، أو حكماً .

المرفوع من الفعل : صريحاً ، أو حكماً .

المرفوع من الصفة : صريحاً ، أو حكماً .

المرفوع من التقرير : صريحاً ، أو حكماً .

فكل من القول ، والفعل ، والصفة ، والتقرير له حالتان :

الأولى : أن يكون الحديث مرفوعاً صراحة .

الثانية : أن يكون الحديث مرفوعاً حكماً .

حالتان في أربع مسائل تصير الأقسام بها ثمانية ، وشواهدا كالاتي :

### المرفوع من القول :

(أ) صريحاً مثل قول الراوى : قال النبي صلى الله عليه وسلم كذا

وفي البخارى عن حديث : قال عمر بن الخطاب سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » .

(ب) حكماً : مثل ما يقوله الصحابي كنا نقول كذا ويضيف زمن القول إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومنه : نهينا عن كذا . . . أو أمرنا بكذا .

المرفوع من الفعل :

( أ ) صريحاً : مثل : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذهب إلى غار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد ثم يعود إلى خديجة فينزود لملئها » .

وما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية ويثيب عليها » .

(ب) حكماً : مثل كأن يفعل الصحابي فعلاً لا مجال فيه للاجتهاد والرأي فينزل على أنه من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم مثل : ما رواه البخاري أن ابن عمر وابن عباس « كانا يفطران ويقصران في أربعة برد » .

المرفوع من الصفة :

( أ ) صريحاً : مثل أن يصف الصحابي صفة من صفات النبي صلى الله عليه وسلم الخلقية أو الخلقية ومنه ما جاء في حديث سيدنا علي رضي الله عنه : « لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم بالطويل ولا بالقصير » ( راجع توضيح الأفكار للصنعاني ج ١ ص ٢٧٦ وما بعدها ) .

(ب) حكماً : مثل : « أحل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا أو حرم علينا كذا » . ومنه ما ورد في الصحيح بشأن خروج النساء إلى صلاة العيد فقد روى البخاري عن الصحابية الجليلة أم عطية رضي الله تعالى عنها وأرضاها قالت : « كنا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى تخرج البكر من خدرها وحتى تخرج الحیض ، فيكن خلف الناس فيكبرن بتكبيرهم ويدعون بدعائهم يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته » ومنه : « أمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة » .



منه : « كُنا نهي عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا » .  
ومنه : « نهينا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا » .

المرفوع تقريراً :

( أ ) صريحاً : مثل أن يقول الصحابي فعلت كذا بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم بشرط أن يذكر عدم إنكار النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الفعل .  
ومنه إقرار النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العصر في الطريق يوم بني قريظة وكان قد أمرهم ألا يصلوا إلا هناك .

( ب ) حكماً : مثل : قول الصحابي كان الصحابة يفعان كذا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم . ومثله قول الصحابي : كنا لانرى بأساً في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، كذا . ومنه حديث المغيرة بن شعبة رضى الله عنه : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بأظفارهم .  
هذه الأنواع الثمانية هي أقسام الحديث المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

أين تجد الحديث المرفوع ؟

من أهم الكتب التي تروى الحديث المرفوع ما يأتي :

- ١ - صحيح البخارى .
- ٢ - صحيح مسلم .
- ٣ - الموطأ .
- ٤ - مسند الإمام أحمد بن حنبل .
- ٥ - سنن أبي داود .
- ٦ - سنن الترمذى .
- ٧ - سنن ابن ماجه .
- ٨ - سنن الدارمى .
- ٩ - المستدرک للحاكم .

## ( ب ) الحديث الموقوف

تعريفه : هو ما أضيف إلى الصحابي من قول أو فعل أو تقرير سواء كان متصلاً بإسناده أو غير متصل .

ضوابط الحديث الموقوف :

ولضبط الحديث الموقوف أمانة ، هي :

أن يكون خالياً من قرينة تدل على أن له حكم المرفوع .

ومثل الموقوف كأن يقول الراوى قال أبو بكر الصديق ، أو عمر بن الخطاب . . . كذا .

ومنه : ما رواه البخارى فى كتاب الفرائض : قال أبو بكر وابن عباس رضى الله عنهما : الجداً أب .

ومنه : ما رواه البخارى عن عبد الله بن عقبة بن مسعود قال : سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول :

« أن ناساً كانوا يؤخذون بالوحي فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الوحي قد انقطع ، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيراً أمناه وقربناه ، وليس لنا من سريره شيء ، الله يحاسبه فى سريره ، ومن أظهر لنا سوءاً لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال : أن سريره حسنة » ( رواه البخارى ) .

ومثله ما رواه البخارى فى باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم عن  
أبى إسحق قال : سمعت البراء يقول :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : أحسن الناس وجهاً وأحسنهم  
خلقاً ليس بالطويل ولا بالقصير .

• • •

## ( ج ) الحديث المقطوع

تعريفه : هو ما أضيف إلى التابعى قولاً ، أو فعلاً ، أو تقريراً سواء كان متصلاً أو غير متصل .

نموذج الحديث المقطوع :

جاء فى مقدمة صحيح مسلم عن ابن سيرين قوله : « إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » .

وروى البخارى فى صحيحه : قال الحسن : « أخذ الله على الحكماء أن لا يتبعوا الهوى ولا يخشوا الناس ، ولا يشتروا بآياته ثمناً قليلاً ، ثم قرأ « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فىضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » .

أين تجد الحديث الموقوف والمقطوع ؟

ومن مظان الحديث الموقوف والمقطوع الكتب التالية :

- مصنف ابن أبى شيبة .
- مصنف عبد الرزاق .
- تفسير ابن جرير الطبرى .
- وتفسير أبى حاتم ، وابن المنذر ( راجع لتدريب الراوى ج ١ ص ١٩٥ - راجع لمحات فى أصول الحديث ص ٢٢٤ ) .

\* \* \*



## ح - الحديث النبوى باعتبار أحوال الرواه

● الحديث المقبول .

الصحيح - الحسن .

● الحديث الضعيف .

فأقد شرط اتصال السند :

المعلق - المنقطع - المعضل - المرسل -  
المدلس .

فأقد شرط العدالة :

الموضوع - المتروك - المنكر - المطروح -  
المضعف .

فأقد شرط الضبط :

المدرج - المقلوب - المضطرب - المصحف .

فأقد شرط عدم الشذوذ أو العلة :

الشاذ - المعلل .



## تقسيم الحديث باعتبار حال الرواة

ينقسم الحديث باعتبار حال الرواة إلى قسمين رئيسيين :

القسم الأول : الحديث المقبول : وهو إما ما صح لذاته أو لغيره  
وإما ما حسن لذاته أو لغيره .

القسم الثاني : الحديث المردود : وهو ما حذف من سنده أو طعن  
في رواته، ويسمى هذا النوع : بالحديث الضعيف .

\* \* \*





## بيان القسم الأول

### الحديث المقبول

ينقسم الحديث المقبول إلى قسمين :

صحيح .

وحسن :

والصحيح ينقسم إلى قسمين :

صحيح لذاته .

صحيح لغيره .

والحسن ينقسم إلى قسمين :

حسن لذاته .

حسن لغيره :

• • •



## أولاً - الحديث الصحيح

تعريفه : ننتخب من التعاريف الكثيرة التي ذكرها العلماء تعريف ابن كثير من كتاب : اختصار علوم الحديث : قال : الحديث الصحيح من حيث هو ( بغض النظر عن قسميه ) هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بتقل « العدل الضابط » عن « العدل الضابط » حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إلى منتهاه من صحابي أو من هو دونه ولا يكون : شاذاً ، ولا معللاً بعللة قاذحة .

### شرح التعريف :

معنى قوله : « الحديث الصحيح هو الحديث المسند » يعني أن الحديث اتصل إسناده من راويه الأول إلى منتهاه بحيث يكون كل واحد من الرواة قد تحمله من شيخه من أول السند إلى منتهاه : سواء انتهى السند إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون الحديث صحيحاً مرفوعاً ، أو انتهى إلى الصحابي ، فيكون الحديث صحيحاً موقوفاً أو انتهى إلى التابعي فيكون الحديث صحيحاً مقطوعاً .

فاذا فقد هذا الشرط وهو الاتصال بأن سقط راو واحد في موضع ما أو سقط منه راويان على التوالي في موضع أو أكثر ، أو حذف من أول إسناده أو جميعه لم يكن الحديث صحيحاً بل ضعيفاً وصار في عداد الحديث المردود .

وقوله : بتقل العدل الضابط : معناه أن كل راو من رواة الحديث الصحيح لابد أن تكون حاله مرضياً عنها في القول والفعل .

**فالعادل :** هو المستقيم المتصف بملكته تحمل صاحبها على ملازمة الدين والمحافظة على رعاية حقوق الله ومحارمه :

وحد التقوى في العدل المستقيم : اجتناب الكبائر ، وعدم الإصرار على الصغائر من الذنوب ، والابتعاد عن المباحات التي فيها لوم ، وتعد من ذوى المروءة عياً .

والعدل المستقيم عند أهل الحديث ما كان صحيح العقل موزون التصرف بعيداً عن كل ما يخالف المروءة ويتجمل بمحامد الأخلاق .

وذلك لا يتحقق إلا في فرد مسلم بالغ عاقل سالم من الفسق وكل ما يفسد المروءة . فاذا انخرم شرط من هذه الشروط صار الحديث غير صحيح .

والضابط : هو ما كان قوى المحافظة دقيق الوعي ، حسن الإدراك ، جيد الذاكرة ، ثابتاً إذا حفظ ، واعياً إذا رأى وروى أو إذا كتب وسمع .

والضبط يكون : بالحفظ في الصدور أو بالكتابة في الصحف . وتعرف خالة الضبط : بمقابلة روايته بمن جزم العلماء بكامل ضبطهم كأن توافق رواية الضابط لما رواه العالم الثقة ابن شهاب الزهري ، أو الإمام الشافعي أو الإمام أحمد بن حنبل مثلاً .

وقوله : ولا يكون شاذاً : يعني ألا يكون المتن مخالفاً لما رواه الثقة سواء كان الشذوذ بسبب زيادة أو نقص بشرط ألا يمكن الجمع بين الحديثين ، الذى رواه الثقة وغير الثقة ، وسوف يأتي شرح للحديث الشاذ في أقسام الحديث المردود إن شاء الله تعالى .

وقوله : ولا معطلاً بعلّة قادحة : ومعنى هذا : أن الحديث قد يكون صحيحاً سليماً في ظاهر الأمر لكن العالم الثقة والناقد البصير الذى أفنى عمره في خدمة السنة . يلاحظ بنور الإيمان وبصيرة العلم والعقل أن هناك علة خفية

يعرفها إذا جمع طرق الحديث المختلفة وقارنها وهي حالة يرزقها الله تعالى  
لنوع خاص من العلماء الذين رزقهم الله تعالى حسن التوفيق وكمال العقل ،  
ونور البصيرة .

ومن أمثال العلة أن يكون الحديث موقوفاً على الصحابي فيروى مرفوعاً  
إلى النبي صلى الله عليه وسلم والفرق بين الموقوف والمرفوع أمر لا يكشفه  
إلا من اشتغل بعلم طرق الرواية والإسناد وتعرف على الرجال وأحوالهم ،  
وتخصص في فهم الإسناد والسند والرواة .

ومن العلل القادحة أن يروى عن من لم يعاصره بلفظ يفيد المعاصرة والسماع .

ومن أمثلة الحديث الصحيح :

\* ما رواه الإمام البخاري رضي الله عنه قال :

حدثنا موسى بن حفص قال : حدثنا عبد الواحد قال : حدثنا عمارة  
قال : حدثنا أبو زرعة بن عمر بن جرير قال : سمعت أبا هريرة رضي الله عنه  
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الإيمان بى وتصديق برسلى أن  
أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة . ولولا أن أشق على أمتي  
ما قعدت خلف سرية وأوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم  
أحيا ثم أقتل ( رواه البخاري في باب : الجهاد من الإيمان حديث رقم ٢٧  
من الباب ) .

\* وما رواه الإمام مسلم قال :

حدثنا أبو غسان المسمعى : مالك بن عبد الواحد حدثنا عبد الملك بن  
الضباح عن واقد بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن  
لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا

فعلوا عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » (رواه مسلم في كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ) .

### أقسام الحديث الصحيح

وينقسم الحديث الصحيح الى قسمين :

الصحيح لذاته : وهو الذى شرحناه سالفا .

والصحيح لغيره : وهو الحديث الذى استوفى الشروط السالفة لكن كان ضبط الراوى غير تام ( وهو الحديث الحسن لذاته ) .

فاذا روى هذا الحديث من وجه آخر مع تمام الضبط كان الحديث بالطريق غير تام الضبط حديثاً صحيحاً لغيره لأن غيره وهو الحديث الصحيح المروى مع تمام الضبط مساعدا لرفع درجة الحديث المروى بغير تمام الضبط إلى مصاف الحديث الصحيح لكن بواسطة سند غير سنده . ولهذا سمي بالحديث الصحيح لغيره يعنى غيره هو الذى جعله صحيحاً .

ويمكن تعريف الحديث الصحيح لغيره بأنه :

الحديث الحسن لذاته إذا تقوى بطريق آخر من طريقه أو تقوى بطريقين فأكثر ولو أدنى من طريقه .

تنبيه :

« معنى قول العلماء : هذا حديث حسن صحيح . أن يكون الحديث له إسنادان أحدهما حسن والآخر صحيح أو له سند واحد ولكن العلماء في تعديل رجاله ترددوا بعضهم جعل السند من قبيل الحسن وبعضهم جعله من قبيل الصحيح .

• معنى قول العلماء : « أصح شيء فى الباب » : لا يقصد به أن يكون

حديثاً هو أصح الأحاديث الواردة في باب معين بل المقصود أنه أرجحها  
أو أقل الأحاديث ضعفا .

• هل يجوز للمتأخرين أن يحكموا على صحة الحديث ؟

أثار العلماء قضية هامة خاصة في عصرنا الحاضر وهي : يجوز  
للمتأخرين ومن في حكمهم أن يحكموا على الأحاديث بالصحة أو بغيرها؟ .  
• أما ابن الصلاح : فقد رفض أن يعطى للمتأخرين هذه الصفة أو  
تلك الوظيفة وعلل رفضه بما يلي :

— لأن السابقين صححوا ما وافق الشروط وعدلوا ما صح عندهم أنه  
عدل فلو أن حديثاً كان يحق أن يكون صحيحاً لما تركوه .

— يتعذر على المتأخرين معرفة أحوال الرجال والاستقلال المضبوط  
في فهم الطرق والأسانيد والمتون .

— أن التصانيف التي ورثناها من السابقين كافية في ضبط الصحة والحسن  
والضعف، ولا بال للمتأخرين لمعرفة أصولها لبعدهم عن زمانها وجهلهم  
بأحوال رجالها .

— أن عصرنا وعصر المتأخرين قد اختلطت فيه النوايا والنوازع وأشبه  
فيه الحلال بالحرام والصحيح بالسقيم فأنى لنا أن نتشرف بالعمل في  
خدمة السنة .

• وأما الامام النووي : فقد سلم بما قاله ابن الصلاح ولكن لم يغلق  
الباب على كل العقول والبصائر بل سوغ لمن عنده أهلية وصلاح أن يصحح  
ما لم يحكم عليه بالصحة ولم يجوز عدم تصحيح ما حكم عليه بالصحة من علماء  
السلف (راجع التقريب ، وكتاب : الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة  
للإمام أبي الحسنات الكنوي تحقيق العالم العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة) .



## فمرد المسألة أمران :

الأول : ألا يخوض المتأخرون في حديث حكم عليه بالصحة .

الثاني : استقامة الأسس التي يقوم عليها عمل المتأخرين في حكمه على الحديث بأنه صحيح مالم يصححه السابقون من العلماء الثقات . وآية ذلك :

أن الحافظ الدمياطي صحح حديث جابر بن عبد الله ولفظه : ماء زمزم لما شرب له .

والشيخ تقي الدين السبكي صحح حديث ابن عمر : ولفظه : من زار قبري وجبت له شفاعتي .

\* قول العلماء : هذا الحديث ليس صحيحاً معناه :

أن شروط الصحة وهي :

الاتصال ، والعدالة ، والضبط ، وعدم الشذوذ ، وعدم وجود علة .. غير متوفرة في هذا الحديث . ولا يفهم من هذا أن يكون الحديث فاسداً من كل وجه بل قد يكون حسناً أو له وصف آخر غير الحسن ولهذا فإنه من الأليق بالصحافة الإسلامية أن تكف عن نشر باب ليس من الصحيح ، وتملاً أذهان المسلمين بتشويش لا يخدم السنة ولا الفكرة الإسلامية بل إنه يعكر على الثقافة الإسلامية معيها .

والأليق أن يضعوا باباً من قطوف السنة الصحيحة فيحفظوا للشباب المسلم السنة الصحيحة ويقدموها للفكر صحافة بعيدة عن التشويش والبلبل .

\* مثال الحديث الصحيح لذاته والحديث الصحيح لغيره :

ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة » فهذا الحديث حسن لذاته لأن راويه وهو محمد بن عمرو بن علقمة مشهور

بالصدق ولكنه ليس متقناً في ضبطه وهن . فلما روى هذا الحديث بلفظه من طريق آخر وهو طريق الأعرج عن أبي هريرة فيما رواه مسلم والبخاري فقد صار ذلك الحديث بهذا الطريق صحيحاً لغيره .

فهذا الحديث له ثلاثة أوصاف :

صحيح لذاته : في رواية البخاري ومسلم .

صحيح لغيره : بالنظر إلى رواية الترمذي ملاحظاً معها رواية البخاري .

حسن لذاته : من طريق الترمذي وحده .

ما الذي يفيدُه الحديث الصحيح ؟

هل يفيد الحديث الصحيح ترجيح الصدق على الكذب ؟ :

أو هل يفيد الحديث الصحيح القطع ؟ وهل هذا القطع مشروط ؟ .

اختلف العلماء فيما يفيدُه الحديث الصحيح :

• قال الجمهور من العلماء : أن الحديث الصحيح يفيد ترجيح الصدق على الكذب لاحتمال جواز الخطأ أو النسيان على الراوى الثقة لا لوقوع ذلك منه .

• وقال قوم من أهل الحديث : أنه يفيد القطع مطلقاً ، بذلك قال الباجي ونسب هذا الرأي للامام أحمد بن حنبل .

• واشترط بعض الشافعية أن يكون في إسناد الحديث إمام مثل مالك أو أحمد أو سفيان حتى يفيد الحديث الصحيح القطع .

• وذهب ابن الصلاح الى أن أحاديث البخاري ومسلم تفيد القطع واليقين .

## ودليل القائلين بالقطع :

أن الله تعالى خاطب الصحابة بقوله : ( فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعهن إلى الكفار ) . فالآية تفيد العلم والقطع ونجمه أساساً للقضاء على المهاجرات بالقبول أو الرفض .

\*\*\*

## هل يجب العمل بالحديث الصحيح ؟

الحديث المتواتر يفيد اليقين ويجب العمل به .  
والحديث الصحيح يفيد أحد أمرين : ترجيح الصدق ، أو القطع .  
لكن هل يجب العمل بالحديث الصحيح أو لا ؟ ..

اختلف العلماء في ذلك :

– اختلفوا في الحكم بالعمل به .

– واختلفوا في وقوع العمل به .

أولاً : أن اختلافهم في الحكم بالعمل به فيه آراء ملخصها :

(أ) فقد أجمع الصحابة والتابعون على وجوب العمل بالحديث الصحيح .

(ب) وجمهور العلماء يرى جواز العمل به عقلاً لأنه وإن كان الحديث محتملاً للخطأ، فإن جانب الصدق فيه أرجح لعدالة الراوى ولأن الحديث يفيد ظناً موجه حقاً إذ لو عرض الشارع على المكلف حكماً عن طريق الحديث الصحيح فإن العقل يقبله من غير تردد لأن العمل بموجبه لا يترتب عليه عند العقل محال لا لذاته ولا لغيره ، وموجب هذا عقلاً أن الحديث الصحيح يجوز العمل به عقلاً .

ثانياً : وأما وقوع العمل به ففي ذلك آراء أيضاً ملخصها :

(أ) الجمهور من العلماء يرى أن العمل بخبر الواحد واقع فعلاً وفي مقالة هؤلاء :

الإمام أحمد بن حنبل .

والفقال وابن شريح من علماء الشافعية .

وأبو الحسن البصري من علماء المعتزلة .

ودليلهم قوله تعالى : ( إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ) .

فقد أوجب الله سبحانه التثبت من الخبر إذا كان الخبر فاسقاً ومفهوم هذا إن لم يكن الخبر فاسقاً فإن التثبت لا يكون مطلوباً ومعناه : أن خبر العدل يعمل به من غير تثبت .

وقد عمل الصحابة رضوان الله عليهم بخبر الواحد العدل فقد قبلوا جميعاً العمل بما أخبرهم به سيدنا أبو بكر رضي الله عنه : « الأنبياء يدفنون حيث يموتون » ، « نحن معاشر الأنبياء لانورث » بل إن أبا بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه قد عمل بخبر الواحد العدل في توريث الجدة .

وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه كذلك عمل بخبر الواحد إذ قبل خبر عبد الرحمن بن عوف في دية المحوس للحديث الشريف : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » .

فلذا ما تحققت عدالة الراوى وذهبت الريبة في خبر الواحد فلا حاجة للتثبت . . . كما فعل ذلك الأجداد من الصدر الأول المبارك .

والأقوى من ذلك كله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرسل رسله

إلى الناس لجمع الزكاة وللقضاء في الولايات، وقصة معاذ بن جبل خير شاهد على صحة العمل بخبر الآحاد .

(ب) أما الروافض من الشيعة : فإنهم يقولون أن العمل بخبر الآحاد لم يقع شرعاً وإن جاز عقلاً .

ودليلهم عقلياً أن عدم العمل عقلاً إلى أن تكون هناك وقائع لاحكم لها إذا لم يتيسر للمجتهد دليل خبر الواحد وخلو واقعة عن حكم باطل عقلاً .

ويرد عليهم أن خلو الواقعة من الحكم غير مسلم به ، لأنها تكون ملحقة بحكم البراءة الأصلية إذ في الإسلام الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة . والله أعلم .

(ج) وعند الجبائي من علماء الاعتزال : أن العمل به محال لغيره لأنه قد يستلزم تحليل حرام أو تحريم حلال ، ذلك لأن كذب المخبر في هذه الحالة ممكن عقلاً وعليه فلو أخبر بحل شيء لم يكن في الواقع كذلك فإن العمل به يستلزم تحليل الحرام والعكس سليم وتحليل الحرام وعكسه باطل فجاوز العمل بالحديث الصحيح باطل ( أصول الفقه ص ٩٩ الأستاذ العلامة الشيخ طه العربي ) .

وهو كلام خال من الدقة وبعيد عن التحقيق لأن خبر المخبر ليس قطعاً في الكذب كما أنه ليس قطعاً في الصدق فكلاهما محتمل ، فالقول بأن العمل بالحديث يستلزم تحليل الحرام باطل لأنه مبني على أن الحديث يحتمل كذب الراوى وهو غير مقطوع به .

بل القرائن تفيد غلبة ظن الصدق على احتمال الكذب لأن الحديث الصحيح هو ما رواه العدل الضابط فاحتمال الكذب منه بعيد ، واحتمال الصدق منه هو الأغلب .

وإذا كان احتمال الصدق أكثر من احتمال الكذب فإن العمل بالحديث الصحيح أولى من رده لاسيما أن المجتهد مكلف أن يعمل بما يغلب عليه ظنه أنه حق ، والظن في الحديث الصحيح يغلب على أن راويه صادق لأنه عدل ضابط .

والذي يفهم الجبائي أنه متفق مع العلماء على أن فتوى المفتي ملزمة ويجب العمل بها مع أن فتوى المفتي من قبيل الآحاد فكيف يجوز بل ويوجب العمل بفتوى المفتي ولا يجوز العمل بالحديث الصحيح ؟ ( راجع المنهج الحديث في علوم الحديث لفضيلة العلامة الشيخ محمد محمد السباحي ص ٦٥ ، ٦٨ ) .

وأخيراً فإن الذي عليه الرأي والعلم أن الحديث الصحيح ملزم وموجب للعمل بما جاء فيه من الأحكام الشرعية والفضائل الأخلاقية .

• • •

### الكتب الجامعة للحديث الصحيح

الكتب التي فيها الحديث الصحيح أنواع :

( أ ) كتب خالصة للحديث الصحيح :

( ب ) كتب استدركت أحاديث وألحقها بالصحيح :

( ج ) كتب فيها أحاديث صحيحة وغير صحيحة .

( أ ) كتب الأحاديث الصحيحة :

المشهور بين العلماء أن الكتب الجامعة للحديث الصحيح فقط هي :

كتاب البخاري ومسلم .

قال ابن الصلاح : « أول من صنف الصحيح : البخاري :

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي ، وثلاه أبو الحسن مسلم بن الحجاج  
النيسابوري القشيري .

وقد اتفقت كلمة العلماء على أن جميع ما في الجامعين الصحيحين  
للبخاري ومسلم متصل مرفوع صحيح بالقطع .  
وأن نسبة الكتابين إلى صاحبيهما متواترة .  
وأن كل من يهون من أمرهما مبتدع بجانب للحق مخالف لسبيل المؤمنين .

• • •

### ( ب ) كتب المستدرك .

لم يستوعب البخاري ومسلم كل الأحاديث الصحيحة بل روى الأحاديث  
التي طابقت شروط الصحة التي وضعها كل منهما لنفسه كنهج في تدوين  
الحديث وجمعه ، وبقيت هناك أحاديث صحيحة على شرطيهما ولكنهما لم  
يعداها في الحديث الصحيح ، فاستدركها العلماء المتأخرون وخرجوها على  
شرطيها وعدوها من الأحاديث الصحيحة وسماها هذه الكتب المستدرك .  
ومن هذه المستدركات :

#### ( أ ) المستدرك لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ( ٤٠٥ هـ ) .

استدرك فيه على البخاري ومسلم أحاديث صحيحة على شرطيها أو  
شرط أحدهما وحده . وهو كتاب حوله كلام حيث تساهل في تطبيق الشروط  
على بعض الأحاديث .

ولهذا فإن العلماء لا يقرون صحة حديث رواة المستدرك للحاكم إلا إذا  
كان الحافظ أبو عبد الله الذهبي قد أقره لأن الذهبي تعقب الحاكم في كتاب  
ورتب الحكم على الأحاديث فوجد فيها أغلاطا ولهذا فقد اختصر الذهبي  
المستدرك إنصافا للحديث والرواية معاً .

(ج) كتب فيها الصحيح وغيره :

سنن أبي داود ، سنن النسائي ، سنن الترمذي ، سنن ابن ماجه ،  
الموطأ ، سنن الإمام أحمد بن حنبل ، صحيح ابن خزيمة ، صحيح  
ابن حبان .

وسوف تأتي دراسات كاملة لهذه الكتب فيما بعد إن شاء الله .

• • •

مراتب الحديث الصحيح

رتب العلماء الأحاديث الصحيحة كالآتي :

أولاً : الأحاديث التي اتفق عليها الشيخان وقد جمعها المرحوم الأستاذ  
فؤاد عبد الباقي في كتاب سماه : « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان » .

ثانياً : ما انفرد به البخارى .

ثالثاً : ما انفرد به مسلم .

رابعاً : الموطأ .

خامساً : مسند الإمام أحمد .

سادساً : الجامع للترمذى .

ثامناً : سنن النسائي .

تاسعاً : سنن ابن ماجه .

وما تبقى من الكتب فتلحق بدرجة بواحد مما هو في درجته من هذه  
المصنفات المباركة .

• • •



## ثانياً : الحديث الحسن

تعريفه : أضيف ما قاله العلماء في التعاريف الكثيرة أن الحديث الحسن هو :

ما رواه عدل ، قل ضبطه ، متصل السند ، غير معطل ولا شاذ ، فهو كالحديث الصحيح مع فارق واحد هو : « قلة الضبط » .  
ويتقسم الى قسمين :

حسن لداته : وهو ما مر تعريفه ، وهو الصحيح لغيره كذلك :  
وحسن لغيره : وهو ما تقوى بطريق آخر مساو له أو طرق أدنى منه .

• • •

## مثال الحديث الحسن لداته :

• روى أبو ذر ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » ( أخرجه الترمذى وقال حديث حسن ) .

• روى أبو هريرة رضى الله عنه قال : « مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عينة من ماء عذبة فأعجبته ، فقال : لو اعتزلت الناس فأقت في هذا الشعب ولن أفعل حتى أستاذن رسول الله . فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا تفعل فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عاماً ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا في سبيل الله : من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة » . أخرجه الترمذى وقال : حديث

حسن . ( معنى فواق ناقة : زما يساوى الفترة بين حلبتها لأن فواق  
الناقة هو الزمن بين الحلبة الأولى والثانية ) .

مثال الحديث الحسن لغيره :

• ما رواه عيسى بن يونس عن ( مجالد ) بن أبي الوداك عن أبي سعيد  
قال : « كان عندنا خمر ليتيم فلما نزلت آية المائدة سألت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم فقلت له : إنه يتيم . فقال صلى الله عليه وسلم أهريقوه »  
هذا الحديث أخرجه الترمذى وقال : حديث حسن مع أن مجالد ضعيف  
عند العلماء .

ولكن لما روى هذا الحديث بطريق آخر من حديث أنس رضى الله  
عنه فقد ارتفع الحديث الى درجة الحسن لكن لغيره .

• ومنه حديث : « من حفظ على أمي أربعين حديثاً بعث يوم  
القيامة فقياً » أخرجه أبو نعيم في كتابه ( الحلية ) .

وقد روى من طرق أخرى عن : ابن مسعود ، وابن عباس ،  
وأنس ، ومعاذ ، وأبي هريرة ، بروايات أخرجه ابن الجوزى فى كتابه  
« العلل المتناهية » .

• على أن بعض المتأخرين يروى أن الأحاديث الضعيفة لا ترقى إلى  
درجة الحسن بكثرة تعدد الروايات والأسانيد ، لأن الضعيف لا يقوى  
الضعيف . وهو رأى جديد فى العلم لأن الإمام أحمد بن حنبل كان يأخذ  
بالأحاديث الضعيفة فى فضائل الأخلاق ، وضعف السند لا يضر صحة المعنى  
لاسيما إذا اتفقت مع أصول الإسلام ومبادئه . كما أن قوة السند لا تعنى من رد  
المتن إذا كان لا يتفق مع أصول الإسلام ومبادئه الصريحة . والتأويل باستعمال  
العقل والتحليل لا يدخل معنا فى قضية أساسها الجرح والتعديل القائم على  
الأصول والأسس المعروفة عند أهل الحديث . ولأنه لمن التفتع حديثاً أن  
يجرأ العلماء على الافتيات فى مسائل لم يقرها السلف الكرم .

## ما يفيد الحديث الحسن ؛

ذهب كثير من العلماء الى أن الحديث الحسن كالصحيح في اعتباره حجة في العمل والدين : وعليهم في ذلك وحدة الصفات ، صفات القبول في الصحيح والحسن مع التفاوت اليسير في عدم تمام الضبط واتحاد العدالة والاتصال وعدم الشذوذ والعلة : وهذا كاف في القول بالتساوي الرقي في العمل بهما .

الكتب التي يوجد بها الحديث الحسن :

— الجامع الصغير للإمام السيوطي .

— سنن الترمذي ؛

— مصابيح السنة للبغوي ؛

— سنن ابن ماجه ؛

— سنن النسائي ؛

## بيان القسم الثاني

### الحديث الضعيف

عرفنا أن الحديث المقبول هو ما اجتمعت فيه مواصفات خمسة هي :

١ - اتصال السند :

٢ - عدالة الراوى :

٣ - تمام ضبطه :

٤ - عدم الشذوذ :

٥ - عدم وجود علة قاذحة .

وبمقدار تحقق هذه المواصفات يكون الحديث صحيحاً أو حسناً سواء كان لذاته أو لغيره :

أما إذا انخرفت هذه المواصفات فقد صار الحديث أقرب إلى الضعف ، ومن حالات الضعف الناشئة عن فقدان صفة من الصفات الخمس السالفة تكون أقسام الحديث الضعيف .



## الحديث الضعيف الذي فقد شرط الاتصال

إذا فقد الحديث صفة اتصال السند نتج عن ذلك عدة أنواع من الحديث وهي :

المعلق ، المنقطع ، المعضل ، المرسل ، المداس :

• • •

### ١ - الحديث المعلق :

تعريفه : هو ما حذف من مبتدأ إسناده راو فأكثر ولو إلى آخر الاسناد .

مثاله : أن سيدنا مالك رضى الله عنه له طريق في الرواية هو : مالك عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإذا قال مالك : عن ابن عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ذلك تعليقا .

والحديث المعلق به حالتان :

الأولى : القبول بشرط أن يكون الرواة المحدثون معروفين بالعدالة والضبط كما مثلنا لذلك في رواية مالك :

الثانية : عدم القبول وذلك عند عدم معرفة العدالة والضبط في المحدثين .

ولا يكفي في القبول أن يقول الراوى : المحدثون ثقة عندي أو عند

غيرى ، اللهم إلا إذا عرف الراوى بأنه عدل تام الضبط مثل مالك والشافعى  
والبخارى ومسلم :

مثال الحديث المعلق :

ما رواه البخارى فى كتاب البيوع :

ويذكر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال : « إذا بيعت فكل ، وإذا اشتريت فاكبل » ( راجع كتاب البيوع فى  
متن البخارى وراجع مقدمة فتح البارى ص ١٦ ) .

• • •

٢ - الحديث المنقطع :

تعريفه : هو ما سقط منه راو واحد فى موضع واحد قبل الصحابى  
لا على التوالى أو ذكر فيه رجل مبهم :

وقيل : هو ما لم يتصل إسناده ولو سقط منه أكثر من واحد .

وأكثر الأحاديث المنقطعة هى التى يروىها التابعون عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم :

مثاله : روى أبو داود عن يونس عن ابن شهاب أن عمر بن الخطاب  
رضى الله عنه قال وهو على المنبر : « يا أيها الناس إن رأى إنما كان من  
رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيباً ، لأن الله كان يريه ، وإنما هو منا  
الظن والتكلف » .

فكان الانقطاع هنا : هو فى رواية ابن شهاب عن عمر لأن ابن شهاب  
لم يدرك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلم يتصل السند ولم يذكر ابن  
شهاب عن أخذ الحديث عن عمر .

• • •

#### ٣ - الحديث المعضل :

تعريفه : هو ما سقط من سنده اثنان فأكثر على التوالي سواء كان السقوط من مبدأ السند أو من منتهاه أو من أثنائه :

مثاله :

• ما روى الأعمش عن الشعبي قال : « يقال للرجل يوم القيامة عملت كذا وكذا ، فيقول : لا . فيختم على فيه » .

مكان العضل هنا سقوط الصحابي الذي روى الحديث ، ولا النبي صلى الله عليه وسلم :

• وما رواه مالك رضى الله عنه : بلغني أن أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف ، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق » مكان العضل فيه سقوط محمد بن عجلان عن أبيه الذي روى عن أبي هريرة كما عرف ذلك من طريق آخر .

\* \* \*

#### ٤ - الحديث المرسل :

تعريفه :

(أ) هو ما سقط منه الصحابي ، كأن يقول التابعي : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » من غير ذلك الصحابي . والتابعون الذين لهم حق في رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، منهم :

سعيد بن المسيب ، عبيد الله بن عدى ، قيس ابن أبي حازم ، يحيى ابن سعيد ، سلمة بن دينار .

(ب) وعند علماء الأصول : الحديث المرسل هو : ما رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم غير الصحابي سواء كان تابعياً أو غير تابعي .



مثاله :

\* حديث الشافعي قال : أخبرنا مالك عن زيد بن أسلم عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نهى عن بيع اللحم بالحيوان » .

وروى أبو داود في مراسيله عن الحسن البصري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « المكر والخديعة والخيانة في النار » .

حكم العمل بالحديث المرسل :

(أ) رأى الجمهور :

ذهب جمهور العلماء من أهل الحديث ومعهم الأصوليون إلى أن الحديث المرسل لا يؤخذ به .

قال الإمام مسلم في مقدمة كتابه : المرسل من الروايات في أصل قولنا وقول أهل العلم بالأنبار ، ليس حجة ( راجع مقدمة كتاب الجامع الصحيح لمسلم ص ٣٠ ج ١ ) .

وعلة ذلك : جهالة حال الراوى المحذوف لاحتمال أن يكون الراوى الذى سقط ليس صحابياً فيكون فاقداً لشرط العدالة فى الراوى ( راجع التقريب للنوى ص ٦٦ والنخبة للمحافظ ص ٧٧ ) .

وهذا فى غير مرسل الصحابى . أما مرسل الصحابة فإنه محل احتجاج به عند علماء الأصول لأنهم كلهم عدول :

\* \* \*

(ب) رى الإمام مالك والإمام أحمد بن حنبل وأبو حنيفة :

يرى هؤلاء الأئمة وهم أهل فقه وحديث معا أن الحديث المرسل يحتج به فى أمور الدين ، لأن التابعى الذى أرسل سند الحديث جزم بعدالة من

أسقطه لأن غالب رواية التابعين إنما هي عن الصحابة ويشهد لهذا ما يحكي عن الحسن البصري رضى الله عنه أنه قال : إنما أطلقه إذا سمعته من سبعين من الصحابة .

### (٢) رأى الإمام الشافعى :

وذهب الشافعى رضى الله عنه إلى أن مراسيل كبار التابعين وهم الذين كثرت رواياتهم عن الصحابة يؤخذ بها إذا اكتملت فيها الشروط التالية :

(أ) أن يرد الحديث من وجه آخر ولو مرسلًا .

(ب) عدم مخالفة رواية المرسل فيما يروونه من حديث مرسلًا .

(ج) أن يكون المحدث ثقة بحيث لو سماهم الراوى المرسل عرفوا بهذا .

(د) أن يعضد الحديث المرسل بقول صحابى أو يفتى به أكثر العلماء .

هذا وقد قبل الإمام الشافعى مراسيل سعيد بن المسيب وقال فيها :

« وإرسال ابن المسيب عندنا حسن » .

ومراذه من الحسن هنا أن مراسيل ابن المسيب حجة إما للأخذ بها في أدلة الشرع أو للاستئناس بها والترجيح عليها .

### ٥ - الحديث المدلس :

والتدليس ثلاثة أشياء :

١ - تدليس فى الإسناد .

٢ - تدليس بوصف الشيخ بغير ما اشتهر به .

٣ - تدليس بالتسوية وهى إسقاط الأضعف .

بيان ذلك :

١ - الحديث المدلس إسناداً :

هو أن يروى عن عاصره ولقيه حديثاً لم يسمعه منه بلفظ يوهم أنه سمعه منه وذلك كأن يقول : عن فلان ، أو قال فلان دون أن يصرح بالسماع منه .

فاذا روى غير المعاصر له لم يكن تدليسا .

مثاله : قول علي بن خشرم : كنا عند سفیان بن عيينة فقال : قال الزهري : كذا ، ف قيل له : أحدثكم الزهري ؟ فسكت ثم قال : وقال الزهري ، ف قيل له : سمعته من الزهري ؟ فقال : لا لم أسمع من الزهري ولا ممن سمعه من الزهري حدثني عبد الرازق عن معمر عن الزهري .

محل الشاهد : أن سفیان بن عيينة عاصر الزهري ولقيه ولكنه لم يسمع منه لكن الذي سمع من الزهري هو معمر والذي سمع من معمر عبد الرازق فادعاء علي ابن خشرم أنه سمع من سفیان تدليس من علي بن خشرم وهذا مرض في نفوس بعض الناس ممن يحبون التباهي بالنسبة الى مجلس كبار العلماء ويفتاتون عليهم بفتاوي وأقاويل مدلسة وغير صحيحة .

وهذا النوع من التدليس هو ما قيل فيه : التدليس آخر الكذب . هذا وقد قال العلماء أن من عرف بارتكاب التدليس ولومرة صار مجروحاً مردوداً في الرواية حتى وإن بين السماع .

٢ - الحديث المدلس بوصف مغاير للشيخ :

هو أن يصف الراوى شيخه الذي سمع منه الحديث بوصف لم يشتهر به : من اسم أو كنية ، أو قبيلة ، أو بلدة ، أو صفة من كل ما يوهم اللقاء ، أو الرحلة ويساعد على تعمية أمره .

مثاله : ما قاله أحد أئمة القراءات : أبو بكر بن مجاهد : حدثنا أبو عبد الله بن عبد الله وهو يريد أبا بكر السجستاني :  
وقوله أيضاً : حدثنا محمد بن سند ، وهو يريد أبا بكر بن حسن النقاش المفسر فنسبه الى أحد أجداده وهو ( سند ) ولم ينسبه الى أبيه وهو الاسم الذي اشتهر به .

وعيب هذا التدليس :

فيه تضييع للمروى عنه بعدم معرفة حاله :  
وفيه تضييع للحديث المروى منه إذ يصير بعض رجاله مجهولاً :  
وهذا التدليس أخف من الأول ، والحكم عليه أخف .

٣ - الحديث المدلس بالتسوية :

ويسمى هذا الحديث مدلس التسوية وهو :

مارواه المحدث عن ضعيف بين ثقتين لقي أحدهما الآخر فأسقط الضعف فأوهم أن الرواية ثقة عن ثقة .

ومن الذين فعلوا هذا : الوليد بن مسلم لأنه كان يحذف شيوخ الأوزاعي الضعفاء ويبقى الثقات .

فالتدليس يرد الحديث لما يلحقه به من الغرر والوهم سواء كان التدليس بإسقاط الأضعف الذي يوهم الرواية عن الثقة .

أو كان بتغيير وصف الشيخ أو بلده أو لإضافة راو لم يسمع عنه أو أتى يلفظ يفيد السماع ولم يكن قد سمع ممن يروى عنه . . . إلخ ٥

• • •



## الحديث الضعيف الذى فقد شرط العدالة

إذا فقد الحديث شرط العدالة تولد من ذلك عدة أنواع من الحديث منها .

- ١ - الحديث الموضوع .
- ٢ - الحديث المتروك .
- ٣ - الحديث المنكر .
- ٤ - الحديث المطروح .
- ٥ - الحديث المضعف .

### ١ - الحديث الموضوع :

الحديث الموضوع ليس حديثاً بالحقيقة ولكنهم أطلقوا عليه حديثاً مع أن نسبته غير صادقة وغير صحيحة فإنه منقول على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الحديث الموضوع مجازاً كاذباً معدود من قبيل الحديث ، والذى فضحه قواعد المحدثين في ضبط السنة الشريفة .

وأحب أن أنبه إلى نقطتين :

الأولى : أن الوضع لم يكن ألبتة في عهد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن كذلك في عصر الصحابة بل ظهر مع الفرق من بعض المتعصبين مذهبياً للفرق التى أظهرها الخلاف السيامى فيما بعد .

الثانية : أن النبي صلى الله عليه وسلم حذر من مغبة التهجم على الحديث

الشريف بالوضع فقال عليه السلام : « إن كذباً على ليس ككذب علي أحد . من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ( رواه مسلم المقدمة باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ج ١ ص ١٠ تحقيق فؤاد عبد الباقي رحمه الله ) .

### تعريف الحديث الموضوع :

هو الكلام الكذب المخلوق المصنوع .

وهو شر ما ينسبه ماجن أو مستهتر إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

### علامات الوضع في الحديث :

١ - إقرار الواضع مثل : اعتراف ميسرة بوضعه لبعض أحاديث في فضائل القرآن . واعتراف عمر بن صحيح بوضعه خطبة نسبها إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

٢ - روايته عن شيخ مات قبل أن يعرفه .

٣ - أن يكون الراوى متمذهباً بنحلة معروفة بصنع الموضوعات .

٤ - أن يكون صاحب هوى في وضع الحديث وتلفيق الحوادث مثل : سعد بن ظريف لما جاء ولده ييكي فقال : مالك ؟ قال : ضربني المعلم ، فقال أبو سعد : والله لأخزينهم اليوم . ووضع حديثاً من مزاجه الخاص فادعى أن عكرمة حدث ابنه عباس بحديث مرفوع لفظه : معلمو صبيانكم شراركم ، أقلهم رحمة لليتيم ، وأغلظهم على المسكين ،

٥ - زكاة اللفظ والمعنى ، فالمشتغلون بالسنة يدركون للحديث ضوءاً كضوء النهار وعبيراً كرياض الروض المزهر ويحسون بالوضع كالليل المظلم والريح الخبيث .

٦ - أنه يتنافى مع القرآن الكريم والحديث الصحيح .

٧ - أن يدل على إفراط في الثواب أو العقاب .

٨ - أن يستعصى على تأويل العقل ويتنافى مع ما يدركه الحس الصادق .  
يقول ابن الجوزي : إذا رأيت الحديث يبين المعقول أو يخالف المنقول  
أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع .

لما وضعوا الأحاديث :

١ - محاولة إفساد عقيدة المسلمين وبث الفتن والضعف في الشريعة  
السنحة . مثاله ما فعله بيان ابن سميان الهندي الذي ظهر في العراق بعد  
المائة وادعى ألوهية علي بن أبي طالب .

ومثاله : ما وضعه محمد بن سعيد الأسدي الشامي : أنا خاتم النبيين لأنبي  
بعدي إلا أن يشاء الله .

فتلك دعوة إلى نبوة جديدة بعد أن ختمها الله بنبوة سيدنا محمد صلى  
الله عليه وسلم ، وهي دعوة كاذبة .

٢ - التكسب والارتزاق واستجلاب عطف العامة لا يترزأ أموالهم  
مثاله : ما فعله أبو سعيد المدائني .

٣ - ما فعلته فرقة من غلاة الشيعة تنسب إلى خطاب الأسدي ١٤٣ هـ  
الذي كان يقول بالحلول ويأمر أتباعه بشهادة الزور ( راجع فتح المغيـث حـ ١  
ص ٦٣٨ ط المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ) .

٤ - التقرب من الملوك مثاله : دخل غياث بن إبراهيم على المهدي  
العباسي وكان يحب الحمام فحدث غياث بحديث رفعه إلى النبي صلى الله  
عليه وسلم ( لاسبق إلا في نصل أو خف أو خافر - أو جناح - ) والحديث  
بغير زيادة ( أو جناح ) صحيح في نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم . . . فلما خرج غياث قال المهدي : أشهد أن قفاك قفا كذاب  
على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم أمر بذيح الحمام ورفض الزيادة في  
الحديث التي وضعها غياث .



## حكم الوضع في الحديث :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

• وقد أجمع المخلصون من علماء الأمة أن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر التي تسلك بصاحبها سبيل جهنم والعياذ بالله .

أما الكرامية وهم قوم من المبتدعة ينتسبون إلى شخص يدعى : محمد بن كرام فقد قالت : نحن نكذب له لا عليه ، وهو وهم ومحض افتراء لأن الكذب له مثل الكذب عليه في نسبة ما لا يقوله إلى حضرته النبوية عليه الصلاة والسلام .

هذا :

• وقد فصل بعض العلماء القول في مسألة الوضع فقالوا : إذا كان الحديث الموضوع في العقائد فالواضح كافر .  
فإذا كان الوضع في فضائل الأخلاق فقط فالواضح آثم .

• أما أبو محمد الجويني والد إمام الحرمين فقد حكم بكفر من يتعمد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم في أى معنى من المعاني . لأن الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم كالكذب على الله تبارك وتعالى .

## حكم رواية الحديث الموضوع :

ينص الحديث الشريف : « من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين » ينص : على أن رواية الحديث المختلق الموضوع غير جائزة بمعنى أنه لا يجوز للمرء العارف بالحديث الموضوع أن يرويه على أنه حديث .

أما إذا أراد التنبيه على وضعه وأنه ليس حديثاً فهذا واجب يلزمه

الوفاء للسنة الشريفة غير أنه واجب العلماء المغنيين بدراسة البينة والعارفين  
لأصناف الحديث وأبواب العلم ومنهج الضبط ، وليس ذلك من حق كل  
واحد حتى لا تنفسد الحلبة ويكثر الخصام من غير أهل العلم والذكر .

• • • • •

## جهود العلماء في تنقية السنة

من الحديث الموضوع

لقد شمر علماء الإسلام عن سواعد الجد ونهضوا للدفاع عن الحديث  
الصحيح السليم ونقوا السنة من الوضع الكاذب المفترى :

( أ ) فوضعوا قواعد للجرح والتعديل تتعلق بأحوال الرواة وحددوا  
صفات من تقبل روايتهم ومن تزد روايتهم .

( ب ) وضعوا ضوابط للمتن من حيث اتفاه مع قواعد الإسلام وعدم  
مخالفته لما يرويه الثقات أو إمكان قبول العقل له وعدم المغالاة والإفراط في  
الثواب والعقاب .

( ج ) صنفوا في ذلك الكتب الخاصة بالموضوعات حتى يميزوا الجيد  
من الرديء والصحيح من الموضوع .

ومن أشهر هذه الكتب الخاصة بالموضوعات :

١ - كتاب الأباطيل لأبي عبد الله الحسين بن إبراهيم المتوفى سنة

٥٤٣ هـ .

٢ - كتاب الموضوعات الكبرى ( استدرك ابن حجر على موضوعات

ابن الجوزي ٢٤ حديثاً عدها من الموضوعات وهي صحيحة رواها أحمد  
ابن حنبل ) لأبي فرج عبد الرحمن ابن علي الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

٣ - اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للحافظ السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ .

٤ - تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي الحسن علي بن عراق الكنائى المتوفى سنة ٩٦٣ هـ .

٥ - الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للقاضي عبد الله محمد ابن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ .

## ٢ - الحديث المتروك :

تعريفه : هو الحديث الذي تفرد به راو مجمع على ضعفه أو كذبه .  
بالكذب أو لفحش غلطه أو لكثرة غفلته ، أو لظهور فسقه .

• • •

## ٣ - الحديث المنكر :

تعريفه : هو الحديث الذي تفرد بروايته ضعيف خالف فيه الثقات .

• • •

## ٤ - الحديث المطروح :

تعريفه : هو الحديث الذي رواه كاذب لم يظهر كذبه في الحديث .  
فطرح الحديث لعلية كذبه العام ولو أنه لم يكن كاذباً في رواية الحديث .  
ويوجد من مثل هذا النوع في سنن ابن ماجه ، والترمذى .

• • •

## هـ - الحديث المضعف :

تعريفه : هو الحديث الذي ذكر بعض أهل العلم ضعفاً في رجاله أو في متنه وذكر الآخرون تقوية فيهم أو في متنه .  
فهو من أعلى مراتب الضعيف ، وأقل منه المطروح .

\* \* \*

## الحديث الضعيف

الذي فقد شرط الضبط

إذا فقد الحديث شرط الضبط تولد من ذلك عدة أنواع للحديث منها :

١ - الحديث المدرج :

٢ - الحديث المقلوب :

٣ - الحديث المضطرب :

٤ - الحديث المصحف .

١ - الحديث المدرج ،

تعريفه : هو الذي أدخل في متنه أو سنده ما يوهم أنه منه وليس كذلك .

أو هو : ما كانت فيه زيادة ليست منه :

أقسامه :

وينقسم إلى قسمين :

- مدرج في المتن :

- مدرج في السند :

(أ) الحديث المدرج في المتن :

هو الحديث الذي أضيف إليه زيادة من كلام بعض الرواة يترحم أنها منه .

وهذه الزيادة قد تأتي في الأول ، أو في الوسط ، أو في الآخر وهو الأغلب .

• مثال المدرج في أول الحديث :

أسبغوا الوضوء « ويل للأعقاب من النار » .  
فجملة أسبغوا الوضوء مدرجة من كلام الراوى ، لكنها تفهم من أصل الحديث وهو : ويل للأعقاب من النار .

والذى عرفنا بهذا الإدراج هو الإمام البخارى حيث روى الحديث هكذا : « ويل للأعقاب من النار » .

• مثال المدرج في الوسط :

وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالى ذوات العدد .  
فقوله : وهو التعبد إدراج فى الرواية مفسر لقوله فيتحنث فيه لأن معنى يتحنث يتعبد .

• مثال المدرج فى آخر الحديث :

لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا (ولا تنافسوا) .  
فلفظة : ولا تنافسوا مدرجة من الراوى ، وقد وردت فى متن حديث آخر لفظه : « إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث » ولا تجسسوا ولا تحسسوا ، ولا تنافسوا » ( المنهج الحديث فى علوم الحديث للشيخ محمد محمد السباحى ) .

(ب) الحديث المدرج فى السند :

ويقع على ثلاث حالات :

**الحالة الأولى :** أن يكون عند الراوى حديثان فيأتى راو آخر ويجعل إسناد الحديث الأول للثانى وإسناد الحديث الثانى للأول .

مثاله : حديث : « لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ولا تدابروا » ليس فيه ولا تنافسوا فأدخلها الراوى من متن حديث آخر وجعلها فى عداد هذا الإسناد مع أنها من حديث آخر بسند آخر .

**الحالة الثانية :** أن يكون هذا الحديث الواحد له عدة أسانيد مختلفة فيأتى راو واحد ويجمع هذه الأسانيد فى سند واحد من غير توضيح أنها عدة أسانيد .

مثاله : ما روى من طريق ابن مهدي عن سفيان الثوري عن واصل الأحدب ومنصور والأعمش عن أبي وائل عن عمرو بن شرحبيل عن ابن مسعود قال : قلت : يا رسول الله أى الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » . فان رواية واصل هذه مدرجة على رواية منصور ، والأعمش لأن واصلاً يروى عن أبي وائل عن ابن مسعود مباشرة ولا يذكر عمرو بن شرحبيل .

والذى أظهر هذا الإدراج رواية البخارى التى لم يأت فيها بذكر لعمرو بن شرحبيل ، إذن الإسناد قد تعدد ولم يشر الراوى إلى هذا التعدد .

**الحالة الثالثة :** أن يسوق الراوى الإسناد ثم يعرض له عارض فيقول كلاماً من عند نفسه فيظن السامع أن هذا الكلام متن لذلك السند ثم يرويه على أنه كذلك .

مثاله : أن شريكاً وهو من علماء الحديث كان يعلّم فى درسه فدخل ساعة الإملاء ثابت بن موسى ، وكان زاهداً ورعاً فسكت بعد أن ابتداء الإملاء بقوله : حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم توجه الى ثابت بن موسى وقال له : من

كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ، يقصد بذلك الثناء على تعبد ثابت  
لكن ثابتاً ظن أن ذلك حديث فرواه بالاسناد الذى سكت عنده الشيخ  
شريك .

### كيف يعرف الإدراج فى الحديث ؟ :

- يعرف الإدراج فى الحديث بإحدى هذه الوسائل :
- ( أ ) الرواية عن الثقة التى ليس فيها هذه الزيادة .
- ( ب ) أن تكون العبارة شرحاً لكلمة غريبة فى الحديث :
- ( ج ) النص من الراوى على أن هذه الزيادة من عنده .
- ( د ) استحالة أن يصدر مثل العبارة المدرجة فى الحديث عن النبي  
صلى الله عليه وسلم .

### لماذا يدرج الرواة ألفاظاً فى الحديث ؟ :

قد يحتاج الراوى لإدراج كلمة فى الحديث لتفسير كلمة غريبة أولتفسير  
كلمة لغوية أو بيان حكم شرعى .

### حكم الإدراج :

• إذا كان الإدراج لتفسير كلمة غريبة توضيح المقصود من متن  
الحديث فلا بأس بذلك .

• أما إذا قصد التلبيس على السامع فهذا حرام . قال ابن السمعان :  
« من تعمد الإدراج فهو ساقط العناية ، وكان ممن يحرفون الكلم عن  
مواضعه » . ( ١ )

---

( ١ ) احم فى ذلك « قواعد التحديث ، توضيح الأفكار » تعليق الشيخ محمد محيى الدين  
عبد الحميد ، وتدريب الراوى للسيوطى « والباعث الحثيث » لابن الصلاح « وشرح نخبه  
الفكر مع حاشية لقط اللود » .



أما من أخطأ لعدم الضبط دون فحش في ذلك فلا حرج عليه .

## ٢ - الحديث المقلوب :

تعريفه : هو ما دخله قلب في متنه أو سنده .

أقسامه : ينقسم إلى قسمين :

— قلب في السند .

— قلب في المتن :

الحديث المقلوب في السند :

له عدة صور منها :

١ — أن يؤخذ سند فيجعل على متن آخر والعكس سليم ، وقد وقع هذا من العلماء عندما أرادوا إفحام إمام البخاري فأتوا إليه بمائة حديث وقلبوا أسانيدھا فجعل رحمه الله يرد كل متن إلى سنده الصحيح فأفحمهم وبقيت للبخاري الإمامة في الحديث .

٢ — أن يقدم أو يؤخر في الأسماء فيقول مثلاً : عن كعب بن مرة والصحيح عن مرة بن كعب .

٣ — أن يبدل الراوى براو آخر كأن يكون الحديث عن سالم بن عبد الله فيجعله عن نافع .

الحديث المقلوب في المتن :

مثاله : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم » .

قلب فروى هكذا :

« إذا أمرتكم بشيء فأتوه ، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ما استطعتم »

ومثاله : ما رواه مسلم في « السبعة الذين يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله » فقد جاء في هذه الرواية : « ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله » . والصحيح : حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه .

ونص الحديث : « سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » ( متفق عليه ) .

### ٣ - الحديث المضطرب :

تعريفه : هو الحديث الذي لا يمكن الترجيح بين طرقه المتساوية في الدرجة مع اختلافها في الرواية .

مثاله حديث : « تفرق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة » .

فقد اختلفت الروايات : قال بعضها كلهم في النار إلا واحدة . وقال بعضهم كلهم ناج إلا واحدة . والحديث المضطرب مردود لعدم إمكان الترجيح بين الروايات ، المختلفة المعاني المتحدة في درجة الأسانيد المتعددة .

### ٤ - الحديث المصحف :

التصحيف تغيير في الشكل أو الحرف .

مثاله : ما رواه ابن لهيعة عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم في المسجد .

التصحيف في حرف الميم وصحتها « احتجم في المسجد بنحس وحصير حجرة يصلي فيها » .

ومثاله : حديث شعبة عن العوام بن مراحم عن أبي عثمان المهدى عن  
عثمان بن عفان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتؤدن الحقوق  
إلى أهلها » .

والحديث صحف فيه يحيى بن معين فقال ابن مزاحم : ( بالزأى  
والحساء ) .

• • •

## الحديث الضعيف

الذى فقد شرط عدم الشذوذ أو العلة

إذا فقد. الحديث شرط عدم الشذوذ ، كان الحديث شاذاً أو كان معللاً أو معلولاً .

(أ) تعريف الحديث الشاذ :

والحديث الشاذ هو : ما رواه ثقة يخالف ما رواه الناس ، والشذوذ قد يكون في السند ، وقد يكون في المتن .

مثال الشذوذ في المتن :

ما رواه أبو داود والترمذى من حديث عبد الواحد ابن زياد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً « إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع عن يمينه » فالحديث يفيد خطاباً موجهاً من النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين . لكن العدد الكثير روي هذا الحديث على أنه من فعل النبي صلى الله عليه وسلم . فعبد الواحد وهو ثقة يخالف العدد الكثير في متن الحديث .

مثال الشذوذ في السند :

ما رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من طريق ابن عيينة عن عمرو ابن دينار عن عوسجة عن ابن عباس « أن رجلاً توفى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدع وارثاً إلا مولى هو أعتقه . فقال عليه السلام : هل له أحد ؟ . قالوا : لا . إلا غلام أعتقه . فجعل صلى الله عليه وسلم ميراثه له » .

تابع ابن عيينة جريج في وصل هذا الحديث إلى ابن عباس ، لكن حماد بن زيد خالفهم فرواه عن عمرو ابن دينار عن عوسجة ولم يذكر ابن عباس .

وحامد بن زيد من أهل العدالة والضبط ، فهو ثقة . فيكون طريق ابن عيينة فيه شذوذ .

• • •

### (ب) تعريف الحديث المعلل :

هو الحديث الذي اطلع فيه على علة قادحة مع أن الظاهر سلامته منها .  
ويسمى الحديث المعلول ، أو المعلل .

والعلة القادحة تكون خفية لا يدركها إلا النقاد البصراء أصحاب الملكة النقية ولهذا قال ابن حجر : المعلل من أعمض أنواع علوم الحديث وأدقها ولا يقوم به إلا من رزقه الله تعالى فهما ثاقباً وحفظاً واسعاً ومعرفة تامة بمراتب الرواة وملكة قوية بالأسانيد والمتون .

ولهذا لم يتكلم إلا القليل من أهل الحديث منهم : علي بن المديني ، وأحمد بن حنبل ، والبخاري ، ويعقوب ابن أبي شيبة ، وأبو حاتم ، وأبو زرعة ، والدارقطني ( راجع شرح النخبة وكتاب العلل لابن أبي حاتم ) .

### كيف تعرف العلة ؟ :

أن يجمع الحافظ طرق الحديث ويستقصيها ويدرس أحوال الرواة من خلال معرفة مكانتهم من الضبط والإتقان ، فيظهر له بعد طول البحث والنظر ما خفي من العلل سواء كانت العلة بالإرسال في الحديث الموصول أو التدليس في المتن أو في السند أو في قلب الأسانيد .

هذا : وقد قال المجربون العارفون بهذه الفنون الدقيقة أن أكثر العلل تكون في السند :

ومثال ذلك حديث : « البيعان بالخيار ما لم يفترقا » .

الحديث صحيح لكن إسناده فيه ، علة وهي أن راويه يعلى بن عبيد قد غلط في قوله عمرو بن دينار والصحيح أنه عبد الله بن دينار .

وهكذا تدركون صعوبة الافتيات على أهل الحديث ، وصعوبة الخوض في مسائل العلم التي حررها العلماء السابقون بالجهد المضني ، والعلم المخلص الدائب . والنية الصادقة ، والقصد الأمين . وبالله التوفيق .

• • •

## آراء العلماء في الأخذ بالحديث الضعيف

إذا فقد الحديث صفات القبول التي هي :  
الاتصال ، والعدالة ، والضبط ، وعدم الشذوذ ، وعدم العلة ،  
ولم يكن حسناً وبالطبع لن يكون صحيحاً سمي الحديث ضعيفاً على نحو  
ما شرحناه سابقاً .

وبقي علينا أن نعرف آراء العلماء في العمل بالحديث الضعيف . والآراء  
في ذلك مذاهب ثلاثة :

### المذهب الأول :

أن الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقاً سواء كان ذلك في الأحكام  
الشرعية أو في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال .

وإلى هذا ذهب الإمام مسلم الذي شنع في مقدمة صحيحه على رواية  
الأحاديث الضعيفة والمنكرة . قال مسلم : « باب النهي عن الرواية عن الضعفاء  
والاحتياط في تحملها » ثم روى حديثاً بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه  
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سيكون في آخر أمتي  
أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم وآباؤكم وأبائهم » .

وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنما كنا نحفظ الحديث ،  
والحديث يحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما إذا ركبتم كل صعب  
وذلول فهيهات ( راجع مقدمة مسلم ج ١ ص ١٢ باب النهي عن الرواية  
عن الضعفاء ) .

وكذلك رأى الإمام البخارى الذى أكثر من التدقيق فى شرائط قبول الحديث أكثر من مسلم حيث اشترط المعاصرة واللقاء والسماع (راجع قواعد التحديث ، القول البديع فى الصلاة على الحبيب الشفيق للسخاوى والأجوبة الفاضلة بتحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة) .

### المذهب الثانى :

أن يعمل به مطلقاً فى العقائد وفى الشرائع وفى فضائل الأعمال إذا لم يوجد غيره .

روى السخاوى هذا رأى فى كتابه : فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث .

وعزا ذلك رأى إلى الإمام أحمد بن حنبل وتبعه فى ذلك أبو داود فقد أثر عن الإمام أحمد قوله : ضعيف الحديث عندنا أحب من رأى الرجال (راجع القول البديع ، والأجوبة الفاضلة ، وقواعد التحديث) .

غير أن العلماء قالوا أن الضعيف فى رأى الإمام أحمد هو ما يقابل الحسن . إذ هو المقابل للصحيح فى التقسيم القديم عند كبار القوم فيما مضى ، قال ابن القيم : وليس المراد بالضعيف عنده - يعنى الإمام أحمد بن حنبل - بل الحديث الضعيف عنده قسم الصحيح وقسم من أقسام الحسن ، ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف ، بل إلى صحيح وضعيف (راجع أعلام الموقعين ج ١) :

ولست مع ابن القيم ولا من يرى هذا رأى لأن الإمام أحمد بن حنبل لا يغيـب عليه معنى الضعيف ، فأهل الحديث لهم ملكة يمنحها الله لهم بركة النبوة . فإذا كان مسلم والبخارى قد وعيا معنى الضعيف على ما هو عليه الآن فليس من المعقول أن يكون الإمام أحمد لم يدرك معنى الضعيف بالمعنى الاصطلاحي الذى فهمه البخارى ومسلم إذ من الممكن أن يكون داخلا فى



الصحيح لاشتراكهما في العدالة والضبط وعدم الشذوذ وعدم العلة والمفارقة فقط في تمامها أو عدم تمامها :

وعلى هذا فالرأى عندي أن الضعيف في إطلاق أحمد ابن حنبل هو الضعيف الاصطلاحي عند علماء الحديث ، والله أعلم :

المذهب الثالث :

الأنخذ بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والمواعظ والترغيب والترهيب لا في العقائد والتشريعات .

أقول : والعقائد والتشريعات غنية بالأحاديث الصحيحة . والضعيف إن ساواه فهو لا يضر وإن خالفه فلا حاجة للعقائد به ( انظر التقريب للنووي ، اختصار علوم الحديث لابن كثير ، قواعد التحديث ، التبصير والتذكير شرح الألفية للعراقي ) .

والله تعالى أعلى ، وأعلم وسبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين .

• • •

# الخاتمة

أما بعد

فإن الحمد لله الذى تم بنعمته الصالحات ، ولا حول ولا قوة إلا بالله  
على العظيم . . . وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين  
والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
أجمعين .

وقد انتهى التدوين الأولي لهذا الكتاب بإندونيسيا فى منزل السيد حسين  
ابن أحمد بن شهاب عصر يوم السبت ١٦ من ربيع الآخر ١٣٨٥ هـ الموافق  
١٤ من أغسطس ١٩٦٥ م الساعة الخامسة وعشر دقائق ، وبالله التوفيق ؛  
وكان الحبيب السيد على السقاف بمجاكارتا قد نقل هذا الكتاب خطياً رحمه  
الله رحمة واسعة . ثم من الله على بمزيد من البحث حتى صار هكذا .

وصلى اللهم على سيدنا محمد صلاة تنجيننا بها من جميع الأهوال والآفات  
وتقضى لنا بها جميع الحاجات ، وتطهرنا بها عن جميع السيئات ، وترفعنا  
بها عندك إلى أعلى الدرجات ، وتبلغنا بها أقصى الغايات من الخيرات فى  
الحياة وبعد الممات وعلى آله وصحبه وسلم .

دكتور/ رؤوف شلبي

متولى يوسف شلبي

الدوحة قطر ٥ من جمادى الآخرة ١٤٠٢ هـ  
٣٠ من شهر مارس ١٩٨٢ م



# محتويات الكتاب

صفحة	الموضوع
٥	الإهداء
٩	مقدمة الطبعة الرابعة
٢١	مقدمة الطبعة الثانية
٢٧	تعريف السنة وحجيتها ووظيفتها
٢٩	تعريف سنة في اللغة العربية
٣٠	أصل كلمة سنة في التعبير العربي
٣١	السنة عند علماء المسلمين ، وعند علماء الفقه الإسلامي
٣٢	شبهة حول التسمية
٣٣	الرد على هذه الشبهة
٣٧	السنة كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي
٣٧	الأدلة على حجية السنة
٤٣	شبهات حول الاحتجاج بالسنة
٦١	وظيفة السنة ومنزلتها
٦٣	في مجال العبادة
٦٤	في مجال المال
٦٥	في مجال الجناية
٦٦	في مجال الأسرة

الموضوع	صفحة
في مجال الحاجيات اليومية ... ..	٦٧
منزلة السنة من القرآن الكريم ... ..	٦٩
أقسام السنة الإسلامية ... ..	٧١
العمل بالسنة ، وأحوال المستشرقين ... ..	٧٧
الوازع الديني بعد النبي صلى الله عليه وسلم ... ..	٧٩
موقف الصحابة من السنة ... ..	٨٦
منهج الصحابة في صيانة السنة ... ..	٩٠
موقف الأحزاب وحلفائهم من السنة ... ..	٩٨
الحوارج والسنة ... ..	٩٩
غلاة الشيعة والسنة ... ..	١٠٢
المعتزلة والسنة ... ..	١٠٨
المستشرقون والسنة ... ..	١١٦
منهج العلماء في تنفية السنة وضبطها ... ..	١٢٩
الوضع في الحديث ... ..	١٣١
العصية ... ..	١٣٧
الخلافات ... ..	١٤٠
الانحرافات ... ..	١٤٣
الرجال الوضاعون والكتب الخاصة بهم ... ..	١٥٠
منهج العلماء في تدوين السنة ... ..	١٦٠
معنى تدوين السنة وأطواره ... ..	١٦٢
تدوين السنة في الطور الأول ( عصر النبوة وكبار الصحابة والتابعين )	١٦٤

الموضوع	صفحة
مدارس الحديث	١٧٧
تدوين السنة في الطور الثاني ( تابعو التابعين )	١٨١
تدوين السنة في الطور الثالث ( عهد الازدهار )	١٨٦
قمة الازدهار ( عصر الجامع الصحيح )	١٩٠
الموسوعات الفقهية في الحديث ( عصر السنن )	١٩٣
العلماء والكتب	١٩٥
الطلعة الورع ابن شهاب الزهري	١٩٧
الإمام مالك وموطؤه	٢٠٨
الإمام أحمد بن حنبل	٢٢٧
الإمام البخاري وجامعه الصحيح	٢٤٢
الإمام مسلم وجامعه الصحيح	٢٥٠
أصحاب السنن	٢٥٤
منهج العلماء في ضبط الرواه	٢٦١
آداب الشيخ والطالب	٢٦٨
بيان طرق التحمل - الطريق الأول - السماع من الشيخ	٢٧٨
الطريق الثاني - القراءة على الشيخ	٢٨٠
الطريق الثالث - المناولة	٢٨٢
الطريق الرابع - الاجازة	٢٨٤
الطريق الخامس - المكاتبة	٢٨٨
الطريق السادس - إعلام الشيخ	٢٨٩
الطريق السابع - الوصية	٢٩٠

٢٩١	...	...	...	...	...	...	...	الطريق الثامن - الوجدادة
٢٩٥	...	...	...	...	...	...	...	ضبط الإسناد
٢٩٧	...	...	...	...	...	...	...	مفهوم الإسناد
٣٠٠	...	...	...	...	...	...	...	أقسام الإسناد
٣١١	...	...	...	...	...	...	...	ضبط الرواة
٣١٣	...	...	...	...	...	...	...	معنى الراوى
٣١٤	...	...	...	...	...	...	...	شروط لا بد منها فى الراوى
٣١٦	...	...	...	...	...	...	...	طبقات الرواة
٣٢٠	...	...	...	...	...	...	...	أشهر كتب الطبقات
٣٢٣	...	...	...	...	...	...	...	منهج العلماء فى ضبط السند
٣٢٧	...	...	...	...	...	...	...	تمهيد
٣٢٩	...	...	...	...	...	...	...	الحديث النبوى باعتباركم الرواة
٣٣١	...	...	...	...	...	...	...	تقسيم الحديث باعتباركم الرواة
٣٣٣	...	...	...	...	...	...	...	الحديث المتواتر
٣٣٧	...	...	...	...	...	...	...	الحديث غير المتواتر
٣٤٣	...	...	...	...	...	...	...	الحديث باعتبار الطرف الذى ينتهى إليه
٣٤٥	...	...	...	...	...	...	...	نسبة الحديث
٣٤٦	...	...	...	...	...	...	...	الحديث المرفوع
٣٤٩	...	...	...	...	...	...	...	الحديث الموقوف
٣٥١	...	...	...	...	...	...	...	الحديث المقطوع
٣٥٣	...	...	...	...	...	...	...	الحديث باعتبار أحوال الرواة

صفحة	الموضوع
٣٥٥	تقسيم الحديث بهذا الاعتبار
٣٥٧	الحديث المقبول
٣٥٩	الحديث الصحيح
٣٦٢	أقسام الحديث الصحيح
٣٦٦	هل يجب العمل بالحديث الصحيح
٣٦٩	الكتب الجامعة للحديث الصحيح
٣٧١	مراتب الحديث الصحيح
٣٧٢	الحديث الحسن
٣٧٥	الحديث الضعيف
٣٧٧	الذى فقد شرط الاتصال
٣٨٥	الذى فقد شرط العدالة
٣٨٩	جهود العلماء فى تنقية السنة من الحديث الموضوع
٣٩٢	الذى فقد شرط الضبط
٣٩٩	الذى فقد شرط عدم الشذوذ أو العلة
٤٠٢	آراء العلماء فى الأخذ بالحديث الضعيف
٤٠٥	الخاتمة



مطبعة النخلة  
ت: ٨٥١٤٢١

---

رقم الإيداع ٨٢/٣٦٥٢